تطوير خدمات المكتبات العامة

عبدالله صالح بن عيسى
رئيس قسم المكتبات والمعلومات
كلية الآداب والعلوم الانسانية
جامعة الملك عبد العزيز — جدة

مقدمة :

يشتمل الانتاج الفكري القليل المتعلق بالمكتبات العامة في المملكة على اشارات تبين تواضع الخدمات التي تقدمها تلك المكتبات لروادها. ففي تقرير لوزارة المعارف عن المكتبات في المملكة نجد الاشارة التالية عن خدمات المكتبات العامة :

«تقدم تلك المكتبات خدمات الاعارة الداخلية وخدمة المراجع»[1] كما يشير شعبان خليفة إلى أن خدمات المكتبات العامة متواضعة، وأنها تقتصر على إعارة الكتب، بل إن الاستعارة الخارجية غير مسموح بها في حالات غير قليلة. كما أن خدمات ارشاد القراء والعلاقات العامة والخدمات غير التقليدية غير معروفة في تلك المكتبات.[2]

والواقع أن زيارة إلى المكتبة العامة بجدة توضح بجلاء هذه الصورة إذ تكاد تقتصر الخدمات على الاطلاع داخل المكتبة من قبل بعض الرواد القليلين .

وتهدف هذه الدراسة إلى عرض للخدمات التي يمكن أن تقدمها المكتبات العامة من أجل تحقيق الأهداف التي أنشئت من أجلها.

أهداف المكتبات العامة :

المكتبة العامة مؤسسة ثقافية يقصدها المواطنون على اختلاف أعمارهم وأجناسهم وثقافاتهم للقراءة والبحث والاطلاع. إنها خدمة من الخدمات العامة التي تقدمها الدولة للمواطنين، ولذلك فهي مفتوحة أو متاحة للجميع دون استثناء، الكبار والصغار، في المدينة أو في القرية.

وللمكتبة العامة دورها الأساسي في خدمة المجتمع الذي توجد فيه ذلك لأن المواطن الصالح لا يستطيع أن يسهم بطريقة ايجابية في تقدم مجتمعه إلا إذا كان على قدر من الثقافة والمعرفة، وهذه الثقافة تقدمها له المكتبة كجهاز للتعليم الذاتي المستمر غير الرسمي

وتسعى المكتبة العامة لتحقيق عدد من الأهداف أو الأغراض نوجزها فيما يلي :

١ — التعليم :

تشجيع التعليم الذاتي للكبار والصغار ممن وصلوا بتعليمهم إلى مرحلة ما بتدبير مواد القراءة والثقافة العامة المناسبة لهم، وذلك لسد الفجوة بين الفرد والمعرفة المسجلة.

٢ ــ الاعلام :

إمداد الفرد أو الجماعة بالمعلومات الدقيقة، وخاصة عن الموضوعات الجارية ذات الاهتمام العام.

٣ ــ الثقافة :

تقديم المعلومات العامة إلى الجمهور وتثقيفه مما يزيد إدراكه بالحياة وبالمشكلات المحلية والعالمية، وهنا تُعَدُّ المكتبة مركزاً من المراكز الرئيسية للحياة الثقافية في المجتمع الذي توجد فيه.

٤ ــ استثمار أوقات الفراغ :

تشجيع الانتفاع المجدي بأوقات الفراغ بدلاً من تبديدها فيما لا يفيد، وهنا تؤدي المكتبة دوراً لا غنى عنه في تشجيع الاستثمار الفَعَّال لوقت الفراغ .

٥ ــ رفع المستوى الفني أو المهني :

تزويد الفرد بمواد في المهارات الفنية تعينه على تطوير مهنته .

وللمكتبة العامة بعد ذلك دورها كمركز اجتماعي بما يساعد على دعم الروابط الاجتماعية بين أفراد البيئة التي توجد فيها المكتبة[٣، ٤].

ويذكر حسن رشاد أن نجاح المكتبة العامة لا يُقاسُ بعدد ما فيها من كتب ومجلات وغيرها من المواد التي تعين على كسب المعرفة وإنما يُقاسُ نجاحها بعدد رُوَّادِها من المطالعين والباحثين، ومدى ما أفادوا من حلقات البحث والمناقشة وخدمات المراجع والاعلام والبرامج التعليمية والثقافية والترفيهية، والخدمات التي تؤديها لروَّاد الأندية والجمعيات والمستشفيات والسجون، ومدى تعاونها مع المدارس والمؤسسات الثقافية والاجتماعية في العمل على الارتقاء بمستوى البيئة[٥].

وهكذا فان الخدمات التي تقدمها المكتبة العامة هي مرآتها وهي واجهتها وهي سبيلها لتحقيق الأهداف المنوطة بها.

وجدير بالذكر أن الخدمات قد تقدمها المكتبة بناء على طلبات أو استفسارات محددة تأتيها من المستفيدين ، كما أن المكتبة قد تبادر بالقيام بها توقعاً لاستفسار أو حاجة.

ونستعرض فيما يلي ــ بإيجاز ــ أهم أنواع الخدمات التي يمكن أن تقدمها المكتبة العامة :

(١) خدمة الاعارة :

وتهدف هذه الخدمة إلى توفير مواد المعرفة (الكتب والدوريات وغيرهما من المواد) للمستفيدين لاستخدامها والانتفاع بها. فقد يدخل القارىء المكتبة ويتجوَّل بين الرفوف ويختار منها ما يرغبه، أو يطلب إلى المكتبي أن يساعده في الحصول على ما يريده ثم يجلس بالمكتبة ويَطَّلِعُ على أي مادة من مواد المعرفة ومن الممكن أيضا أن يستعير القارىء بعض المواد للاطلاع عليها خارج المكتبة .

ولما كان الهدف الأساسي من وجود مواد المعرفة بأشكالها المختلفة هو تحقيق أقصى درجات الافادة منها واستخدامها بالتداول بين المستفيدين، لذا يمكن القول بأن نسبة غير قليلة مما تقوم به المكتبات العامة هو خدمة اعارة المواد واستخدامها خارج المكتبة، بل لعل القياس الحقيقي لنجاح الخدمة هو فيما يتم تداوله بين المستفيدين، كما أن قياس قيمة المواد التي تحصل عليها المكتبة قد يتم اعتماداً على عدد مرات الاستخدام والتداول لها بين جمهور المترددين على المكتبة .

وهكذا من الضروري ترتيب الكتب وغيرها من المواد على الرفوف بطريقة فَعَّالة والتشجيع على استخدامها.

والترتيب التقليدي للمواد على الرفوف يبدأ بقسم يشتمل على المواد التي تعار للكبار، ثم قسم للمراجع،

وقسم للمواد المكتبية للأطفال، وترتب المواد في كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة ترتيباً موضوعياً مصنفاً على الرفوف، فيما عدا القصص التي ترتب ترتيباً هجائياً وفقاً لأسماء مؤلفيها.

وفي المكتبات الصغيرة توضع كل هذه الأقسام في حجرة واحدة، بينما تضم المكتبات الكبيرة أقساماً مستقلة في نفس المبنى .

وقد أثبتت التجارب في السنوات الأخيرة أن الكثير من المكتبيين يشعرون أن الالتزام الدقيق بنظام التصنيف للمواد غير القصص، والترتيب الهجائي للقصص ليس بالضرورة هو أفضل الوسائل لتلبية احتياجات المستفيدين.

ومن الطرق الأخرى التي تختلف عن هذه الطريقة التقليدية، العمل على دمج مواد الاعارة والمراجع في ترتيب واحد على أساس أن الفصل بينهما اصطناعي لدرجة كبيرة، وأن الكثير من الأسئلة المرجعية يمكن الاجابة عليها من الكتب الموجودة في قسم الاعارة، كما أن هذا الدمج يتيح استخداماً أكثر فعالية للمصادر. أما نسخ المراجع فانه يمكن تمييزها على الرفوف بطريقة ما تشير إلى أنها ليست للاعارة وإنما للاستخدام داخل المكتبة فحسب.

وكامتداد لهذه الفكرة تلجأ بعض المكتبات العامة إلى انشاء أقسام موضوعية تشمل مواد الاعارة والمراجع والمواد غير الكتب تحت إشراف إخصائي موضوعي والذي يقوم أيضا بدوره كمرشد قراء. وعادة ما تحتوي المكتبات المقسمة بهذه الطريقة على قسم عام يضم القصص والمواد الترويجية أو الترفيهية العامة أو المواد غير المتخصصة.

وقد تلجأ بعض المكتبات إلى انشاء فئات عريضة من المواد مثل «المنزل والحديقة» أو «الرحلات». وتجمع معاً المواد التي يمكن أن تتفرق إذا تم الترتيب الدقيق وفقاً لنظام تصنيفي. والقصد من هذه الفئات أو الأقسام الموضوعية عبور الحواجز أو الحدود التي تفصل المواد. وهي في بعض الحالات قد تضم القصص وغير القصص معاً، كما أنها في حالات أخرى تُدْمِجُ كتب الصغار والكبار معاً في ترتيب موضوعي واحد. وهذا قد يفيد الكبار الذين يجدون في بعض الأحيان أن كتاباً من كتب الأطفال هو ما يحتاجونه كمقدمة لموضوع من الموضوعات، وأن الحصول على مثل هذا الكتاب من ترتيب مدمج لا يجعلهم يشعرون بنوع من الارتباك.

ومن ناحية أخرى فان الطفل يُقْدِم في استخدام المواد الأكثر تقدماً دون حاجة إلى تحويل عضويته من مكتبة أطفال إلى مكتبة كبار في سن محددة.

وهكذا فان احتياجات المستفيد هي أكثر العوامل أهمية فيما يتعلق بالطريقة التي تُتبع في ترتيب المواد، هذا بالاضافة إلى عوامل أخرى مثل حجم المكتبة وطبيعة المواد التي تشتمل عليها.(٦)

لكن ماذا عن نظام الاعارة الذي يستخدم لضبط عملية الاعارة؟.

هناك العديد من الأنظمة التي تهدف إلى ضبط عملية خروج الكتاب واستخدامه خارج المكتبة ورجوعه إليها في الموعد المحدد لتلبية حاجة جديدة وهكذا ..

وأكثر النظم اليدوية شيوعاً وأبسطها في نفس الوقت أن يجهز لكل مستعير بطاقة كتب فيها اسمه ورقم تسجيله، ثم يضاف إليها عنوان الكتاب الذي يستعار واسم مؤلفه ورقم تصنيفه ورقم القيد الخاص به. كما يجهز لكل كتاب تجوز اعارته بطاقة فيها عنوان الكتاب واسم مؤلفه ورقم طلب الكتاب ورقم تسجيله. وعندما يكون الكتاب على الرف فان بطاقة الكتاب هذه تكون في جيب الكتاب،

فإذا أراد القارىء أن يستعير الكتاب فما عليه إلا أن يأخذ الكتاب ويذهب إلى المكتبي المسئول عن الاعارة، حيث يتم اخراج البطاقة ويدون عليها اسم المستعير ورقمه وتاريخ ارجاع الكتاب، كما تدون هذه البيانات أيضا على بطاقة من الورق العادي ملصقة في آخر صفحة من الكتاب حتى يتذكر المستعير تاريخ الارجاع.(٧)

وهناك بالاضافة إلى نظام الاعارة وسجلاته، بعض القواعد والاجراءات البسيطة التي تتعلق بفترة الاعارة، وعدد الكتب التي يمكن استعارتها في المرة الواحدة، والغرامة عند التأخر في إرجاع الكتاب في موعده المحدد .. وما إلى ذلك. ويجب أن توجه العناية لهذه القواعد والاجراءات لأن لها تأثيراً في نظر المترددين على المكتبة .

وتجدر الاشارة إلى أنه يجب أن تُفتح المكتبة أبوابها في الأوقات المناسبة للمستفيدين. وهكذا يجب أن تُفتح المكتبة في الفترة المسائية إضافة إلى الفترة الصباحية، كما يجب أن تكون متاحة للمستفيدين في عطلة نهاية الأسبوع أيضا.(٨)

ويجب أن تُلبّي المكتبة طلب القارىء لكتاب محدد وحجزه له واخطاره بأن الكتاب الذي طلبه قد أصبح متاحاً.

وعادة ما تعمل المكتبة العامة على الحصول على كتاب محدد طلبه أحد القراء سواء من مقتنياتها أو عن طريق الشراء أو باستعارته من مكتبة أخرى من خلال شبكة وطنية للمكتبات .

ويجب ألا ننسى أن من واجب المكتبة العامة تشجيع الكبار والصغار على الانتفاع الكامل من الخدمة المكتبية،وكذلك من الواجب تقديم النصح فيما يتعلق بالانتفاع، وتوفير المعلومات والبيانات التي يطلبها الأفراد الذين يستفيدون من خدماتها.

وهناك عدة وسائل تستخدمها المكتبات العامة لتحقيق هذا الهدف، منها الأدلة الارشادية للمكتبات، قوائم الكتب، نشرات الاعلام الجاري، المعارض، المحاضرات، والندوات والحفلات، التغطيات الصحفية والاذاعية والتليفزيونية وما إلى ذلك من وسائل الاعلان والتسويق للخدمات المتوفرة .

وبالاضافة إلى إعارة الكتب وغيرها من المواد المطبوعة، فان معظم المكتبات العامة تقدم أيضا خدمات إعارة أخرى سواء بدون مقابل أو على أساس اشتراكات. وهذه تشمل إعارة التسجيلات الصوتية، أشرطة الكاسيت، الأسطوانات، الصور،الأفلام، الشرائح وما إلى ذلك، والمجموعات من هذا النوع من الممكن أن تتاح للأفراد أو الجماعات مثل المؤسسات التعليمية والأندية والجمعيات الموسيقية(٩).

(٢) خدمة الارشاد والمراجع :

تهدف هذه الخدمة إلى مساعدة المستفيد في استخدام مصادر المعلومات المتوفرة بالمكتبة والافادة منها، كما أنها تعمل على الرد الفوري أو غير الفوري على أي أسئلة أو استفسارات يتوجه بها الباحث أو القارىء طلباً للحصول على معلومات معينة أو حقائق أو بيانات محددة وهكذا فان محور نشاطها هو تقديم المعلومات أو البيانات المطلوبة أو الارشاد إلى المصادر الملائمة والتوجيه والمساعدة في كيفية استخدامها واستخراج المعلومات المطلوبة منها. وتعتبر هذه الخدمة ذات أهمية كبيرة لأنها تلعب دوراً حيوياً في النشاط اليومي للمكتبة، ومن ثم فهي بمثابة عنصر جذاب طالما أنها تتضمن الاتصال والمساعدة الشخصية والتوجيه والارشاد الفردي .

ويعتمد أداء هذه الخدمة على مختلف المواد والمصادر المتوفرة بالمكتبة، إلا أنها مع هذا تقوم أساساً على مجموعة حديثة ومتكاملة من المراجع في أنواعها التالية :

الموسوعات، القواميس، القوائم الببليوجرافية والكشافات ونشرات المستخلصات، الموجزات الارشادية ومختصرات الحقائق، الاطالس، أدلة الأفراد والهيئات، الكتب السنوية والحَوْليّات...(١٠)

وهناك عدة عوامل تؤثر في نطاق خدمة المراجع المقدمة، منها حجم المكتبة وموقعها وقربها من المصادر البديلة الأخرى. ففي مكتبة فرعية صغيرة على سبيل المثال نجد أن مجموعة المراجع تتكون من مواد قليلة تشغل رفاً واحداً أو بضعة أرفف. ومن ناحية أخرى فان مكتبة المراجع بمدينة كبيرة يمكن أن تتألف من عدة أقسام تشتمل على الكثير من المواد.

وتتدرج الخدمة من مجرد الاجابة على أسئلة تتطلب حقائق أو بيانات محددة سريعة، إلى الاجابة على أسئلة تتناول موضوعات معقدة وتتطلب بحثاً مطولاً في مصادر المعلومات. ومن القراء من يطلب معلومات حديثة عن بعض المسائل الاقتصادية والصناعية، ومنهم من يطلب أقصى تغطية ممكنة لبعض المواد مثلما نجد في الدراسات المحلية الخاصة بالبيئة التي توجد فيها المكتبة وحيث تحتفظ المكتبة بمجموعة كبيرة من المواد في هذه النواحي. وفي مثل هذه الحالات وغيرها فانه من الواجب على المكتبي المسئول أن يُلَبّي احتياجات القراء اعتماداً على ما يتوفر لديه من مصادر المعلومات واعتماداً على خبرته في هذا المجال.

(٣) خدمات المجتمع :

المكتبة العامة مؤسسة عامة شأنها شأن المؤسسات الأخرى التي تقدم خدمات ثقافية واجتماعية في المنطقة التي توجد فيها. ولذلك فان للمكتبة دوراً لا غنى عنه في خدمة المجتمع، وتُعَدُّ المكتبة العامة مركزاً ثقافياً بالنسبة للجماعة المحلية، فهي تقوم في إطار المجهودات التي تبذلها لتوسيع آفاق خدماتها بتنفيذ برنامج من النشاط المتنوع لاثارة اهتمام أفراد الجماعة المحلية يشمل حلقات مناقشة ومحاضرات واستعراضات مسرحية وحفلات موسيقية وأفلاماً سينمائية وبرامج اذاعية وتلفزيونية.. الخ(١١).

على أنه من المفيد أن تعمل المكتبة العامة على توثيق الصلة بينها وبين المؤسسات الأخرى في المجتمع، وأن تتعاون معها في خدمة أفراد وجماعات هذا المجتمع. ومن الممكن أن تقدم المكتبة برامجها في مواقع تلك المؤسسات وأيضا اتاحة ما يتوفر بالمكتبة من مواد بين يدي هذه المؤسسات لتحقيق أهدافها وخدمة البرامج الخاصة بها.

كذلك من الممكن دعوة المؤسسات الموجودة في المجتمع الذي تخدمه المكتبة لزيارتها والاستفادة من امكانياتها المتنوعة سواء من حيث المكان لعقد المؤتمرات والمحاضرات أو الوسائل السمعية والبصرية أو مجموعات المراجع والمواد أو خبرات العاملين بها.(١٢)

ويجب أن تعمل المكتبة العامة على مد نشاطاتها وتوسيعها بمختلف الطرق، ومن هنا فان في مقدور المكتبة العامة الكبيرة أن تنشىء لها فروعاً وأن تُسَيِّر مكتبات متنقلة حتى تصل الخدمات المكتبية إلى المناطق النائية، وإذا لم يتيسر تقديم خدمات مكتبية متنقلة بالسيارات فهناك نظام صناديق الكتب التي توضع في محطات ثابتة في مختلف المواقع. ومن الوسائل الأخرى لنشر الخدمة المكتبية ارسال الكتب للقراء عن طريق البريد.(١٣)

(٤) خدمات الأطفال :

يمكن تقسيم الخدمات المكتبية العامة للأطفال إلى مجالين عريضين هما : الخدمات التي تقدم من خلال شبكة المكتبة العامة من المباني والمكتبات السيارة أو المتنقلة. والخدمات التي تقدم للمدارس والمنشآت التعليمية.

ويحتاج العمل في هذين المجالين إلى مكتبيين مؤهلين لديهم معرفة بأدب الأطفال بأنواعه المختلفة وادراك للمستويات المتنوعة في القدرة على القراءة والاستيعاب ومهارات التدريس وتكنولوجيا التعليم وعلم نفس الأطفال.

وتتدرج المواد التي يتم الحصول عليها لأقسام الأطفال بالمكتبات العامة من الكتب المصورة للأطفال في سن ما قبل القراءة، إلى الكتب ذات الكلمات البسيطة، حتى كتب الأطفال الكلاسيكية والمجموعات الخاصة بالفتيان الكبار.

إن الدور المهم في العمل المكتبي مع الأطفال يتمثل في تشجيع وتنمية عادة القراءة واستخدام المكتبات. وهناك عدة أنشطة لابد من القيام بها داخل المكتبة وخارجها لتحقيق هذه الغاية. وهذه الأنشطة مثل: ساعات القصة، المسابقات، الأحاديث، المعارض وما إلى ذلك من الأنشطة التي تُصَمَّمُ لجذب وتعليم وإثارة الأطفال من كل الأعمار.

أما خدمات المكتبة العامة للمدارس فانها تُصَمَّمُ لمساندة المناهج وتكملة المواد التي تحصل عليها المدارس، بالاضافة إلى الهدف العام المتمثل في تنمية مهارات وعادات القراء. ومن الممكن أن تستفيد المدارس من خدمات المكتبة السيارة التي ترسل إلى المكتبة على فترات مزودة بالمواد المناسبة. كذلك من الممكن أن تستعير بعض المجموعات من المواد من المكتبة العامة عن موضوعات محددة لفترة من الوقت للمساعدة في انجاز مشروع عن موضوع من الموضوعات.

كما أن هناك بعض المكتبات العامة التي تقدم المشورة والمساعدة العملية للمدارس في تشغيل مكتباتها.(١٤)

(٥) الخدمات الخاصة :

إن المكتبة العامة الحديثة لا تقدم الخدمات التي أشرنا إليها فيما سبق فحسب وإنما تمد خدماتها أيضا لأفراد من غير القادرين على الاستفادة من التسهيلات المقدمة المعتادة ويحتاجون إلى عمل ترتيبات خاصة لهم. ومن هؤلاء المقعدون بالمنازل house bound والكهول حيث يقوم بعض العاملين بالمكتبة بزيارتهم وامدادهم بالكتب .

وتقدم المكتبة العامة خدماتها أيضا للمسجونين وللمرضى في المستشفيات وفي الحالة الأخيرة تقوم المكتبة العامة بايداع مجموعات من الكتب تستبدل على فترات(١٥).

وهناك فئات أخرى من الناس تقدم لها خدمات خاصة مثل : المعاقون، الأميون والمتعلمون الجدد، ومن الواجب أن تكون المكتبات العامة معدة على نحو يتيح تزويد هذه الفئات بالخدمات الملائمة. ومن الممكن استخدام الاذاعة استخداما فعالاً في تحقيق هذا الغرض بالاضافة إلى البرامج التلفزيونية والأفلام السينمائية والتسجيلات والمحاضرات وغيرها من الوسائل السمعية والبصرية.

* * *

إن مهمة نشر خدمات المكتبة العامة لن تبلغ غايتها يوم تفتح المكتبات أبوابها أو تقوم عربات المكتبات بأول زيارة، فهذا كله لا يعدو أن يكون الخطوة الأولى. ذلك أن قيمة خدمات المكتبات تتوقف كماً ونوعاً على مدى الانتفاع بها، فهناك أشخاص لا يستخدمون المكتبات لسبب أو لآخر، في حين أنهم كانوا يستطيعون أن يفيدوا منها لو وجدوا العون والتشجيع، وهنا تقع المسؤولية على أمناء المكتبات العامة بأن يبرهنوا لكل شخص أن للمكتبة وجوداً حقيقياً وأنها ضرورة لا يستطيع القارىء أن يستغني عنها.

إن العرض السابق لنوعيات الخدمات التي يمكن أن تقدمها المكتبات العامة يقودنا إلى ما يلي :

(١) إذا كان تقديم الخدمات التقليدية مثل الاعارة وغيرها ضرورياً وأساسياً فانه من الضروري تقديم المزيد من الخدمات الأخرى بما يُنشّط استخدام المكتبات ويجعلها مؤسسات فعالة في المجتمع الذي تخدمه.

(٢) من الضروري وضع نظام للتعاون أو انشاء شبكة تضم جميع المكتبات العامة في المملكة، وهكذا فان أي كتاب في أي مكتبة أياً كان موقعها ــ متاح لجميع المستفيدين أياً كان موقعهم داخل المملكة.

(٣) من الضروري العمل على نشر الخدمات المكتبية للمناطق النائية والبدو وفئات المجتمع الأخرى كالنساء وغيرهم. وذلك بانشاء مكتبات خاصة أو غرف منفصلة بالنساء أو على الأقل وضع نظام يسمح باستخدامهن للمكتبات في أوقات معينة.(١٦)

(٤) يجب ألا تقف المكتبة عند حدود الأشخاص الأصحاء في تقديم خدماتها، بل يجب أن تقدم خدماتها إلى تلك الشرائح الاجتماعية التي حُرِمَت لأي سبب من الأسباب من ممارسة الحياة الطبيعية وذلك بسبب أي أعاقة كانت.(١٧) إن هؤلاء في أمس الحاجة إلى الخدمة المكتبية العامة، فهي المعين لهم على مواصلة الحياة .

المراجـع

(١) المملكة العربية السعودية. وزارة المعارف. المكتبات في المملكة العربية السعودية.ــ الرياض : الوزارة، ١٩٧٦. ــ ص٢.

(٢) Khalifa, Shaban. Libraries and Librarianship in Saudi Arabia، Arab J. for Librarianship & Information Science, vol 1, No. 1.(Jan. 1981). - P. 105.

(٣) حمادة ، محمد ماهر. علم المكتبات والمعلومات ــ ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣. ــ ص ٣٨ ــ ٤١.

(٤) Campbell, H.C. Public Libraries: purposes and objectives in: ALAWorld encyclopedia of Library and Information Services — Chicago : American Library Assoc., 1980. - P. 23.

(٥) رشاد، حسن. المكتبات العامة. ــ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٦١. ــ ص ٨ــ٩.

(٦) Brown, Royston. Public Library Administration. - London Bingley, 1979. — P. 65.

(٧) هينتز، الجبورج. تنظيم المكتبات العامة: تعريب واعداد عبد الرحمن الشيخ، محمدبن السيد فراج.ــ الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٨.ــ ص ٤٦.

(٨) IFLA. Standards for public Libraries. Munchen: Verlag Dokumentation, 1977. — P. 23.

(٩) Brown, Royston. Public Library Administration.— P. 67-68.

(١٠) عبد الهادي، محمد فتحي. مقدمة في علم المعلومات. ــ ط١.ــ القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٨٤. ــ ص ١٤٤ ــ ١٤٥.

(١١) رشاد، حسن. المكتبات العامة. ــ ص ٨٩.

(١٢) Lynch, Mary Jo. Public Libraries: services to users. In: ALA World encyclopedia of Library and information services. P. 445.

(١٣) هينتز، الجبورج. تنظيم المكتبات العامة. ــ ص ٥٦.

(١٤) Brown, Royston. Public Library Administration. - P. 71-72.

(١٥) Ibid. - P. 72-73.

(١٦) عباس، هشام عبدالله. خطة لتطوير نظام المكتبات العامة بالمملكة العربية السعودية (ملخص رسالة الدكتوراه).ــ عالم الكتب، مج٣، ع٤ (ربيع آخر ١٤٠٣). ــ ص ٦٧٢.

(١٧) حمد، زكريا الحاج. خدمات الفئات الخاصة في المكتبات العامة. ــ رسالة المكتبة، مج ١٧،ع٤ (ديسمبر ١٩٨٢). ــ ص ٤.

ثلاثـــة كتــب ... وملاحظـــات

علي جواد الطاهر
أستاذ متقاعد ـ كلية الآداب
جامعة بغداد

(١)

ماذا يبقى من طه حسين؟ ـ سامح كريم. بيروت، دار القلم، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة، شباط ١٩٧٧ ـ ٢١٥ ص.

١ ـ لا يذكر تاريخ الطبعة الأولى وظروفها الأخرى. ولم يشر إلى ما حدث في الطبعة الثانية من زيادة وتنقيح.

٢ ـ ص ٣٧ ـ ٣٨ : «ينضم إلى الجامعة المصرية القديمة فور إنشائها عام ١٩٠٨ .. ويتلقى دروس .. على ... «ليثان» الذي قام بتدريس السامية والسريانية وأصول العبرية والحبشية ...».

أ ـ الذي أعرفه في لفظ ليثان : ليتمان ـ بالتاء. وكذا قدم في محاضرة سمعتها له.

ب ـ عند القبول بمصطلح السامية تكون السريانية، والعبرية والحبشية من السامية، ولا يبقى معنى لعطف السريانية على السامية.

٣ ـ ص ٦١ : «شعر كورني أو راسين أو جيته».

فكتب اسم الشاعر الألماني العالمي الكبير في أشكال مختلفة : غوته، جيتي (كما يكتبه العقاد)، كوته ... جوته أما جيته فلا، لأنه لا يلفظ بالثاء هذه ولم يقع يوما إختلاف في «الثاء» ـ ويكتبه الدكتور مصطفى ماهر ـ وهو يترجم عن الألمانية مباشرة : جوته Goethe.

٤ ـ ص ١٠٨ : «ويذهب مؤرخو النقد والأدب إلى أن هناك بعض التطورات حدثت لكل من النقد والأدب في العصر الحديث. ولعل أبرز هذه التطورات تلك التي تمت في الأزهر الشريف على يد كل من الشيخ سيد المرصفي، والشيخ حمزه فتح الله حين اتبع الشيخان نفس أساليب دارسي الأدب القدماء وفي مقدمتهم «المبرد» و «القالي» و«الجاحظ» حيث العناية في الدرس تتجه أولاً إلى جمع النصوص الشعرية والنثرية المختارة .. ثم يتناولان ذلك تناولاً يُعنى باللغة والبلاغة والتذوق وما إلى ذلك.

وكانت الخطوة التالية على يد الأستاذ حسن توفيق العدل أحد خريجي العلوم والدارسين في المانيا ...

تبعت هذه الخطوة خطوة ثالثة : حين افتتحت الجامعة القديمة وقام بالدراسة فيها بعض المستشرقين من أمثال الأستاذ «جويدي» والأستاذ «نالينو» والأستاذ «فيت»...

إلى جانب هذه الخطوات الثلاث ... كانت هناك

جهود فردية ... منها جهود الأستاذ «جورجي زيدان ...».

أ ــ أحد خريجي العلوم : أحد خريجي دار العلوم ــ والفرق كبير .

ب ــ نالّلينو : نالّينو ــ واللامان تشوهان اللفظ، ولدينا الشدة عوضهما في هذا الباب . وتكرر بلامين ص ١٤٥ .

جـ ــ جورجي زيدان : جرجي زيدان.

د ــ على يد كل من الشيخ ... : على يد الشيخ ... أو يدي الشيخين..

هـ ــ نفس الأساليب : الأساليب نفسها.

٥ ــ ص ١١٣ : «وفي عام ١٩٣٥ صدر الكتاب الثالث الذي ألفه الدكتور طه حسين في هذا العام.. وهو كتاب «الحياة الأدبية في جزيرة العرب» وهو المعروف حاليا بكتاب «ألوان» وقد سمي هذا الكتاب هكذا لأنه دراسات تعمق واستقصاء لألوان مختلفة من الأدب على تباعد العصور وتباين الأجيال...».

أ ــ الكتاب الثالث، يريد أن الكتاب الأول : «**ذكرى أبو العلاء**» ــ كذا تكرر في الصفحة (١٠٩) مرتين، وأن الكتاب الثاني : «أجزاء كتابه : **حديث الأربعاء**» الذي صدر بعد عودته من اوروبا ، وكتابه الثالث : «**في الشعر الجاهلي**».

وقال (ص١١١) : «وفي عام ١٩٢٥ يبدأ في نشر الأجزاء الثلاثة من كتابه «حديث الأربعاء»... الأول والثاني .. الثالث ..».

«وفي عام ١٩٣٣ صدر كتاب «**حافظ وشوقي**»...

«وفي عام ١٩٣٥ صدر كتابه الثالث .. «الحياة الأدبية ... ألوان ...».

وإذا دققنا في تسلسل الكتب، لم يكن «الحياة الأدبية» كتابه الثالث وإنما هو ــ تبعاً لما ذكر المؤلف من كتب طه حسين ــ الخامس.

أما إذا دققنا أكثر وعلى الوجه العلمي في متابعة مؤلفات طه حسين فإن «الحياة الأدبية في جزيرة العرب» يتأخر في تسلسله أكثر من ذلك كأن يكون العاشر أو الحادي عشر ــ ينظر كتاب «إلى طه حسين في عيده السبعين، القاهرة، دار المعارف ١٩٦٢ ص ص ١٩ ــ ٢٢».

ب ــ «الحياة الأدبية في جزيرة العرب» ليس كتابا بالمعنى الصحيح، وإنما هو مقالة مطولة في حدود (٥٠) صفحة من القطع الصغير و(١٧) صفحة من القطع الاعتيادي . ولم يكن استقصاء بالمعنى الصحيح.

جـ ــ ليس كتاب «ألوان» هو كتاب «الحياة الأدبية في جزيرة العرب»، فهو شيء آخر، ولا تزيد صلته بكتاب «الحياة الأدبية» على أن جاء «كتاب الحياة الأدبية» فيه مقالة في (١٧) صفحة من أصل (٢٠) مقالة لا صلة لها به ولا صلة له بها. ومجموع صفحات ألوان (٨٠) صفحة.

د ــ لا موجب للتطوع في تفسير كلمة «ألوان» الواردة عنوانا للكتاب ــ ولا سيما على الوجه الذي ورد التفسير عليه.

هـ ــ ومطبي يعدد كتب طه حسين المتصلة بالأدب والنقد : ١٩٣٦ «من حديث الشعر والنثر»، ١٩٣٧ «مع المتنبي» ، ١٩٤٥ «فصول في

الأدب والنقد»، ١٩٤٥ «صوت أبي العلاء»: «الكتاب الثالث عن أبي العلاء»، وفي عام ١٩٥٢ «تصدر الطبعة الأولى من كتاب «بين بين» وهو عبارة عن مقالات...» ، وفي عام ١٩٥٥ «خصام ونقد» وفي عام ١٩٥٨ «من أدبنا المعاصر»، وفي عام ١٩٥٩ «أحاديث».

قال : «١٩٤٥ صوت أبي العلاء : الكتاب الثالث عن أبي العلاء» ونسأل: أين الكتاب الثاني؟ لم يرد ذكره في التسلسل . ونقول إنه : «مع أبي العلاء في سجنه» وكانت طبعته الأولى سنة ١٩٣٥.

ثم نزيد أن الطبعة الثالثة من الكتاب الأول (ذكرى أبي العلاء) صدرت باسم : «تجديد ذكرى أبي العلاء» سنة ١٩٣٧.

ـــ ص ١٢١ ـــ ١٢٢ «الأيام. لقد نشرها مسلسلة في مجلة الهلال عام ١٩٢٦، ثم نشرها في كتاب عام ١٩٢٩، وكانت الطبعة الثانية عام ١٩٣٣ ثم أعادت دار المعارف طباعته عدداً من المرات وصل إلى ست وأربعين مرة. والكتاب تُرْجَم إلى أكثر لغات العالم .. ترجمه ... إلى الفرنسية «جـ. لوسرف» عام ١٩٣٤.. والجزء الثاني نشر عام ١٩٣٩ وأعيدت طباعته كما ترجم إلى أكثر لغات العالم.

والجزء الثالث نشر عام ١٩٧٢. وكان قد نشر من قبل مذكرات بمجلة «آخر ساعة» ١٩٥٧. ونشرت الأجزاء الثلاثة بعد ذلك ..

يحدثنا في حياء وخفر وخجل كيف خفق القلب مرتين اثنتين قبل سوزان ـــ ص١٢٣».

أ ـــ جاء في كتاب «إلى طه حسين...» ص ٢٧: الأيام، الجزء الثاني ، ترجمه جاستون فيت ونُشِرَتْ ترجمته مع ترجمة لوسرف للجزء الأول في مجلد واحد سنة ١٩٤٩ ـــ يقصد ترجمته إلى الفرنسية.

ب ـــ أذكر عن الجزء الثالث ـــ كذلك ـــ أنه نشر مذكرات في كتاب مستقل عن دار الآداب بيروت. وانه لكذلك صدر عام ١٩٦٧ باسم «مذكرات طه حسين».

جـ ـــ طبعات الجزء الثاني أقل عدداً من طبعات الجزء الأول، وطبعات الثالث أقل من الثاني ـــ ويحسن التمييز بين الأجزاء لدى الحديث عن عدد الطبعات.

د ـــ طبع كتاب الأيام مزوراً خارج مصر. في لبنان، وبجزءيه الأول والثاني فيما أتذكر.

٧ ـــ ص ١٢٨ : «وفي عام ١٩٤٩ نشر في بيروت روايته «المعذبون في الأرض...».

لنذكر أن طه حسين نشر «المعذبون في الأرض» ـــ قبل ذلك ـــ فصولا في مجلة «الكاتب المصري» منذ سنة ١٩٤٨.

وأن «المعذبون في الأرض» طبعت في كتاب في القاهرة ـــ بعد الطبعة اللبنانية (صيدا).

ـــ اعتاد المؤلف أن يقرن بالكتاب الذي يتحدث عنه تاريخ نشره وعدد أجزائه إن وجدت. ولكنه لم يفعل ذلك مع «على هامش السيرة» (ص ص ١٣٠ ـــ ١٣٥). وهنا نقول إكمالاً للموضوع : إنه في ثلاثة أجزاء. طبع الأول لأول مرة سنة ١٩٣٣، ثم طبع مع الثاني والثالث (لأول مرة) ١٩٤٦ ـــ أروي الخبر عن كتاب سهير القلماوي : «ذكرى طه حسين». وكان المؤلف يفيد منه، ويتابعه ـــ ولا سيما في موضوع الطبعات ـــ دون أن يشير إليه. أما كتاب «إلى طه

حسين ...» فيفصل أكثر، ويقول : ج٢ سنة ١٩٤٢، ج٣ سنة ١٩٤٣ ــ وكان يحسن بالمؤلف أن يفيد منه.

٨ ــ ص ١٤٩ «... فلسفة ابن خلدون الاجتماعية» وهو رسالة الدكتوراه التي قدمها الدكتور طه حسين لجامعة السوربون »... كان الكتاب الأول هو كتاب ذكرى أبو العلاء المعري ... والكتاب ــ يقصد فلسفة ابن خلدون ــ كان في الأصل باللغة الفرنسية. وقد قام بترجمته إلى العربية ...الأستاذ محمد عبدالله عنان عام ١٩٢٥. ثم أعيدت طباعته تحت عنوان «تجديد ذكرى أبو العلاء المعري» والكتاب يعرض آراء ابن خلدون...».

لابد من سقوط سطر لدى التبييض أو لدى الطبع، فلا يمكن أن يعاد طبع كتاب «فلسفة ابن خلدون» باسم «تجديد ذكرى أبي العلاء المعري» . إن الذي أعيد طبعه بهذا الاسم هو كتاب «ذكرى أبي العلاء المعري». وأشك في أن يكون كتاب «فلسفة ــ ابن خلدون» قد أعيد طبعه. لقد بقي عند طبعته الأولى ــ والحال جديرة بوقفة دراسية خاصة. لماذا؟.

ثم لنلاحظ أن العنوان الدقيق أو العنوانات الدقيقة للكتب المذكورة هنا هي : «ذكرى أبي العلاء» بدون المعري، «تجديد ذكرى أبي العلاء» بدون المعري، ولحذف «المعري» دلالته، وفي أقل ما يقال في ذلك قرب الشاعر (أبي العلاء) في نفس طه حسين وتآلفه وإياه.

والعنوان الثالث : «فلسفة ابن خلدون الاجتماعية».

٩ ــ ص ١٧١ [«كتاب من الأدب التمثيلي اليوناني» وفيه نقرأ عن .. سوفوكليس (مؤلف الكتاب) وكيف وضع قواعد المسرح...»].

أ ــ يشتمل الكتاب على ست مسرحيات من مؤلفات سوفوكليس. جمع بينها طه حسين هنا ــ اختياراً واجتهاداً ــ في كتاب واحد. ولم يكن سوفوكليس مؤلفاً للكتاب، وإنما كان مؤلفا ــ ناظما ــ للمسرحيات الست الواردة في الكتاب.

ب ــ لا نقرأ في «الكتاب» كيف وضع سوفوكليس قواعد المسرح، وإنما نقرأ ست مسرحيات من مؤلفاته ــ نظمه ــ نقلها طه حسين إلى العربية.

١٠ ــ إن الخطأ في الكلام على مؤلفات طه حسين كثير وغير معقول ولا مقبول، ولا سيما من مؤلف يتصدى للبحث في «ماذا يبقى من طه حسين؟»! ــ قد نعود إلى هذه «النقطة» في مكان آخر.

١١ ــ ص ١٤٩ «منبثة» صحيحها منبثة . ص ١٥٠ «بدأ»: بدا. ص ١٨١ «فاقد» : ناقد. ص ١٨٢ «سيد أعلام»: سير أعلام. ص ١٦٨ «المعتمد بن عباد»: المعتمد بن عبّاد ــ والخطأ مطبعي.

١٢ ــ ص ١٧١ «المجالات الثلاث» صحيحها : المجالات الثلاثة.

١٣ ــ ص ١٨٣ : «نقد النثر لأبي الفرج قدامة بن جعفر. وهذا الكتاب حققه الدكتور طه حسين بالاشتراك مع عبد الحميد العبادي...».

لهذا الكتاب قصة طويلة ــ صارت مشهورة ــ يحسن بالمتعرض له أن يذكرها أو يذكر خلاصتها. ان الذي نُشِرَ لم يكن كاملاً، ولم يكن في حقيقته باسم نقد النثر، كما لم يكن لأبي الفرج قدامة بن جعفر.

ومناسب جداً أن يذكر المتصدي للباقي من طه حسين أن المخطوطة التي وقعت بين أيدي طه حسين

وعبد الحميد العبادي كانت موضع شك، وفي الوقت الذي اثبتها الأستاذ العبادي لقدامة، شكك في نسبتها طه حسين ويكاد يبلغ في شكه درجة النفي ـــ ولم يكن هذا بالقليل .

وحققت الأيام ظن طه حسين ، فقد وجدت المخطوطة كاملة، واسمها :«البرهان في وجوه البيان» واسم مؤلفها : «ابن وهب الكاتب ـــ أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب».

وقد نشر الكتاب كاملا في بغداد ١٣٨٧/١٩٦٧ بتحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي (وفي مقدمتهما القصة الكاملة للكتاب)؛ وفي القاهرة الدكتور حفني شرف ١٩٦٩.

١٤ ـــ من الكتب المدرسية المهمة التي اشترك في تأليفها الدكتور طه حسين : المنتخب من أدب العرب، والتوجيه الأدبي .. تنظر ص ١٩٣.

(٢)

تاريخ الأدب الحديث ـــ تطوره، معالمه الكبرى. مدارسه من الحملة الفرنسية في مصر إلى العهد الاشتراكي (دراسة منهجية مركزة ـــ سلسلة مؤلفات المنهج العلمي الحديث) تأليف الدكتور حامد حفني داود ـــ أستاذ كرسي الأدب العربي بمدرسة الألسن العليا. الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ ـــ ١٩٦٧ م ـــ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف وكل نسخة لم يوقع عليها من المؤلف تعد مسروقة ويعاقب حاملها قانونا ـــ دار الطباعة المحمدية بالأزهر بالقاهرة .

١ ـــ ص ٥ «ومن الذين تناولوا الأدب الحديث بالدراسة ... عبد العزيز الدسوقي في كتابه «جماعة أبوللو وأثرها في الشعر الحديث». ص ٦٣ «جماعة أبوللو».

الصحيح : جماعة أبولو ـــ وبهذا الرسم صدرت مجلتهم.

٢ ـــ ص ٧٧ «جورجي زيدان»، ص ١٦٠، ١٧٠ الصحيح جرجي زيدان .

٣ ـــ ص ٦٦ «يعطي أسلوبه لونا ملفتا يجتذب القارىء». الصحيح : لافتاً ـــ يؤخذ من الثلاثي لفت .

٤ ـــ ص ١٠٧ «ومنذ منتصف القرن العشرين ... لا يزال للمدرسة الكلاسيكية في شعرنا المعاصر أتباع وعشاق يعجبون بالأصول القديمة في الشعر ولا يكادون يحيدون عنها منهم .. محمد زكي إبراهيم، ومحمد زكي عبد الرحمن ... والربيع الغزالي ... وأحمد البدري، وأحمد المراغي، وعبد السلام شهاب، وعزت شندي، ومحمد ضيف الله... ومن الكلاسيكيين المجيدين المجددين .. إبراهيم شعراوي وقاسم مظهر، وسعد ظلام ... وجورج البلدي، ووديد الزند، وسمو الأمير صقر بن سلطان القاسمي حاكم الشارجة ... وعشرات غيرهم...».

نقول ـــ ولا صغراً بالشعراء المذكورين ـــ ألنا كل هؤلاء الشعراء ... ولا ندري؟ ولا نعرفهم؟! من؟ وأين؟.

٥ ـــ ص ١٢٥ «المدرسة الواقعية REALISM... لم تعرف ـــ اصطلاحا ـــ كمذهب من مذاهب الأدب ومدارسه المعاصرة إلا في القرن الثامن عشر».

الصحيح ... في القرن التاسع عشر (في أواسطه، في النصف الثاني منه).

٦ ـــ ص ١٢٧ «...في فرنسا الفيلسوف الواقعي.. أنوريه دي بلزاك».

بلزاك روائي كبير، وهو واقعي قبل أن يوجد مصطلح الواقعية مذهباً ومدرسة .. ولم ينعته الباحثون بالفيلسوف...

٧ — ص ١٢٧ «ومن رجال المدرسة الواقعية في فرنسا «جي دي موباسان» و«فلوبير» ومن الواقعيين غير الفرنسيين «توماس هاردي» و«هنري بك».

الصحيح أن هنري بك فرنسي أيضاً H. Becque

٨ — ص ١٣٣ «فرانسوا ماري أرواه فولتير الفرنسي المتوفى سنة ١٧٨٨م».

الصحيح : فرانسوا — ماري أروه .. المتوفى سنة ١٧٧٨». وكرر المؤلف كلمة «أرواه» خطأ أكثر من مرة وكثيراً ما جاءت على «أرواة» فيتضاعف الخطأ.

٩ — ص ١٤٤ «يجوز نظمها ... من اثنتي عشر أهجية».
الصحيح : من اثنتي عشرة أهجية.

١٠ — ص ١٦٠ — ١٦١ «القصة الطويلة (الرواية) ... المقامات [اللون] الذي ابتكره بديع الزمان الهمذاني في القرن الرابع .... مصطفى لطفي المنفلوطي في ترجمة قصص (بول وفرجيني) وحافظ إبراهيم الذي ترجم (البؤساء) لـ (فيكتور هوجو) .

أ — لا موجب لذكر المقامات هنا ... إذا كان موجب لذكرها لدى الحديث عن القصة القصيرة. فما وردت المقامة طويلة!.

ب — مصطفى لطفي المنفلوطي لم يترجم، وإنما كان يُترجم له فيتصرف على هواه — المنفلوطي لا يعرف الفرنسية.

جـ — بول وفرجيني قصة (طويلة) واحدة وليست قصصاً. وهي عنوان كتاب وليست اسم مؤلف!.

د — الذي صدر على أنه «البؤساء» ترجمة حافظ إبراهيم لم يكن إلا جزءاً يسيراً جداً من رواية هوجو — ترى إلى أي درجة كان حافظ يمتلك الفرنسية التي تؤهله للترجمة!.

١١ — ص ١٦٢ «القصة القصيرة ... مدرسة جي دي موباسان ... مدرسة تشيخوف ... مدرسة بلزاك...

يذكر بلزاك في الرواية، ولم تأت قيمته من القصة القصيرة. ولم يؤهله ما كتبه فيها من «حكايات» إلى أن يكون مرحلة أو مدرسة في تاريخ القصة القصيرة.

إن المؤلف نفسه تحدث عن بلزاك وهو يبحث «القصة القصيرة» بقوله : «مدرسة بلزاك وتعتمد على التحليل النفسي وهو وصف النفس البشرية والنزعات والدوافع وتحليل أشخاص الرواية» — وهكذا قال: الرواية، ولم يقل القصة القصيرة!.

١٢ — ص ١٦٧ — ١٦٨ «الكتابة العلمية ... وحين نستعرض النثر العلمي ... نلتقي ببحر زاخر من الكتابات العلمية ... دبجتها يراع المتخصصين الذين يعتبرون مرجعاً للباحثين. لذلك فإني — وفاء بالمنهج العلمي الحديث الذي وضعنا أسسه ... أوثر ذكر هؤلاء الناثرين ... ليكونوا مرجعاً للدارسين ... على مصطفى مشرفة ... أحمد زكي ... محمد كامل حسين ... وفي الفلسفة الاسلامية مصطفى عبد الرازق ... وفي الثقافات الموسوعية عباس العقاد ... وفي المناهج العلمية حامد حفني ...».

المقصود بحامد حفني : حامد حفني داود، فهو لايني يدل بالمنهج العلمي وربما تأسيسه له .

ولا نعرف الرجل، ولا نعرف عنه شيئاً، ولكن كتابه الذي بين أيدينا بعيد عن المنهج العلمي فهو

مضطرب، وقد تحدث في ثقة نادرة عن المذاهب (المدارس) الأدبية بين الكلاسيكية والوجودية من غير أن يدل على علم بها، وكان في معظمها عيالا على محمد مندور بنص وبغير نص. ترى كم علم الرجل بلغة أجنبية؟ الفرنسية والانكليزية..؟.

لقد تحدث عن المدرسة الوجودية ص١٣٢ وهي بالفرنسية Existentialisme فكتبها هكذا Existism كأن المسألة مسألة اشتقاق كيفي. صحيح براع: براعة ...

هذا إلى أنه سيذكر نفسه مرة أخرى من كتابه ، على أنه من أعلام الأدب الذي يجب أن يذكروا في كتاب لتاريخ الأدب الحديث يقوم على «دراسة منهجية مركزة» إلى جوار من ذكر من الأعلام ومن سيذكر: محمد عوض محمد، عبد الحميد العبادي، السنهوري، يعقوب صرّوف، أجل، ذكر نفسه بعد مجموعة من الكبار ولدى تعداد أعلام التأليف في (تاريخ الأدب العربي في الصورة المنهجية): جرجي زيدان، وأحمد الاسكندري ... وحامد حفني (ص ١٧٠) — وصحيح أن بين الأسماء الكثيرة من حشر حشراً وليس بذي بال، ولكن هل يجد المؤلف ذلك مسوغاً للنص على اسمه ؟ يبدو.

١٣ — ونقف قليلاً عند «فهرس الأعلام في ضوء المنهج العلمي الحديث» — والقول : «في ضوء المنهج العلمي الحديث» للمؤلف.

أ — وضع تحت حرف الباء ص ١٨١ «برامبو — الشاعر الرمزي — وأحال على الصفة ١٢٣ من كتابه.

ومعلوم بديهيا أن اسم الشاعر يبدأ بالراء فهو رامبو أو (رانبو) على الأصح Rimbaud.

نرجع إلى الصفحة ١٢٣ فنجد أن المؤلف يصر على أن اسم الشاعر يبدأ بالباء فيقول — والحديث عن علي محمود طه «ونحن نوجه نظر الباحثين إلى أن الرومانسية في شعره لا تمنع أبداً من أن يتأثر بالرمزيين أمثال بول فاليري، وفرلين وبرامبوا ...» مع ملاحظة وجود الألف بعد واو «برامبوا»!.

ويضع في حرف الباء : [بول] «بول وفرجيني» ٨٩، ١٦١ كأنه يحسب «بول» هذا علماً أدبياً وليس بطلا في القصة التي عنوانها: «بول وفرجيني» . ترى لِمَ لَمْ يضع «فرجيني» في حرف الفاء؟.

ويضع في حرف الباء بلزاك «أنورية دي بلزاك» ويحيل على ص ١٦٢. ومن الخطأ وضع النقطتين على «أنوريه». ثم أن بلزاك يرد في صفحة أخرى — وربما صفحات أخرى — هي ١٢٧ فَلِمَ لم ينص عليها «فهرس الأعلام في ضوء المنهج العلمي الحديث».

ويصر المؤلف في الفهرس — مرة أخرى — على كتابة جرجي زيدان: جورجي زيدان وهو غير صحيح.

وفي حرف الحاء يضع نفسه : حامد حفني داود «المؤلف» ... ويحيل على صفحات منها (١٦١) ونرجع إلى الكتاب ص ١٦١ فلا نجد «حامد حفني داود» ثم يقول : ١٦٨، ١٧٠... الخ ونبحث في «الخ» من صفحات الكتاب فلا نجده ، علماً أن الكتاب ينتهي ص ١٧٢ ولا يرد للمؤلف ذكر في هذه الصفحة.

وفي حرف الدال نجد مجدداً «دي بلزاك» «اونوريه» ١٢٧، ١٦٢ وكأنه شخص آخر غير بلزاك الوارد في حرف الباء.

وفي حرف الدال : دي ليل «كونت دي ليل» ١١٩ ونعود إلى ص ١١٩من الكتاب فنجد «كونت دي ليل» و«ليل» ولا يدل المؤلف بذلك على علمه بحقيقة العلم الذي يتحدث عنه ويستشهد به ويضعه في فهرس أعلامه: إن اسمه الكامل «لكونت دي ليل» أي أن اللام جزء لا يتجزأ من الاسم فهو «لكونت Leconte» وليس «كونت».

ويذكرنا «فهرس الأعلام» بخطأ علمي كبير مر في الكتاب لدى الحديث عن «السريالية». يقول الفهرس «فرويد .. زعيم المذهب السريالي» ۱۳۰، ونعود إلى ص ۱۳۰ لنرى «المدرسة السريالية ... في أوائل القرن العشرين وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى ازداد خطر العلم الطبيعي في ميدان الأدب .. والعلماء .. راحوا يدرسون أعماق النفس البشرية ثم ينتقلون خطوة أخرى فيدرسون اللاشعور ويعتبرونه الفيصل الأول في سلوك الإنسان، وتزعم هذا المذهب «سيموند فرويد» الطبيب والفيلسوف النمساوي .. وتلميذاه «آدلر» و«يونغ» ... واعتبر فرويد منطقة اللاشعور أساس تصرفات الانسان، كما اعتبر الغريزة الجنسية محور ذلك كله ومن ثم انطلق وأتباعه يعممون أثر الغريزة الجنسية في حياة الانسان وطغيانها على نشاطه كله وبالتالي على سلوكه وتفكيره، وكذلك على الأدب .. وسموا هذا المذهب الجديد .. «مذهب الفرويدية أو السريالية».

أجل، هذا هو الخطأ، الخطأ الكبير: أن يكون فرويد هو الذي أسس «السريالية» وهو الذي سماها وأن «الفرويدية» مرادف للسريالية...

هذا غير صحيح .. ولكن الصحيح أن مؤسسي السريالية (بريتون وغيره) جعلوا «الفرويدية» أو «اللاشعور = العقل الباطن» أساساً ومنطلقاً للمذهب الفني ــ الأدبي الذي أسسوه وعرف بالسريالية.

والعجيب أن المؤلف لم يشر إلى بريتون من قريب أو بعيد، وإذا كان الأمر كذلك فهو لم يشر إلى الأعلام الآخرين مبتدئا بترستان تزار ومارا بالبوار واراكون .. وغيرهم وغيرهم..

وقد ذكر «برنشتين» الفرنسي الذي كانت قصصه تلقى رواجاً عظيماً في باريس.

ترى من يكون برنشتين هذا من تاريخ السريالية في فرنسا؟ أتراه يعني بريتون فتصحف الأمر، وإذا كان بريتون فلِمَ لا يذكر شعره ومقالاته وأفعاله؟.

ولِمَ لَمْ يرد اسمه بأية صورة من الصور في «فهرس الأعلام»؟!.

ونعود إلى برنشتين ــ إذا كان ولا بد ــ فنقول إن تاريخ الأدب الفرنسي يذكر بين أعلامه اسماً واحداً هو Henri Bernsein (١٨٧٦ ــ ١٩٥٣) ويذكره كاتباً مسرحياً. ولا يربط مجده بالسريالية.

يجب أن يذكرنا قول المؤلف باسناد تأسيس المذهب السريالي أدباً واسماً إلى فرويد بإسناده زعامة المذهب الواقعي إلى فولتير مع أن فولتير من القرن الثامن عشر والمذهب من أواسط التاسع عشر.

وفي حرف الكاف قال: «كانديد، مسرحية بقلم فولتير ۱۲۷» ــ وليست كانديد مسرحية وإنما هي حكاية ــ قصة. وإذا كان المؤلف لا يعرف ذلك ــ فكيف تحدث عنها ص ۱۲۷.

(٣)

تاريخ الشعر العربي ــ الجزء الثالث (من دخول بني بويه بغداد ــ إلى نهاية العصر العباسي (٣٣٤هـ ــ ٦٥٦هـ). تأليف الدكتور محمد عبد العزيز الكفراوي ــ الطبعة الأولى

١٩٦٧، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، مطبعة نهضة مصر — ٢٣٩ ص + ١.

١ — الكتاب لا يمكن أن يوصف بالعمق ... والمنهجية — الدكتور الكفراوي : أستاذ مساعد بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة .

٢ — ص ١١ — ١٢ «بنو مزيد أصحاب الحلة. الحلة: بلدة بالعراق بين الكوفة وبغداد .. اختطها سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي ... سنة خمس وتسعين وأربعمائة، ولكن إمارتهم على هذه المنطقة أقدم من هذا التاريخ، إذ يفهم من عبارة ابن خلكان أن علياً المذكور آنفاً والذي توفي سنة ثمان وأربعمائة كان مؤسس تلك الإمارة، ثم ولي الأمر بعده ابنه دبيس ودامت إمارته سبعة وستين عاما حيث توفي / سنة أربع وسبعين وأربعمائة. أما منصور بن دبيس فلم تطل أيامه حيث توفي سنة تسع وسبعين. وأما صدقة مؤسس الحلة، فقد قتل في حرب مع ملكشاه السلجوقي سنة خمسمائة، وولي الأمر بعده ابنه دبيس...».

أ — المصدر : وفيات الأعيان لابن خلكان. ولا بأس فهو جامع رغم وجود من هو أسبق وأهم.

ب — قوله : «أصحاب الحلة» وقوله «الحلة .. اختطها .. صدقة» وقوله «كانت إمارتهم على هذه المنطقة أقدم من هذا التاريخ»... فيه اضطراب وبه حاجة إلى دقة وتوضيح.

فلم يكونوا كلهم أصحاب الحلة، لأن صدقة وحده صاحب الحلة على أساس أنه هو الذي اختطها. وقد قال ابن خلكان في صراحة: «... صدقة .. صاحب الحلة..» ويمكن أن يضاف الذين جاءوا بعده إلى الحلة أو أن تضاف الحلة إليهم. إما أن يكون السابقون على تأسيس الحلة أصحاباً للحلة فغير ممكن ولا معقول.

جـ — قوله «... ولكن إمارتهم على هذه المنطقة أقدم من هذا التاريخ» — تاريخ تأسيس صدقة للحلة سنة ٤٩٥هـ — صحيح. ولو رجع إلى مصادر أخرى، كمعجم البلدان لياقوت .. لوجد أنهم أقاموا قريباً من بابل وفي منطقة بابل .. وأول من انتقل إليها جدهم علي بن مزيد .. وكانوا يسمون كل مكان يقيمون فيه حلة .. فهناك — إذاً — حلل لا حلة واحدة.

د — قال : «دبيس .. توفى سنة أربع وسبعين وأربعمائة». وقال ابن خلكان : «توفي ... دبيس ... سنة ثلاث وقيل أربع وسبعين وأربعمائة ...» — وابن خلكان ثقة في الوفيات.

هـ — قال «صدقة ... قتل في حرب مع ملكشاه السلجوقي سنة خمسمائة». وقال ابن خلكان: «... صدقة ... ملك العرب ... نافر السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب ارسلان السلجوقي وأفضت الحال إلى الحرب ... وقُتل الأمير صدقة ... في المعركة ... سنة إحدى وخمسمائة ... وذكر .... ابن الأثير في استدراكاته على السمعاني أنه توفي سنة خمسمائة والله أعلم...».

قتل صدقة — إذاً — في حرب مع محمد بن ملكشاه وليس في حرب مع ملكشاه!.

٣ — ص ١٢ «بنو بويه. جدهم بويه ... ينتهي نسبه إلى يزدجرد الملك ... زحفت عليهم جيوش بني سلجوق من الشرق، واستولوا على بغداد سنة سبع وأربعين وأربعمائة بقيادة طغريل بك».

أ ــ إن إنهاء النسب إلى يزدجرد جاء متأخراً، مفتعلاً، ادّعاه الأبناء بعد أن صاروا ملوكا ... ولو قال يدّعون النسب إلى يزدجرد، أو ينهون نسبهم إلى يزدجرد كان مقبولا.

ب ــ رسمُ حروف السلطان السلجوقي في الكتب المعتمد عليها لدى مؤلفين كالعماد الأصبهاني ... وابن الأثير ... وابن خلكان: طغرل بك أو طغرلبك ولم ترد فيها : طغريل بك.

والمؤلف يكرر رسمه طغريل بك كلما ورد ذكر السلطان (تنظر ص ١٩ مثلا)، وإذا كان معتمده في ذلك على كتاب أبي الفداء، فان أبا الفداء يرسمه مرة «طغريل بك»، ويرسمه مرات طغرلبك.

٤ ــ ص ١٩ ــ ٢٠ «طغريل بك ... عقد رباطا مقدسا مع الخليفة وتزوج ابنته. وإذا رأى [السلطان السلجوقي] أن [الخليفة العباسي ــ أي خليفة ــ] عقبة في سبيل أطماعه لم يتردد في إعلان الحرب عليه، كما فعل محمد بن محمود السلجوقي مع المقتفى، أو كما فعل السلطان مسعود مع المسترشد».

أ ــ توضيحاً للجملة الأولى نقول : إن طغرلبك خطب ابنة الخليفة واجيب إلى الطلب وعقد عليها ولكنه لم يدخل بها فلم يكن الزواج زواجاً بمعنى الكلمة ــ ينظر العماد الأصبهاني في «النصرة» أو البنداري في «الزبدة».

ب ــ لا يوجد ــ هنا ــ السلطان محمد بن محمود وإنما الصحيح في التسلسل السلطاني : محمود ابن محمد (وتنظر ص ٢١).

جـ ــ وليس صحيحاً أن يرد التسلسل التاريخي للخلفاء: المقتفي قبل المسترشد لأن التسلسل الخلافي هكذا : المسترشد، الراشد، المقتفي.

د ــ لم يحارب محمد بن محمود (إن وجد) المقتفي، والخلاصة في أمر المقتفي أن السلطان مسعوداً بعد أن عمل على قتل الخليفة المسترشد فقتله، ثم خلع ابنه الراشد أتي بالمقتفي ابن المستظهر خليفة عام ٥٣٠ مستضعفا إياه، ولزم الخليفة الصمت حتى مات مسعود سنة ٥٤٧ وهو ــ أي «المقتفي» الذي ثار حينئذ و«استقل» بالحكم وكأنه قضى على سلطان بني سلجوق في العراق ــ الفرق كبير.

٥ ــ ص ٢٤ : «.... ومن وزراء الدولة السلجوقية ... الحسين بن علي الطغرائي وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقي بالموصل ... ومن وزراء بني مروان الأكراد بميافارقين وديار بكر الحسين بن علي الوزير المغربي».

أ ــ لم يكن مسعود بن محمد السلجوقي حين وزر له الطغرائيّ بالموصل ... سلطانا، وإنما كان ملكا ... أما السلطان فكان محمود ...

٦ ــ ص ٢٧ : «الحياة العلمية ... شهدت هذه الفترة إنشاء المدارس كالأزهر بمصر والنظامية ببغداد...».

مهم أن يذكر انشاء المستنصرية.

٧ ــ ص ١٤٣ «أما الطائفة الثائرة الحائرة، فيمثلها الحسين ابن عبدالله البغدادي المتوفى سنة أربع وسبعين وأربعمائة، وقد روى له صاحب المعجم قصيدة طويلة تبدو فيها حيرته واضحة، نكتفي منها هنا بقوله :

بربك أيها الفـــــــــلك المدار
أقصد ذا المسير أم اضطرار ..

المعجم ٣٨/٤».

أ ــ اسم الشاعر : محمد بن الحسين ... وليس الحسين...

ب ــ ومناسب أن يذكر في تعريفه «ابن الشبل» لغلبة هذا في ذكره وشهرته .

جـ ــ الأشهر الأصح في تاريخ وفاته «المحرم من سنة

ثلاث وسبعين وأربعمائة».

د ـــ «صاحب المعجم» تعبير غير دقيق، فمن صاحب المعجم، وأصحاب المعجمات غير قليلين.

جاء في الإحالة بذيل الصفحة : المعجم ٣٨/٤. وننظر في «المراجع» ص ٢٣٦، فنرى «معجم الأدباء» فقط. ومعروف أن صاحب معجم الأدباء هو ياقوت، ولكن المعجم ـــ معجم الأدباء : إرشاد الأريب ـــ طبع أكثر من مرة. أما كان المناسب أن تُذكَرُ الطبعة المعتمد عليها في «المراجع»؟.

٨ ـــ ص ١٥٣ : «... قول أبي المظفر الأبيوردي لما استولى الفرنج على بيت المقدس سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة.

مزجنا دماء بالدموع السواجم

فلم يبق فيها عرضة للمراجم...»

ويحيل في ذيل الصفحة على نهاية الأرب ٥/٢٢٣.

أ ـــ يمكن الإحالة كذلك على «كامل» ابن الأثير.

ب ـــ بالقصيدة ـــ في نسبتها ـــ حاجة إلى وقفة تحقيق.

٩ ـــ ص ١٩١ «.... ومعظم شعر الفحول من هذا النوع مثل المتنبي والمعري وابن نباته السعدي، والأرجاني وعمارة اليمني، والغزي، وابن حيوس وأضرابهم».

كان مناسب أن يذكر من فحول العصر البويهي: الشريف الرضي ومهيار الديلمي. وأن يذكر من فحول العصر السلجوقي : الطغرائي والأبيوردي وحيص بيص ..

١٠ ـــ الكتاب : تاريخ الشعر العربي من تأليف استاذ جامعي، وأقل ما يقال في سرد «المراجع» (ص ص ٢٣٥ ـــ ٢٣٦).

أ ـــ أن تتوالى حسب نظام . وقد اختار الأستاذ المؤلف توالي المراجع حسب حروف الهجاء، ولكنه قدّم «مجلة المجمع العلمي...» على «لزوم ما لا يلزم» أي الميم على اللام.

ب ـــ وأن يذكر مع اسم المرجع اسم مؤلفه، ولكن الأستاذ المؤلف ذكر أكثر من كتاب بدون ذكر لاسم مؤلفه ومن ذلك: تتمة اليتيمة، خريدة القصر،... الميزان في الأقيسة والأوزان، نهاية الأرب..

ج ـــ وأن يذكر بعد ذلك اسم المحقق ـــ إن وجد ـــ وقد وجد ولكنه لم يذكره...

د ـــ ولم يلتزم بذكر سنوات الطبع..

هـ ـــ قال ص ٢٣٥: ديوان الأبيوردي (ط بالشام)، ولم يكن ديوان الأبيوردي سنة ١٩٦٦ قد طبع في الشام، وإنما طبع في بيروت.

و ـــ الكتاب : تاريخ الشعر العربي ... وأقل ما يفترض المنهج العلمي أن تكون في المراجع دواوين شعراء العصر (٣٣٤هـ ـــ ٦٥٦هـ) كلهم، وهذا ما لم يحدث، فانك لا تجد دواوين الشريف الرضي، أبي فراس الحمداني، الطغرائيّ، صرّدر، الصادح والباغم ونتائج الفطنة من منظومات ابن الهبارية، ديوان الأرجاني ... لا تجدهم هنا في «القائمة» ولا تجدهم في صلب الكتاب من متن وحاشية، وإذا كان كتاب اسمه: «تاريخ الشعر» أخل بالدواوين (المطبوعة)، ودواوين أهم الشعراء ـــ ولم نرد لدى ذكرهم إلى الاستقصاء ـــ فهل يعد بعد ذلك «تاريخ الشعر».

١١ ـــ قال المؤلف في المقدمة: «... هذا الجزء ...أوليته كل ما يستحق من عناية احتراما مني لوقت القارىء وفكره ...» وإذ يفتقد القارىء عدداً مهماً كبيراً من الدواوين يتردد في قبول مقدمة الأستاذ المؤلف ...

من تراثنا الأدبي والحضاري المجهول

شاعران لدودان

صلاح الدين المنجد

في أوائل القرن الماضي، وعلى التحديد سنة ١٨١٩ ميلادية، الموافقة سنة ١٢٣٥ هجرية، ولد في حماة في سورية، شاعر مشهور، لعب دوراً كبيراً في الأدب الشامي في عصره، هو محمد ابن هلال الذي عُرف بالهلالي.

نشأ في هذه المدينة الغافية على صدر نهر العاصي، فأخذ علوم اللغة العربية عن علمائها، فلما شبَّ تفنن في الأدب، ونظم الشعر والموشحات، فبرع وأبدع. وطار صيتُه وسار ذكرُه. لكن بلبل الحي لا يُطرب، فآنس جفوةً من أهل بلده، حتى هجاهم في قصيدة رائية شهيرة، ومما قال :

كانت حماةُ الشام تُدعى شامةً بين البلاد، وللحُماةِ ديارا
واليوم حُمّى شؤبها عمّتْ فلا تروى لها السبعُ البحار أُوارا
هي منبتي ، وإلى حِماها يَنتَمي وَلَرُبَّ شَوْكٍ أنبتَ الأزهارا
بَلَدٌ بها الخُفّاشُ أصبح ناطقاً واليومُ أمسى بُلْبُلاً وهَزَارا

ثم وصف بعض مناكيده فيها فقال :

حُمُرٌ لقد خُلِق الشعيرُ لهم فلا عَجَبٌ إذا لم يفهموا الأشعارا

وأمام هذا اليأس المرير من بلده وأهلها، عزم على الهجرة. فانتقل إلى دمشق، ففُتحت له صدور المجالس، وأقبل عليه الأدباء والظرفاء يحفظون شعره ويتناشدونه. وكان بدمشق يومئذ الأمير العالم المتصوف عبد القادر الجزائري، فاتصل به الهلالي، ولقي منه الإعجاب والتقدير. فأمده بإحسانه، وغمره بعطفه. فطاب له المقام بدمشق، وارتفعت مكانته، كل هذا وشعره يغزو القلوب، ويدور على الألسنة، ويُنْشَدُ في المجالس والمحافل.

كان شعر الهلالي يدور، أكثر ما يكون، على الغزل والموشحات ، والمديح والتهاني، وتأريخ المناسبات، وله أدوار غنائية ذاع صيتها. وفي هذه الأنواع الأدبية كان الغزل هو الطريق إلى ما يريد. وكان رقيق العاطفة، حلو اللفظ، سهل التراكيب. وكان شعره، بالنسبة إلى القرن الماضي، مما يستظرفه الناس ويحلو لهم.

استطاع الهلالي أن يتبوأ بدمشق أرفع مقام. فلم يغادر وزيراً من وزرائها، ولا كبيراً من كبرائها، إلا مدحه. ولا شيء كالثناء والمديح يفتح القلوب، ويُكسِبُ الودّ والحب.

وكان هناك شاعر آخر معاصر للهلالي اسمه مصطفى زين الدين الحمصي، المشهور بالزيْني. كان هذا من حمص، وحمص قريبة من حماة. ولا يخلو أهلوهما من المنافسة التي تكون عادة بين البلدان. وكان قد وُلد بحمص حوالي سنة ١٨٣٠ ميلادية/ ١٢٤٦هـ. فتعلم بها، وقرأ الكثير من كتب الأدب والتاريخ، وطالع الكثير من دواوين الشعراء، وحفظ العديد منها. ونظم الشعر، وتعلم الموسيقا، وأوتي صوتاً حلواً ندياً. كل هذه الصفات هيأته أن يُصبح سمير العلماء. ثم اتصل بالشيخ أبي النصر

ابن عمر اليافي، فصحبه معه إلى الآستانة، ونزلا عند عبدالله باشا أحد الوزراء في عهد السلطان عبد العزيز بن محمود خان. وكان الزيني يُنشد في مجالس الذكر، فتعج مجالسه بالحاضرين لسماع صوته.

ثم رحل إلى الحجاز، ولما عاد إلى الشام وجد أن شعر الهلالي قد راج وذاع، وأن الناس معجبون به راغبون فيه، يطلبون في مدحه، ويُكثرون من إنشاده. فداخله، على الأغلب، الحسد منه، أو ثارت فيه العصبية الحمصية ضد أهل حماة، فأخذ في معارضة قصائد الهلالي.

إن معارضة الشعراء بعضهم بعضا أمر مألوف. وقد يكون على الأغلب استحسانا للقصيدة التي عورضت. فينظم الشاعر قصيدة من البحر نفسه، والقافية نفسها، في الموضوع ذاته أو موضوع أجلّ شأناً. لكن الزيني لم يكن في معارضاته ليقصد إظهار الإعجاب بقصائد الهلالي، بل كان هدفه الغض منها أو تحويل القلوب عنها. فعدل عن التغزل — كالهلالي — بالحسان والحور والبدور إلى وصف المآكل والموائد والقدور. فإذا وصف الهلالي العيون الفاتنة، والثغور الباسمة، والشعور الفاحمة، والزنود البضة ، عارضه الزيني بوصف المحاشي الدسمة، والفتات الشهية، واللحوم اللذيذة. فما ترك لوناً من ألوان المطاعم والمآكل إلا ذكره وتغزل به، وحث على التهامه وطلبه. ولقد كان صادقاً فيما يقول، فقد عُرف أنه أكول عظيم، مُوْلَعٌ بحب المآكل واللحوم. ورغم كثرة أكله، عاش أكثر من سبعين سنة. ولم يكن موته بسبب بطنه، بل بنزلة صدرية أصابته سنة ١٣١٩هـ ، وأودت به، ودفن في حمص.

ماذا كان أثر هذه المعارضات الزَّيْنيّة في شعر الهلالي؟

لقد لقيت رواجاً ما بعده رواج. ووجد الناس فيها متعة وطرافة. فصدفوا عن قصائد الهلالي ورددوا قصائد الزيني، فأصاب الهلالي الهم والغم، وغضب وحنق، وقام وقعد. فأي بلاء أعظم من هذا البلاء؟ وراح يرثي لحاله، ويأسف على إهمال نظمه، وقد فاق نظمه، على حد قول البيطار مؤرخ ذلك العصر «الدر المنثور». وعصفت به الوساوس والأوهام، وأصابه الخوف والذعر، حتى صار إذا نظم قصيدة أخفاها حتى لا تصل إلى الزيني فيعارضها، مشوهاً معانيه، مبدلاً ألفاظه ومبانيه.

وكان الهلالي يبالغ في ذم الزيني، ويدعو عليه دائماً: لا أشبع الله بطنه. وكأن الله استجاب له، فما كان يفتأ يأكل ولا يشبع.

وفي سنة ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م توجه إلى حماة الشيخ خالد الأتاسي مفتي حمص. فرافقه الشيخ الزيني. فجاء الهلالي يُهنئه بالقدوم، وقدَّم له قصيدة مطلعها :

بصفـــــا قُدومِكَ طابت الأوقـــــاتُ
وبِـــرَاحِ لُطْـــفِكَ غَنَّتِ الكـــاساتُ

فقبلها الشيخ خالد وأجازه. فأخذ القصيدة من كان برفقة الشيخ خالد، وأعطوها للزيني، فعارضها وقال :

من لحم ضأنٍ نُوِّعتْ أكلاتُ   بالْهَبْرِ منه طابت الكُبَّاتُ

وكان قصدهم إثارة الشر بين الشاعرين. وبلغ الهلالي ما قاله الزيني، فثارت ثائرته، وأقسم لَيَهْجُوَنَّ كل من في حماة، من كبير وصغير، إن لم يُرَحِّلوا الزيني عنها، فأشاروا عليه أن يرفع دعوى على الزيني عند متصرف لواء حماة محمد باشا اليوسف. ففعل. وتآمروا عليه لتكون الدعوى وسيلة للضحك والتسلية، وهكذا كان. وانتهت المحاكمة بأن تصالحا، وتصافحا، وقبّل كل منهما ذقن الآخر. وأعطى الباشا كلاً منهما ديناراً ذهباً عثمانياً. فلما خرجا قال الهلالي لصاحبه : اعلم يا حمصي أني لا آمنُ من صُلحك. وأخاف أن تذهب إلى بلدك فتعود لما كنت عليه. فخذ جائزتي هبةً لك. ولتكن توبتك من قلبك. فعاهده الزيني. وافترقا. لكن الزيني ما لبث أن عارضه بعد أيام.

ومات الهلالي بدمشق سنة ١٣١٢هـ /١٨٩٤م وكله غم وألم، وعاش الزيني بعده سنوات.

وإذا كانت قصائد الهلالي والزيني معا تؤرخ لناحية من النواحي الأدبية في بلاد الشام في القرن الماضي، فإن معارضات الزيني تمدنا بكثير من أسماء المآكل التي كانت شائعة في بلاد الشام. وتدل على ازدهار المطبخ الشامي. وقد اشتهر الشاميون بجودة مآكلهم، وحسن طعمها، وكثرة تنوعها.

فمن المآكل التي ذكرها في شعره :

الخرفان المحشوة
الكُبّة على أنواعها
اليَبْرق
الملفوف المحشو
الباذنجان المحشو
القَرْع المحشو
الديوك والدجاج المحشية
اللحمة المُقمّعة بالبيض
الشاكرية مع الأرز
الكشك باللبن
الفريكة
العِجّات (جمع عجّة) على أنواعها
اللحم المشوي على الفحم
الصفيحة
القَبْوات
السُجُقات
الفَتّاتُ على أنواعها
مناسف الأرز المكللة باللحم كالبروج
الشيخ المغشى عليه
الجزر المحشو ... وغير ذلك.

ومن الحلويات ذكر :

الكُنافة البصما بالقشطة
وقطائف الجبن، والقشطة
والأرز بالحليب
والكُلّاج
والمفروكة بالجوز والصنوبر
والبرما المجدولة
وكشك الفقراء بالحليب ، وغير ذلك.

ولنقدم نموذجا من شعر الهلالي ومعارضة الزيني.

قال الهلالي :

يا بَدْرَ حُسْنٍ كم سهرتُ أُراقِبُه
والليلُ قد مالتْ للغروب كواكِبُه
ما من كليم الوجْد أنتَ مُخاطِبُه
إلّا ومغناطيسُ حُسْنِكَ جاذِبُه
للحان والألحان
هِمْ يا أخا الأشجان
في الحور والولدان
فالحبّ دينٌ، والجمالُ مذاهِبُه.

فعارضه الزيني :

يا صَدْر بَصْما كم بَرَزْتُ أُحارِبُه
والقطْرُ طابَتْ للنفوس مشارِبُه
ما من أرزٍ واللحومُ تُصاحِبُه
إلّا ومغناطيس بطني جاذِبُه
بالكفّ والأسنان
بالله يا جوعان
قُمْ سَقْسِقِ الرُّغفان
فالجوعُ شيْنٌ والطعام يُناسِبُه

ومن شعر الزيني معارضاً إحدى قصائد الهلالي :

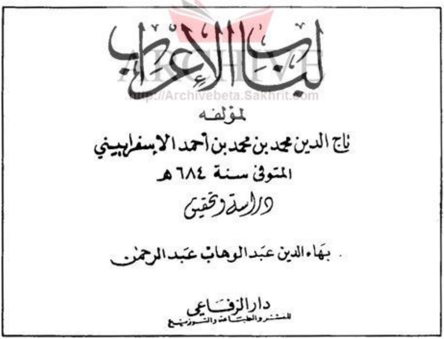
يا طابخ الضِّلْعَ السَّمين أما ترى
جوعي ومَخْمَصتي وسيئة حالي

ما العشقُ إلّا أن تهيم بكُبّةٍ
حمراء تُهدى، لا بذاتِ حِجالِ
والليثُ مَن صدَم الموائدَ، بل جثا
مُتربّعاً، لا مُبتغٍ لنزالِ

ولا تتسع هذه المقالة لذكر أكثر من هذا.

وقد جُمعت قصائد الهلالي ومعارضات الزيني في كتاب اسمه «تذكرة الغافل عن استحضار المآكل». طُبع في حماة قبل مئة عام، كما طُبع ديوان الهلالي وحده في حماة أيضاً. وكلاهما من تراثنا الأدبي والحضاري، الممتع الطريف[1]. الذي يجهله الكثيرون.

(١) أنظر عن الهلالي والزيني تاريخ البيطار، ومعجم المؤلفين ٣٠٨/١١، واعلام الزركلي ٣٠٠/٧ و١٣٤/٨.



التجهيزات الأساسية للمعلومات

رسالة دكتوراه لعلي النملة

Ali I. Namlah. (1984).
Infrastructure of Information Needs and Resources in the Country of Saudi Arabia: An Assessment. A Ph. D. Dissertation. M.A. Baxter School of Information and Library Science. Case Western Reserve University. Cleveland, Ohio. United States. May 1984.

علي ابراهيم النملة (١٤٠٤).
التجهيزات الأساسية للمعلومات من حيث المصادر والاحتياجات في المملكة العربية السعودية. رسالة دكتوراه مقدمة إلى مدرسة م.أ. باكستر للمعلومات والمكتبات. جامعة كيس وستر رزرف كليفلاند، أوهايو، الولايات المتحدة الأمريكية. مايو ١٩٨٤م .

تتكون الدراسة من خمسة فصول وتسعة ملاحق بالاضافة إلى الخلاصة والمراجع. الفصل الأول: يتحدث عن التجهيزات الأساسية للمعلومات عموما ويقترح الأطروحة. الفصل الثاني: حديث عن المملكة العربية السعودية من حيث نشأتها وموقعها واقتصادها وتنميتها ووضع العلوم والتكنولوجيا فيها. الفصل الثالث: استعراض لما كتب عن المملكة العربية السعودية في مجالي المكتبات والمعلومات في الدوريات والكتب الصادرة باللغة الانجليزية يتبع ذلك ما كتب عن الدول العربية فيما يتوقع أن تكون المملكة مدرجة فيها ثم حديث عما يسمى بالدول النامية من جهتي التقنية في المعلومات وسياسات المعلومات. والفصل الرابع: دراسة إحصائية لحالة المعلومات في المملكة العربية السعودية والفصل الخامس والأخير: مناقشة لنتائج الدراسة واستنتاجات واقتراحات وتصورات لحالة المعلومات في المملكة العربية السعودية وما يتوقع أن تكون عليه. وهذا عرض شامل لهذه الدراسة :

التجهيزات الأساسية للمعلومات في أية بيئة تتلخص في مقومات رئيسية خمسة تقوم عليها المعلومات :

أ ــ القوى البشرية «المهرة».
ب ــ تكنولوجيا المعلومات.
جـ ــ المؤسسات التعليمية للمعلومات.
د ــ سياسات المعلومات الوطنية والعالمية.
هـ ــ استخدام ومستخدمو المعلومات .

وعلى هذه العوامل الخمسة تقوم هذه الدراسة التي تعتمد على البحث العلمي القائم على استعمال الأساليب الاحصائية «الوسائل العددية أو الكمية». واستعمال هذه الوسيلة الاحصائية دعا إلى مسح شامل لحالة المعلومات في المملكة العربية السعودية، ومن أجل الوصول إلى صورة واضحة عن حالة المعلومات في المملكة العربية السعودية ، فقد عمد الدارس إلى الاستعانة بالأسلوب المقارن وعليه فقد ادرجت في الدراسة عينة

من اثنتي عشرة دولة بما فيها المملكة العربية السعودية وهذه العينة مختلفة في مستوى تنميتها .

وقد ساعدت هذه الدراسة على تصنيف المملكة العربية السعودية من حيث مستواها بين الدول في مجال المعلومات، كما ساعدت على ابراز نقط القوة والضعف لدى البلاد في المجال ذاته. ولعل ما يأتي على رأس قائمة نقاط الضعف هو التخلخل الملحوظ في المجال الأول من مجال التجهيزات الأساسية للمعلومات والمتمثل في عنصر القوى البشرية. وتأتي تكنولوجيا المعلومات نقطة ضعف أخرى ولعل هذا ناتج عن فقر العربية في هذا المجال وتواني رجالها في استخدام الآلية في مجال المعلومات. أما العنصر الثالث المتعلق بالمؤسسات التعليمية فتكاد المملكة تقف فيه في الوسط بين الضعف والقوة ، إذ أن في المملكة العربية السعودية أكثر من قسم يدرس للمكتبات والمعلومات، إلا أن عاملا من عوامل المؤسسات التعليمية مفقود لدينا وذلك المتمثل في وجود جمعية للمكتبات والمعلومات تساهم مساهمة فعالة في تقنين هذا العلم ومتابعته وتطويره والسير به جنباً إلى جنب مع ما يناسبه من القطاعات الأخرى التي تخضع لأساليب خطط التنمية .

وأما العامل الرابع المتعلق بسياسات المعلومات فيراد من ورائه وجود نظام مكتوب متفق عليه للمعلومات يحدد فيه عوامل متعددة مثل الملكية وأساليب التحفظ والأمن للمعلومات ونحوها من تحديد المستفيدين من المعلومات وكيفية الاستفادة والاحتفاظ للأفراد بحقوقهم من المعلومات وما هو مشاع منها ونحو ذلك. والمركز الوطني للعلوم والتكنولوجيا ممثل في قسم المعلومات والخدمات الفنية يسعى إلى إيجاد مثل هذا النظام بالتعاون مع الجهات المعنية الأخرى .

ويبقى من العوامل الرئيسية في التجهيزات الأساسية للمعلومات العامل المتعلق باستخدام ومستخدمي المعلومات. وتكشف الدراسة أن هذا العامل يعتبر أقوى العوامل لا من حيث الاستخدام القائم فحسب بل من حيث استخدام المعلومات مستقبلا، كما أن مستخدمي المعلومات في تزايد واضح ولعل هذا ناتج عن الوعي الذي بدأ يأخذ دوره بين فئات مختلفة من المتعلمين وعلى رأسهم أولئك المنتسبون إلى الجامعات السعودية من أعضاء هيئة تدريس وباحثين. وهذا بدوره دلالة على أن الشعور بأهمية المعلومات في التنمية بدأ ينمو.

وعلى غرار دراسة هذه العوامل الخمسة تنتهي الفصول الخمسة بالتصورات التي يراها الدارس خطوات مناسبة وعملية في سبيل النهوض بدور المعلومات إلى الأفضل. وقد بنيت هذه الخطوات على تتبع لنقاط الضعف ومحاولة لتبريرها ومن ثم اقتراح الحلول للتغلب عليها. وتؤكد الدراسة على دور المركز الوطني للعلوم والتكنولوجيا متمثلا في قسم المعلومات والخدمات الفنية في أن يلعب دوراً فعالاً في تنمية المعلومات من خلال السعي نحو التنسيق بين المؤسسات التعليمية ومراكز المعلومات في جهات مختلفة من قطاعات الدولة، ومن خلال ترسيخ فكرة التعاون بينها وحثها على احداث شبكة عمل وطنية وما يتبع ذلك من اتفاق أو تقارب في استخدام انظمة المعلومات من حيث الأجهزة ومن حيث البرامج.

وتختم الدراسة باقتراح القيام بإعداد دراسة مماثلة للدراسة هذه مع تغيير في العينة بحيث تشمل العينة مجموعة من المناطق تشترك في كثير من المقومات مثل مناطق الخليج والدول العربية .

رسائل جامعية : تعريف ونقد

أكرم ضياء العمري
قسم الدراسات العليا ـــ الجامعة الاسلامية

ابن زنجويه / كتاب الأموال.. تحقيق شاكر ذيب فياض. ـــ مكة المكرمة : كلية الشريعة بجامعة أم القرى، ١٣٣٤ ص رسالة دكتوراه.

رغم أن كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلّام ـــ شيخ ابن زنجويه ـــ مطبوع، فإن كتاب الأموال لابن زنجويه يضيف روايات أخرى قد تبلغ نسبتها ٢٠٪ من مجموع الروايات، وبقية الروايات منقولة من كتاب الأموال لأبي عبيد، وهذه النسبة تعطي قدراً من الاضافة العلمية تكفل نجاح الموضوع. ولا تقل الاضافات العلمية التي سجلها المحقق في الحواشي أهمية عن الروايات الزائدة، وهي تتمثل في الحكم على الروايات التي يبلغ عددها ٢٤٨٩ نصاً، وتخريجها والحكم عليها والتعريف برجال سندها عمل شاق، لكنه مهم جداً لأن معظمها في الميزانية المالية للدولة الاسلامية في صدر الاسلام، فهي تتناول الخراج والجزية والعشور ... وقد اعتمد الفقهاء على بعضها في الأحكام، واختلفوا في أمور، فالحكم عليها من حيث الصحة وعدمها له أثر قاطع في بيان الراجح والمرجوح من هذه الآراء. وبذلك توطىء هذه الرسالة الجامعية الافادة من الكتاب أمام الفقهاء المعاصرين بتمكينهم من اختيار الأدلة القوية لآرائهم في النظام الاقتصادي الاسلامي. ورغم أن تلك الأحكام على الروايات تتوقف على ملكة الباحث وتمكنه من علم مصطلح الحديث ومعرفته بمسالك النقاد القدامى في الوصول إلى الحكم الصحيح فإن المحقق أدلى بدلوه وتمكن في مواضع عديدة من الكشف عن العلل وبيان درجة الصحة.

ولا شك أن قراءة هذا النص بصورة صحيحة تحتاج إلى تذوق عال للغة العربية ومدلولات ألفاظها في القرنين الأولين للهجرة، مع الفاصل الزمني بين لغتنا المعاصرة وبينها سواء بسبب تدني مستوى لغتنا العربية في هذا الجيل أو بسبب التطور اللغوي الطبيعي. وقد تمكن المحقق من اجتياز هذه العقبات فقدم النص بلغته القديمة سليماً بعد أن بذل جهداً كبيراً في القراءة الصحيحة وجهداً أقل في تيسير النص وبيان مراده عندما يحيط الغموض النص.

وقد جاءت دراسة المحقق التي قدم بها للنص وجيزة مركزة تقتصر على ما يلزم لتقديم نص محقق في حين أن رسالة الدكتوراه ينبغي أن تختص بدراسة أعمق تتناول تحليل المادة العلمية التي يتضمنها النص المحقق.

ابن عبد البر القرطبي/ كتاب الاستغنا في معرفة الكنى، تحقيق عبدالله مرحول السوالمة.ـــ مكة المكرمة : كلية الشريعة بجامعة أم القرى، ١٦٠٨ ص. رسالة دكتوراه.

الكتاب يستحق النشر لمكانة مؤلفه العلمية، وخاصة في الحديث وعلومه، ولأهمية الكتاب في فنه من حيث استيعابه لعدد

كبير من أصحاب الكنى (٢٥١٣ ترجمة) وقد ألفه ابن عبد البر بعد كتابيه (التمهيد) و(الاستيعاب). لكن ابن عبد البر لم يسمه بكتاب (الاستغنا في معرفة الكنى) بل جعله ثلاثة كتب لها مقدماتها وعناوينها،وليس في مخطوطاتها التي وصلت الينا هذا العنوان الذي وضعه المحقق لها، دون أن يسوق أدلة قاطعة على ما ذهب إليه. والمخطوطات قديمة كما يدل خطها المغربي الذي يشبه خط نسخة (تاريخ خليفة بن خياط)، وكلتاهما في خزانة زاوية تمكروت بالمغرب، ولعل علماء الخطوط وخبراء المخطوط يتعاونون في تحقيق تاريخ نسخها على وجه القطع.

وقد انصب جهد المحقق على ضبط النص والتعليق عليه، وحل مشاكل النسخة الفريدة التي اعتمد عليها، فقد خرَّج التراجم، وضبط الشكل بالحروف، وعرَّف بالاعلام، وعزا النصوص إلى أصولها في الكتب التي اقتبس منها ابن عبد البر وإلى المصادر التي اقتبست منه معا،وخرَّج الأحاديث والآثار. وكل هذا يمثل جهداً ضخماً يحمد له، ويشكر عليه.

ولكن التعليقات لا تخلو من حشو سببه عدم وضوح المنهجية في التحقيق ــ على الأغلب ــ ، وهي مشكلة تعاني منها كتب التراث المحققة لتعارض المنهجين المعمول بهما في تحقيق النصوص العربية، فهما منهجان متناقضان، أحدهما يقتصر على ضبط النص دون التعليق عليه. أو بالتعليق اليسير الذي لا يأخذ من الصفحة سوى السطر والسطرين، ويتناول غالبا اختلافات النسخ.

والآخر يثقل النص بحواشي تضاعف حجمه.

وقد اختار المحقق المنهج الثاني، لكنه توسع فيه، فجاءت التعليقات مسهبة لا يضبطها ضابط، والحق أن لا بد من امساك القلم فلا يسطر في الحواشي إلا ما يلزم لتيسير النص للقارىء او التنكيت عليه باقتضاب.

أما الدراسة التي قدم بها المحقق للنص فهي لا تتناسب مع مستوى التحقيق، رغم أهمية الدراسة في الكشف عن مستوى المحقق الفكري واللغوي وقدرته العقلية على التحليل والتركيب.

وللأسف فإن الدراسات التي تتقدم النصوص المحققة في معظم الرسائل غدت تقليدية ومتماثلة في عناوينها بحيث يمكن طبع العناوين (كليشيه) وختم هذه المقدمات بها دون أن يغضب أحد؟؟.

فقصة قوائم الشيوخ والتلاميذ والمولد والوفاة وأسماء المؤلفات ــ مجردة ــ تطالعنا بها معظم الرسائل على نمط واحد.

ودراسة المحقق في مقدمة كتاب (الاستغنا) ــ كما سمّاه ــ من هذا النمط التقليدي، وكان بوسعه ألا يسلك الجادة وأن ينبذ التقليد وأن يتناول موضوعات طريفة كالمقارنة بين ابن عبد البر والخطيب البغدادي، فكلاهما محدث اهتم بعلم الرجال وبالكنى، وهما متعاصران، أحدهما مشرقي والآخر اندلسي فالمقارنة بينهما تتسم حتما بالطرافة والجدة.

ثم دراسة موارد ابن عبد البر في الكتاب حيث لا نجد عنها سوى إشارات عارضة لمصادر عبارات الجرح والتعديل في حواشي النص المحقق.

لقد أدى إغفال هذه الدراسة للموارد إلى عدم المقارنة مع بعض مصادر ابن عبد البر التي اقتبس منها في مؤلفه هذا مثل تاريخ ابن أبي خيثمة الذي وصلت إلينا منه قطعة كبيرة، ويبدو من هذه النقول أن ابن عبدالبر اعتمد أيضاً على سؤالات ابن أبي خيثمة لابن معين ــ وهو مفقود ــ وكذلك أغفل المحقق المقابلة مع كتاب التمييز لابن المديني.

وأيضاً كان بوسع المحقق تحليل ودراسة مؤلفات ابن عبد البر وذلك لاعطاء تقويم شامل لثقافته .

إن الاهتمام بالدراسة التي تتقدم النصوص المحققة لنيل درجة الدكتوراه ينبغي أن يكون في المقام الأول للتأكد من جدارة المتقدم وأهليته للمشاركة في البحث العلمي عندما يحتل مقعده

في الجامعات .

وخلاصة القول فإن جهد المحقق رائع في التعامل مع النص مع الحاجة إلى بعض التنقيح، وجهده في الدراسة دون ذلك بكثير .. ونحن بانتظار نشر هذا الكتاب النفيس .

العمري، محمد علي / الحافظ مغلطاي ومنهجه في كتاب إكمال تهذيب الكمال.ــ المدينة المنورة : قسم الدراسات العليا بالجامعة الاسلامية، ١١١٩ ص، رسالة دكتوراه.

لا شك أن إختيار الموضوع لنيل درجة الدكتوراه سليم من الناحية العلمية، فالحافظ مغلطاي لم يُدْرَس ، وكتابه لم يُحقَّق من قبل، وقد استفاد منه الحافظ ابن حجر بنطاق واسع في كتابه (تهذيب التهذيب) حيث جمع فيه بين تهذيب الكمال للمزي واكمال تهذيب الكمال لمغلطاي، ولكنه تخيَّر النصوص من كتاب مغلطاي ولم يضمنه كتابه على الوجه . ولم يصرِّح الحافظ ابن حجر باسماء المصادر التي اقتبس منها مغلطاي في كثير من المواضع طلباً للاختصار، فجاء تحقيق كتاب مغلطاي لتوضيح تلك المصادر والكشف عن نسخها التي كانت متداولة في عصر مغلطاي وبيان جودتها وصحتها، وليضيف معلومات أخرى في الجرح والتعديل وأخبار الرواة على ما أورده الحافظ المزي من قبله، مع استدراكه عليه أوهاماً وقع فيها في النسب والأسماء. والكتاب ثروة ضخمة لما يحتويه من أسماء المصادر التي فقد الكثير منها، ولم يبق سوى الاقتباسات عنها في المصادر اللاحقة، والتي يعتبر كتاب مغلطاي من أوسعها إقتباساً وتعريفاً بتلك المصادر.

وقد بذل المحقق جهداً كبيراً في ضبط النص، فجاءت قراءته له صحيحة ، كما نجح في التعريف بالاعلام، وأحسن في ضبط الحواشي بحيث لا تطغى على النص الأصلي. وبذلك كشف عن تذوقه للتحقيق العلمي وقدرته على المشاركة فيه بمستوى طيب. وقد عزا معظم النصوص التي اقتبسها مغلطاي إلى مصادرها، وهو جهد كبير لا يقدره حق قدره إلا مَنْ كابد فن التحقيق، وأدرك صعوبة مثل هذا العمل، مع ضعف مكتباتنا وعدم توفر الكثير من المصادر فيها، وضعف الخدمات الفنية، حيث يعتمد المراجع على جهده الشخصي فقط.

وقد كتب المحقق دراسة مستفيضة عن الحافظ مغلطاي وكتابه الاكمال لكنه لم يبحث موارده مع طرافتها في التعريف بمكتبة مغلطاي،وقد صرح مغلطاي بسماعه لمجموعة من الكتب التي اقتبس منها لكن ذلك قليل بالنسبة لضخامة المكتبة التي اقتبس منها.

وتحتاج الدراسة إلى توضيح كيفية استفادة الحافظ ابن حجر من (اكمال التهذيب) لمغلطاي، فانها كشفت أن معظم إضافات ابن حجر على الكمال للمزي والتي أوردها بعد عبارة (قلت) من كتاب مغلطاي دون التصريح بذلك في كل موضع.

وقد يتوهم القارىء أن الحافظ ينقل دون عزو، وهي تهمة شنيعة لا يدفعها إلا الاطلاع على مقدمة الحافظ ابن حجر لتهذيب التهذيب وفيها أنه راجع الأصول التي اعتمدها مغلطاي مباشرة، وتثبت من صحتها، وعزا إلى الأصول الأولية مباشرة، ومع ذلك فقد أنصف عندما بين أنه استفاد من كتاب مغلطاي في التعرف على تلك الأصول، وهذا ينفي السرقة الأدبية عن الحافظ ابن حجر ويوضح أمانته ودقته. ويلاحظ أن ابن حجر انتقى النصوص ولم يسرد كل ما ذكره مغلطاي. كما أضاف من مصادر لم يستعملها مغلطاي أحياناً، وربما اقتصر عليها دون الاضافة من كتاب مغلطاي.

وهذه الملحوظات تحتاج الدراسة إليها لدفع الوهم في اتهام الحافظ بن حجر بالانتحال .

أحمد، عبد القادر/ منهج لتصنيف موسوعة حديثية جامعة.ــ المدينة المنورة: قسم الدراسات العليا بالجامعة الاسلامية، ٧٥٦ ص، رسالة ماجستير .

تعالج هذه الرسالة ــ التي أُعِدَّتْ لنيل الماجستير ــ موضوعاً يتصل بحاضر الثقافة الاسلامية، وتقدم مقترحات عملية تخدم تطوير المعرفة لصالح هذه الثقافة، والموضوع كثر الكلام فيه خلال السنوات الأخيرة، وهو كيفية بناء موسوعة حديثية تيسر الرجوع إلى الأحاديث للمحدثين والفقهاء والباحثين.

والرسالة محاولة للوصول إلى رؤية واضحة وتصور متكامل من خلال التعامل مع الواقع متمثلا بالمصادر المتوافرة، والامكانات المتاحة في عالم التكنولوجيا من ناحية، والخبرات البشرية من ناحية أخرى.

وقد حاول الباحث في المجلدة الأولى أن يقدم تصوره عن المصادر المتكاملة التي ينبغي تغذية الكمبيوتر بها، فحدَّد «قائمة كتب مقترحة» مستفيداً من اختيار أصحاب الموسوعات الحديثية الأولى أمثال المزي والسيوطي، وحاول أن يوضح الأسس التي تعتمد في تنظيم عملية تغذية الكمبيوتر فاقترح التقسيم الموضوعي الفقهي . ثم تكلم بإسهاب عن صناعة الفهارس وما يلزم للموسوعة من فهارس متنوعة مستفيداً من تاريخ صناعة الفهارس في القرن العشرين، وقد حشد خبرات الآخرين بشكل ييسر المقارنة بينها والافادة منها .

وخصص المجلدة الثانية لتوثيق كتب «القائمة المقترحة» وأسهب في الكلام عن مؤلفيها مما أدى إلى تبديد طاقته وتفلّت بعض جوانب الموضوع الهامة منه، مثل إكمال القائمة المتعلقة بالمتون الحديثية لتصبح وافية بالغرض من الموسوعة، ومثل إنجاز قائمة مقترحة ، مماثلة من كتب علم الرجال، ومثل تحديد القواعد الضابطة لعمل الكمبيوتر من خلال كتب المصطلح.

ومن الغريب أن موسوعة الحافظ السيوطي تضم ٤٨ مصنفاً زيادة على قائمة الباحث المقترحة وتنقص عنها ثلاثة كتب فقط، رغم عدم وجود الكمبيوتر في عصر السيوطي!!.

وكان من المؤمل لو ركّز الباحث على إعداد القائمة المقترحة فقط أن تكون قائمته أوفى من قائمة السيوطي حيث توفر له المكتبات والطباعة الحديثة ما لم يتوفر للسيوطي مثله .

ولا شك أن الموسوعة المطلوبة ينبغي أن تعني بالمكرر من الأحاديث تكثيراً للطرق للافادة منها في الحكم على الأحاديث التي لم يحكم عليها النقاد من قبل، أو للتأكد من أحكامهم نفسها لاثبات دقة عمل النقاد القدامى للمعنيين بذلك من أهل هذا العصر.

ومن حيث المبدأ اعتقد أننا بحاجة إلى أعمال أخرى ممهدة قبل التفكير بانجاز موسوعة الحديث، وينبغي أن نمتلك الجرأة لقول الحق ولمصارحة بعضنا بحقيقة الأمر بعيداً عن التصريحات الدعائية المموهة، فأمام بناء الموسوعة مراحل لابد من قطعها وأولها إعادة تحقيق معظم كتب السنة المنشورة حيث لم تحظَ حتى الآن بالنشر العلمي الجدير بها وإلا فهل سيغذى الحاسب الآلي بمعلومات خاطئة ابتداءً؟.

وكذلك فإن عدداً ضخماً من الأحاديث تضمها دواوين لم تنشر بعد فكيف يتم بناء موسوعة حديثية دونها!.

هذا إذا أريد أن تكون الموسوعة مقتصرة على جمع الأحاديث. أما إذا أريد الافادة من الحاسب في تحقيق طموح أبعد كالحكم على الأحاديث فإن الأمر يحتاج إلى تطوير صناعة الكمبيوتر لتكييف جهاز يقترب في قدرته على التحليل والتعليل المنطقي من عقل الانسان وقدرته الخارقة على الحس والحدس، وهذا ما لم يعلن أحد عن اختراعه بعد .

إن استخدام طريقة «التجميع الالكتروني» في المطابع الحديثة منذ عدة سنوات قدأثبت جدواه في طبع النصوص وتصحيحها، لكن بناء الموسوعة يحتاج إلى برامج دقيقة خاصة يشرف عليها عدد من علماء الحديث مع المبرمجين وخبراء الكمبيوتر الآخرين، لا تقتصر على الفهرسة وإنما تتعداها إلى تطبيق قواعد المصطلح بعد تحويلها إلى رموز وقواعد منطقية يتمكن الكمبيوتر من التعامل وفقها، فهذه مرحلة متقدمة تستحق الاكبار ونحن بانتظار الثمار وإن غداً لناظره قريب.

التراث العربي الاسلامي في شرق أفريقية

دراسة أولية لمخطوط : «تاريخ ولاية المزارعة في أفريقية الشرقية»(١)
تأليف الشيخ الأمين بن علي المزروعي

إبراهيم الزين صغيرون
كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

تمهيــــد :

إن الاهتمام بدراسة التراث العربي الإسلامي في أفريقية عامة وشرقها بوجه خاص قد أصبح أمراً عاجلاً وملحاً نسبة للتحديات الفكرية والحضارية التي واجهت الإسلام والعروبة في فترة الهيمنة الأوربية على هذه القارة. فمن ناحية فإن انتشار الثقافة العربية الاسلامية في شرق أفريقية ينبغي أن يحتل المكان الرئيسي في التاريخ الأفريقي لأسباب عديدة من بينها ارتباط العالم العربي بالقارة الأفريقية في عصور مختلفة من التاريخ وامتزاج الحضارة العربية بالحضارات المتعددة للشعوب الأفريقية مما جعل العالم العربي وأفريقية بحكم روابط الجوار في الموقع الجغرافي وسرعة الاندماج بين شعوبهما وتاريخهما الحافل بالكفاح المشترك أقرب إلى التضامن والتفاهم. ومن جهة أخرى نلاحظ أن إبراز طبيعة العلاقات العربية الأفريقية لا تزال تكتنفها صعوبات عديدة من بينها فقدان الكثير من السجلات العربية وغلبة المصادر النصرانية والأجنبية وبخاصة المتعلقة بالتاريخ الحديث لشرق وأواسط أفريقية.(٢) إن الهجمة الاستعمارية الصليبية منذ أيام البرتغاليين ونشاطهم في الساحل الشرقي لأفريقية وانتهاء بالسيطرة البريطانية والألمانية قد تميزت هذه الفترة بالكثير من المصادر والمراجع الأجنبية والأعمال الرائدة التي احتوت على كثير من مصادر تاريخ الاسلام والثقافة العربية في تلك المنطقة. إلا أن هذا الانجاز الذي قد أدى بعض الخدمات الجليلة للشعوب المستعمرة والمتمثل في جمع وتدوين التراث المكتوب والمتناقل شفاهة ينبغي ألا يعمي أبصارنا عما حققته دراسات الاستشراق من مسخ لحضارة العرب والأفارقة وتشويه معالمها وخصائصها الأصلية خدمة للأهداف الاستعمارية وذلك بغية الابقاء على مفاهيمهم وثقافتهم بعد رحيل جيوشهم. فمناهج البحث الأكاديمي السائدة اليوم في معظم جامعاتنا ومعاهدنا العلمية تقتضي الاطلاع على المصادر الأولية من وثائق وتقارير محفوظة ومصنفة في دور البحث الغربية ومؤسساتها الرسمية وكذلك الهيئات التنصيرية التي تبوأت مكانا مرموقا باحتكار مهمة التعليم في ظل الادارات الاستعمارية.(٣) ومن أبرز المعالم التي تميزت بها سياسة هذه الدول في ساحل أفريقية الشرقي الحرب الشرسة التي واجهتها اللغة العربية والثقافة الاسلامية عموماً من قبل الحكومات والكنائس هذه الحرب التي امتدت لتشمل اللغة السواحلية نسبة لارتباطها بالتراث العربي الاسلامي.(٤) ومن ثم يتضح لنا أهمية دراسة هذا المخطوط الذي سطره أحد علماء الساحل الأفذاذ والذي يعتبر بحق من رواد حركة الاصلاح والبعث الاسلامي في شرق أفريقية.(٥).

تعريف بالكتاب المخطوط ومحتوياته :

إن كتاب «**تاريخ ولاية المزارعة في أفريقية الشرقية**» مخطوط يقع في تسع وتسعين صفحة من القطع الكبير وملحقين تابعين

للصفحات اثنتين وخمسين وسبع وتسعين من المخطوط وحاشيتين مكتوبتين على الآلة الكاتبة وهي تعليقات توضيحية قد كتبها السيد علي جعفر الوهط السقاف والذي يرجع إليه الفضل في الاحتفاظ بهذا المخطوط وقد تكرم بكتابة مقدمة وافية له كما أسلفت.

نسخ المخطوط :

إنه بعد الاطلاع على المصادر والمراجع الحديثة التي اعتمدت على المخطوط والتحريات والاتصالات الشخصية التي قام بها كاتب هذا البحث يتضح لنا ما يلي :

(أ) إن النسخة «الأم» لمخطوط الكتاب الأصلي هي التي يحتفظ بها ورثة السيد علي جعفر الوهط السقاف العلوي الحضرمي بمكة المكرمة وهما عبد الرحمن وعلوي نجلا المرحوم السيد علي جعفر الوهط. والدليل القاطع على أنها النسخة الأصلية هو أن حكومة جمهورية كينيا قد أرسلت مندوباً خاصاً إلى مكة المكرمة للحصول على هذا المخطوط واسترجاعه وقد اكتفى المندوب الكيني بأخذ صورة للمخطوط.

(ب) نسخة يحتفظ بها آل المزروعي العائلة التي ينتمي إليها مؤلف الكتاب المخطوط بمدينة ممباسة بجمهورية كينيا. وتشير بعض المصادر الحديثة التي تناولت تاريخ شرق أفريقية بأن هنالك نسخة من المخطوط يحتفظ بها الشيخ محمد قاسم المزروعي والذي كان قاضي قضاة كينيا في الستينات أي قبل عقدين من الزمان.(٦)

(جـ) نسخة دار الوثائق القومية في كينيا :

(Kenya National Archives).

وهي النسخة المصورة من النسخة «الأم» المعتمدة والتي يحتفظ بها ورثة السيد علي جعفر الوهط السقاف بمكة المكرمة.

(د) نسخة جامعة الملك عبد العزيز، المكتبة المركزية — مكة المكرمة (جامعة أم القرى حالياً) وهي صورة مأخوذة أيضاً من تلك التي يحتفظ بها ورثة السيد علي جعفر الوهط السقاف.

(هـ) نسخة الأستاذ هادون أحمد العطاس بمكة المكرمة.

أما النسخة التي أجرينا عليها هذه الدراسة فهي مأخوذة من قسم التصوير العلمي والميكروفيلم بالمكتبة المركزية لجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة «جامعة أم القرى حالياً».

تاريخ تأليف المخطوط :

قد ألف الشيخ الأمين بن علي المزروعي كتابه «**تاريخ ولاية المزارعة في أفريقية الشرقية**» منذ حوالى أكثر من أربعين عاماً ويلاحظ أن المؤلف لم يوضح تاريخ كتابة هذا المخطوط ولم يختمه بما تختم به المخطوطات عادة كما أنه يخلو من تاريخ النسخ ومن اسم الناسخ. إلا أن هنالك إشارة توضح بجلاء بأنه قد كتبه إبان الحرب العالمية الثانية وقبل أن تضع أوزارها في عام ١٩٤٥م. وإذا رجعنا إلى المخطوط نجد المؤلف يتعرض لعلاقة المزارعة بالانجليز ودعمهم للحكومة البريطانية في السلم بتوليهم مناصب عليا من قبل الحكومة كما أنهم انخرطوا في سلك الجندية في صفوف الحلفاء دفاعاً عن مصالح الانجليز في الحرب. جاء في المخطوط ما يلي :

«ولما نادت الحكومة إلى التجنيد في هذه الحرب الحاضرة لعام ١٩٣٩، كان المزارعة أول من لبى هذا النداء وأسرع الناس إلى تسجيل أسمائهم في سجل المتطوعين، وانتخب منهم للجندية عشرة في المائة من سائر الناس، وهذا عدد عظيم بالنسبة إلى غيرهم من الطوائف الأخرى. أفلا يكون هذا دليلاً على موالاتهم للحكومة الانكليزية»(٧).

هذا النص من المخطوط يؤكد بأن تاريخ تأليفه قد تم أثناء الحرب العالمية الثانية وقبل وفاة المؤلف في ٨ جمادى الأولى ١٣٦٦هـ الموافق أبريل ١٩٤٧م(٨).

محتويات الكتاب المخطوط :

إن المنهج الذي اتبعه الشيخ الأمين بن علي المزروعي في كتابة هذا التاريخ يمكن تلخيصه من العناوين الرئيسية التي اختارها للفصول الرئيسية وترتيب الفترة الزمنية على حسب الولاة المزارعة الذين تولوا الحكم ترتيباً زمنياً مع ذكر أهم الوقائع والأحداث التي شهدتها المنطقة إبان حكم المزارعة وولايتهم في شرق أفريقية. ولذلك فقد تم تقسيم الكتاب المخطوط إلى فصلين رئيسيين. ويعتبر الفصل الأول بمثابة مقدمة عن المزارعة وأصولهم واثبات شرعيتهم كولاة واستقلالهم من دولة البوسعيد وقد عالج المؤلف هذه القضية في الصفحات الأولى من المخطوط (صفحات ١ــ١٥). أما الفصل الثاني فهو يشكل الجزء الأكبر من الكتاب المخطوط وقد عالج فيه تاريخ المزارعة من خلال ذكر ولاتهم المختلفين وما حدث إبان فترة كل واحد منهم من وقائع وأحداث. لذا فان هذا الفصل يمثل مركز الثقل في الكتاب بل هو الموضوع الأساسي الذي عالجه المؤلف (صفحات ١٦ ــ ٩٩). ويمكن تلخيص الموضوعات التي عالجها المخطوط في الكتاب فيما يلي على حسب الترتيب الذي اتبعه المؤلف مع بيان أرقام الصفحات:

الفصل الأول

الفصل الثاني

في ذكر ولاة المزارعة على ترتيب ولايتهم وما حدث في أيام كل واحد من الوقائع

تعريف بالمؤلف ونبذة عن حياته ونشاطه الاسلامي :

إن الباحث المدقق في تاريخ شرق أفريقية الحديث لابد أن يستهويه الدور البارز الذي اضطلعت به صفوة من العلماء في نشر الثقافة العربية الاسلامية في شرق أفريقية. ولا تزال المعلومات والحقائق مبعثرة ومتناثرة بين ثنايا الكتب العربية والأجنبية وأن قسطاً كبيراً من المادة الغزيرة المتعلقة بهؤلاء العلماء لا تزال في مصنفات مخطوطة في مكتبات الأسر العربية والسواحلية المنتشرة على طول الساحل الشرقي لأفريقية والجزر التي شهدت قيام الامارات والممالك الاسلامية. إن مستقبل وأوليات دراسة الاسلام والثقافة العربية في شرق أفريقية يعتمد في الدرجة الأولى على الجهد الهائل الذي لابد أن يبذل لجمع وتصوير المواد المكتوبة بالعربية وباللغات الأفريقية وفي مقدمتها السواحلية التي اصبحت لغة المخاطبة والثقافة المشتركة في أوساط المسلمين من الأفارقة والقيام بتحقيق ودراسة وترجمة هذه المواد. ونفس الجهد لابد أن يبذل فيما يتعلق بالمواد غير المكتوبة والتي لم تزل متفرقة بين الحنايا والصدور قبل أن ينقرض الجيل الذي يحفظ شفهياً هذا التراث الهام.

هذا المدخل مهم لتقويم الدور الكبير الذي قام به هذا العالم وما أسهم به في نشر الوعي والثقافة الاسلامية تدريساً وتأليفاً ونشاطاً اجتماعياً وقد كان هذا الكتاب المخطوط ثمرة من ثمار جهده في الغيرة على تراثه العربي الاسلامي المهدد بالضياع والعمل على تدوينه وحفظه في فترة قاسية اتسمت بتحديات جمة وفي مقدمتها الغزو السياسي والفكري للحضارة الأوربية. ومن حقه علينا أن نردد ما ذكره صديقه العلّامة السيد علي جعفر الوهط السقاف في مقدمته للمخطوط :

«هو العلّامة الجليل قاضي قضاة كينيا وشيخ الاسلام فيها الشيخ المرحوم عبدالله الأمين بن علي بن عبدالله بن نافع المزروعي. ولد في ممباسة يوم (١٥) جمادى الآخرة ١٣٠٨هـ ــ (٢٧) يناير ١٨٩١م. ولقد آتاه الله الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً. ثم وفقه الله للقضاء بهذه الحكمة وتعليمها الناس فكان ثاني إثنين قال فيهما الرسول صلى الله عليه وسلم لا حسد إلا فيهما. رجل أتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الخير،ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي ويعلمها الناس»(٩).

نشأ الشيخ الأمين المزروعي في بيت اشتهر بالعلم والتقوى والورع والصلاح. وقد كان عمره لا يتجاوز الأربعة أعوام عندما توفي والده في سنة ١٨٩٤. وقد كان والده من مشاهير العلماء وقد عاش في الفترة (١٨٢٥ ــ ١٨٩٤م) وتقلد قضاء ممباسة وقد صحب والده «جد المؤلف» العلامة عبدالله بن نافع والذي كان أحد المستشارين في دولة المزارعة في عصر الوالي التاسع سالم بن أحمد المزروعي والذي جاور مكة المكرمة في آخر عمره مدة تسع سنين ولازم أجلة علمائها في ذلك الزمان كالشيخ عثمان بن حسن الدمياطي والشيخ أحمد بن زيني دحلان مفتي السادة الشافعية في مكة. ومن مؤلفات والده المخطوطة «**الدروع السابغة في مسألة رؤية الباري سبحانه وتعالى**» و«**السبل الواضحات في شرح دلائل الخيرات**» و«**مختصر في ذكر اسماء أهل بدر**» و«**شرح لطيف على شمائل الترمذي**» وغير ذلك من الرسائل المختصرات.(١٠)

تلقى الشيخ الأمين المزروعي مبدأ تعليمه بالقرآن الكريم وبعض مبادىء العبادات على يد تلميذ والده وقريبه المرحوم الشيخ سليمان بن علي المزروعي الذي زوده بالعلوم الابتدائية إلى أن بدت عليه بوادر الفطنة والنجابة. وأخذ يرحل إلى زنجبار ويلتقي بكبار علمائها كل سنة ويقيم بضعة أشهر يتردد أثناءها على صفوة أساتذتها أمثال الشيخ عبدالله بن محمد باكثير الكندي (١٨٦٤ ــ ١٩٢٥) والعلامة الجليل أحمد بن أبي بكر بن سميط العلوي (١٨٦١ ــ ١٩٢٥) ، وقد حبب الأخيران إليه علم الأدب واللغة ونبغ في مجالات النظم والنثر الذي أصبح له فيه باع طويل فيما بعد والذي انعكس في اسهامه في مجال التربية والفقه والعلوم الدينية وريادته في مجال العمل الصحفي.

ومن الأشياء الجديرة بالاهتمام في سيرة الشيخ الأمين المزروعي اطلاعه على أفكار المجددين في حركة النهضة والاصلاح التي اجتاحت العالم العربي في ذلك العصر. وتذكر المصادر بأنه كان متتبعاً بشغف ما يصدر في الدوريات والمجلات العربية في القاهرة. وقد اهتم بصفة خاصة بالكتابات التي سطرها جيل الرواد أمثال جمال الدين الأفغاني (١٨٣٩ ــ ١٨٩٧) ومن بعده الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ ــ ١٩٠٥) ورشيد رضا (١٨٦٥ ــ ١٩٣٥) وتعاليمهم الاصلاحية الاسلامية التي هبت كالاعصار على المجتمعات العربية المعاصرة. وقد وجدت المجلات والدوريات العربية مثل «**المنار**» طريقها إلى الدوائر المثقفة في الساحل الأفريقي. وقد كان الشيخ الأمين المزروعي من أكثرهم تأثراً بهذه الأفكار مما حتم عليه التعبير عنها وبثها ونشرها في المجتمع الساحلي. وكان باكورة انتاجه جهداً متواضعاً في شكل نشرة دورية سماها «**الصحيفة**» وقد كان هذا بمثابة أول خطوة جريئة يقوم بها عربي في مجال الصحافة في الساحل الكيني. وقد ظهرت أول مرة في ٢٥ أكتوبر ١٩٣٠ وقد صدرت بالسواحلية أيضاً وهي تعنى بالمسائل الدينية والسياسية والاجتماعية. ومما لا شك فيه أن هذا الجهد يعتبر دوراً طليعياً وتاريخياً في مجال الصحافة ومرده إلى عقله المتفتح ، إذ أولع بدراسة الصحافة وقراءة المجلات والجرائد العربية لا سيما المجلات الدينية والاجتماعية والسياسية التي شغف بها وبالمنافع التي تنجم عنها.(١١) وقد كان لهذه الخطوة صدى واسع في أوساط المجتمع العربي والسواحلي مما شجع الشيخ الأمين المزروعي في الاقدام على مشروع آخر يرضي طموحه الصحفي ويخدم أهدافه الاصلاحية الكبرى. ومن ثم أصدر جريدة «**الاصلاح**» باللغتين العربية والسواحلية وذلك في ٢٢ شوال ١٣٥٠هـ الموافق ٢٩ فبراير ١٩٣٢م وقد كان شعارها الآية الكريمة «**ان اريد إلا الاصلاح ما استطعت**» وقد تضمنت الأعداد الأولى مقتطفات من كتاب **حاضر العالم الاسلامي** للأمير شكيب أرسلان (١٩٢٥) والذي يتناول بالتحليل أسباب ضعف العالم الاسلامي وتفوق العالم النصراني. وقد كتب الشيخ المزروعي عن اسهام الحضارة الاسلامية في قيام الحضارة الأوربية وكذلك عن بعد المسلمين عن تقاليدهم وجذورهم وأبعاد الهجمة الصليبية على أبناء المسلمين في المؤسسات التعليمية القائمة على النظم الغربية وأكد على أهمية التركيز على التعليم الاسلامي من مناهله العذبة لمواجهة تحديات العصر الحديث(١٢) ولقد كان رحمه الله سلفي النزعة تجري في دمه منذ الصغر وبحكم البيئة الاسلامية التي ترعرع فيها محبة

الاعتصام بالكتاب والسنة وكراهية التشبث بالبدع:

وخير أمور الدين ما كان سنة
وشر الأمور المحدثات البدائع

وعن هذه النزعة السلفية التي تميز بها الشيخ الأمين المزروعي وجهوده المتواصلة في مجال الدعوة فقد اتبع منهجاً واضحاً في التربية العملية والميدانية، فقد طرق كافة الأبواب والميادين والمنابر وذلك عن طريق تأسيس المدارس والتأليف في شتى العلوم الإسلامية وعن طريق التدريس والرحلات ومناظرة ومجادلة أعداء الاسلام وأصحاب المبادىء الهدامة في مختلف المنابر وبشتى الوسائل والأساليب. ولعل أعظم ما جاء في مقدمة السيد علي جعفر الوهط السقاف في تقويمه لمنهج صديقه الشيخ الأمين المزروعي مؤلف الكتاب المخطوط هذه السطور المضيئة:

«... فكان بينه وبين أصحاب البدع ما يكون بين المستمسك بالحق والمتشبث بالباطل، فلأجل الدعوة إلى الحق وإلى ترك الباطل، ولأجل الارشاد العام للخاصة والعامة، كان يدرس دائما في بلده ممباسة وفي جميع البلدان التي زارها، وفتح مدرستين واحدة في ممباسة وأخرى في قرية (غوى) من أعمال ممباسة، أنفق عليهما من جيبه الخاص ومن تبرعات أهل الخير وقليل ما هم. ولأجل هذا ألف نيفاً وثلاثين كتاباً طبع بعضها وبعضها الآخر لم يطبع. بعضها باللغة العربية وأكثرها باللغة السواحلية التي تكتب بالحروف اللاتينية إذ هي الشائعة الاستعمال في شرق أفريقيا، التي هي في ظلام دامس وحاجة قصوى إلى من يخرجها من الظلمات إلى النور. فدخل فيمن عناهم عز من قائل عليم «ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين» صدق الله العظيم.

ولو لم يكن له إلا كتابه في الفقه المسمى (هداية الأطفال) المقرر تعليمه في جميع مساجد شرق أفريقيا ومدارسها، لكفاه مأثرة كبيرة في الدنيا وذخراً جليلا في الآخرة. فضلا عن أن له تآليف في التفسير وفي أحاديث الرسول (ص) وفي جميع مهمات أبواب الفقه.

بل له تآليف غاية الاتقان ساطعة الحجج والبرهان في مجادلة علماء المسيحية والطائفة القاديانية. وبعض هذه الكتب كان يوزعها مجاناً وما باع منها فقد باعها بأثمان زهيدة تقوم بتغطية ما أنفق على طبعها فقط. وقد كان رحمه الله سمح اليدين باذلاً للمعروف دقيقاً إلى الغاية في اتباع أوامر ربه.(١٣)

هكذا كانت حياة مؤلف الكتاب المخطوط **«تاريخ ولاية المزارعة في أفريقية الشرقية»** حافلة بجلائل الأعمال وشمعة وقادة في دياجير الظلام. وفي أخريات أيامه كان قد تولى القضاء لمدينة ممباسة في رمضان سنة ١٣٥١هـ الموافق ديسمبر ١٩٣٢م. وفي عام ١٣٥٥ هـ الموافق ١٩٣٧ م أدى فريضة الحج إلى بيت الله الحرام ومن ثم شد الرحال إلى مسجد نبيه عليه الصلاة والسلام. وعند عودته من الحج فوراً تولى رئاسة القضاء في كينيا فكان مثالاً للعدل والانصاف. وفي عصر الثلاثاء ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٦٦هـ. الموافق أبريل عام ١٩٤٧م وافته المنية عن عمر لا يزيد على ثمانية وخمسين عاماً رحمه الله رحمة واسعة.

أهمية الكتاب المخطوط :

احتوى هذا الكتاب عدداً من الموضوعات التي تتعلق بالوجود العربي الإسلامي في شرق افريقية في فترة من أدق الفترات التي شهدت الصراع الاستعماري وتكالبه على هذه المنطقة. وبعد الدراسة المتأنية للمخطوط تبرز لنا عدة موضوعات رأينا أن نلقي عليها الضوء نسبة لأهميتها التاريخية وبعدها الحضاري المتعلق بالتراث العربي الاسلامي في شرق أفريقية.

أولاً : دور المجموعات العربية التي هاجرت إلى السواحل من موطنها الأول في الجزيرة العربية واستقرت هناك واقامت الممالك والامارات العربية الاسلامية. فالمخطوط يتعرض لبعض هذه المجموعات من يعاربة ومزارعة ونباهنة وبوسعيديين وحضارم من عرب جنوب الجزيرة. ولكن المجموعة التي تفرض نفسها أكثر

من غيرها والتي كانت قوام هذه الولاية هم المزارعة موضوع الكتاب المخطوط.

فالمزارعة فصيلة من قبيلة عمانية قد كانوا ضمن جيش الحملة التي قادها الامام سيف بن سلطان اليعربي (المتوفى سنة ١١٢٣هـ) لطرد البرتغال من كافة بلاد شرق أفريقية، استجابة لطلب أهالي شرق أفريقية. وقد قام اليعربي بتلك الحملة خير قيام حيث أعاد لكل مدينة من مدن شرق أفريقية حكمها واستقلالها لأهاليها المسلمين وقد قام بتعيين ناصر بن عبدالله المزروعي حاكماً على ممباسة ووضعت زنجبار تحت حكم واحد من أسرة الحرث بينا عين أحد أفراد أسرة النباهنة والياً على جزيرة بته وأصبحت بمبا (الجزيرة الخضراء) تابعة لحكم ممباسة.(١٤) ويذكر السيد علي جعفر الوهط بأنه بعد وفاة الامام سيف اليعربي أجمع سكان ممباسة على بقاء المزارعة كولاة لحكم مدينتهم فاندمجوا بالأهالي اندماجاً كلياً وكان منهم الولاة والتجار والمزارعون ومنهم المرشدون لتعليم الأهالي الدين الاسلامي الحنيف.(١٥)

أما عن نسب المزارعة وأصول ما استوطن السواحل منهم فيحدثنا المؤلف قائلاً:

«فالمزارعة الذين استوطنوا أفريقية الشرقية متفرعون على سبيل البسط من أربعة عشر أصلا ينتهي نسبهم إلى زيد بن كهلان بن عدي بن عبد شمس بن وائل ويرتفع إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان جد القبائل القحطانية المعروف في التاريخ.»(١٦) ويمضي الشيخ الأمين المزروعي ليحدثنا عن مساكنهم بعمان فيقول:

«المزارعة كغيرهم من قبائل العرب يوجد منهم أفراد أو جماعات في شتى بلاد عمان وقراها، غير أن أكثرهم في رستاق وما حولها من القرى كالغشب ووبل ومزاحيط ولهم بالعلاية بلدة خاصة بهم محاطة بسور في جوانبها أبراج محصنة بالمدافع والبنادق يحتمون بها إذا دعت الحاجة ويدافعون منها هجمات العدو وغاراته كعادة أكثر قبائل العرب. ويتولى أمر المزارعة الآن في عمان زعيمهم الشيخ سعيد بن عبدالله بن خميس المزروعي فسح الله في عمره.

والمنقول من أسلاف مزارعة السواحل أن أكثر الذين استوطنوا أفريقية الشرقية منهم جاءوا من تلك البلاد وقليلاً منهم أتوا من منح وسمائل. ورأيت بخط والدي رحمه الله صورة وكالة من المشائخ سالم بن خميس ومسعود بن محمد وعزيز بن عبدالله أنهم وكلوا مسلم بن سليمان بن مسلم الشقصي في قبض أموالهم التي خلفها أجدادهم في البلدان المذكورة وفي الوشيك، ولا يبعد ذلك لأن الوشيك للمشاقصة وبينهم وبين المزارعة قرابة ورحم وصلة متينة أوثقها رباط المصاهرة من قديم الزمان».(١٧)

ثانيا: يبرز المخطوط الصراع بين الفئات العمانية والذي كان سمة مميزة لتاريخ عمان في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد. ولقد تميز تاريخ عمان بعدم الاستقرار خاصة إبان حكم اليعاربة قبل تولي أسرة البوسعيد إدارة دفة الحكم وإن كان الأمر قد استمر زمن البوسعيديين في ظهور حركات التمرد التي كانت سمة ظاهرة لتاريخ عمان في العصر الحديث، وامتداداً لتاريخها الوسيط(١٨) وقد انعكست الاضطرابات الداخلية في عمان على ممتلكاتها في شرق أفريقية وزنجبار حتى في ظل سلاطين دولة البوسعيد مما أدى لانفصالها في النهاية عن مسقط على الرغم من انتمائهم لنفس البيت الحاكم. فعندما ضعفت دولة اليعاربة وآل حكم عمان وأملاكها في شرق أفريقية إلى أسرة البوسعيد بتولي الامام أحمد بن سعيد البوسعيدي زمام الحكم في ١١٥٤هـ، عزم المزارعة وغيرهم من الحكام في شرق أفريقية الاستقلال عن حكم البوسعيد وجعلوا أنفسهم سلاطين مستقلين للمدن التي عينوا عليها.(١٩)، وتردد بعض المصادر الأخرى أنه قد استقر رأي أهل ممباسة أن ينصبوا عليهم حاكماً من قبلهم ليتم للبلاد استقلالها تحت نظام وطني من المزارعة القاطنين والمولودين بممباسة فكان ذلك عام ١١٦٨ هـ الموافق ١٧٥٥م. ومن هذا التاريخ تأسست ولاية

المزارعة مستقلة بنفسها ودامت إلى عام ١٢٥٠ هـ الموافق ١٨٤١ م وهو تاريخ وفاة آخر والٍ مستقل في دولة المزارعة حيث تدعمت سلطة البوسعيديين الذي ثبت فتحهم لشرق أفريقية عام ١٢٤٧ هـ الموافق عام ١٨٣٢م، عندما نقل السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي (١٢٠٤هـ ـ ١٢٧٣هـ) (١٨٠٦ ـ ١٨٥٦م) عاصمته إلى زنجبار.(٢٠) ويذكر سعيد بن علي المغيري في كتابه «**جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار**» بأن ولاة المزارعة الاستقلاليين قد ابتدأوا سنة ١١٤٣ هـ واستمروا إلى عام ١٢٥٢ هـ «**فيكون مجموع سنيهم مائة سنة وتسع سنين وشهرين وثمانية أيام**»(٢١).

هذه النزعة الاستقلالية التي تميز بها المزارعة والتي أدت إلى قيام ولايتهم في شرق أفريقية قد اختلفت الآراء في تفسيرها وتحليلها ، فقد جاء في المصادر والمراجع الأوربية بأنه موقف يتسم بالعصيان والتمرد ضد دولة البوسعيد. وقد أشار مؤلف المخطوط لهذا الرأي الذي ردده بعض كتاب الأفرنج المتأخرين وفي مقدمتهم الميجر بيرس الذي قال في كتابه «زنجبار» ما ترجمته :

« وعلى مر الأيام نبذ المزارعة طاعة عمان وادعوا الاستقلال بممباسة، ولكن حكام عمان وأئمتها المتعاقبون لم يعترفوا لهم بهذا الحق وكانوا يعتبرونهم عصاة متمردين».(٢٢)

وفي الرد والتعليق على ما ورد في كتب الأفرنج المتأخرين مثل الميجر بيرس ومتقدمي الأفرنج مثل القبطان أوين(٢٣) والقبطان فيدال(٢٤) يذكر الشيخ الأمين المزروعي بأن رواياتهم مضطربة وأنهم قد جاروا أئمة عمان في هذا الزعم نسبة لتأثرهم بالجو والمحيط الذي كتب فيه هذا التاريخ ولعل هذا ينطبق بخاصة على الميجر بيرس الذي كان الممثل المقيم للادارة البريطانية في زنجبار(٢٥) ومن الحجج والتبريرات التي قدمها مؤلف الكتاب المخطوط في الدفاع عن استقلالية المزارعة بولاية ممباسة وملحقاتها ما يلي :

« .. ففي جريدة النجاح عدد ١٢ الصادرة في ١٢ صفر ١٣٣٠ هـ قال ابو مسلم الرواحي اثناء الكلام فيمن تولى ممباسة «ثم تولى بعد ذلك محمد بن عثمان جد العائلة الذين تعاقبوا على الامارة الاستقلالية على ممباسة ومتعلقاتها» فأبو مسلم شيخ جليل من العرب العمانيين شبّ وشاب تحت ظل دولة أولاد الامام أحمد وإن لم يكن المزارعة أمراء مستقلين لما جاهر بقوله هذا في جريدة يقرأها أمراء بيت الامام وعلى رأسهم عظمة السلطان نفسه.

ربما يقول قائل إن اسم العصاة إنما اطلق عليهم لأنهم كانوا ولاة من قبل أئمة عمان ثم ادعوا الملك لأنفسهم فهذا إنما يصح على محمد بن عثمان وحده فهو الذي أقيم من قبل أئمة عمان ثم استقل بالملك دونهم، وأما علي بن عثمان ومن عاقبه من الولاة فانهم اخذوا الملك بسيوفهم. ثم لا يقدح في استقلال المزارعة إن كانوا ولاة من قبل حكومة عمان، لأن كثيرين من الذين تعترف لهم الدول بحق الملك كانوا مثل المزارعة في هذا ثم لم يستصحبهم اسم الثوار أو العصاة بعد ان استقلوا. ولهذا شواهد كثيرة في تاريخ دول الإسلام قديما وحديثا . فسيف الدولة وصلاح الدين الأيوبي ومحمود زنكي وأمثالهم في سلاطين عصر الدولة العباسية ما كانوا إلا عمالا ثم استقلوا بالملك وصار بعدهم وراثياً في أعقابهم. والامام أحمد كان عاملا من قبل الامام سيف بن سلطان على صحار فتغلب عليها في حياته ثم تغلب على حصون الباطنة بعد موته ذكر ذلك السالمي في تحفة الأعيان. والشاهد الآخر على هذا ما فعله محمد علي باشا من انتزاع ملك مصر من الدولة العثمانية والاستقلال به، ثم ما كفاه ذلك حتى حارب دولته وكاد يحاصر القسطنطينية لولا تدخل الدول الكبرى وايقافها له. ومع ذلك لم يطلق عليه فيما بعد اسم العاصي أو الباغي. وملك العراق لم يكن إلا عاملا من عمال الدولة العثمانية أيضا، وهوذا يقال له اليوم ملك العراق. وإذا كان هؤلاء مثل المزارعة في أعمالهم ولم يطلق عليهم ذلك الاسم البشع، فمن الظلم إطلاقه على ولاة المزارعة.»(٢٦)

ثالثاً : هذا المخطوط يلقي الضوء على الدور العماني في مواجهة وطرد الاستعمار البرتغالي من شرق أفريقية. ومما لا شك فيه أن حركة التوسع البرتغالي لم تكن فقط لتحقيق أهداف اقتصادية وسياسية، بل كانت متشبعة بروح صليبية حاقدة ومتعصبة ضد النفوذ العربي الاسلامي. ولقد وقعت جميع المدن الساحلية الهامة لشرق أفريقية تحت السيطرة البرتغالية ونظراً لأهمية ممباسة اتخذها البرتغاليون عاصمة لممتلكاتهم في شرق أفريقية.(٢٧) فلما تولى الامام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي السلطة في عمان كرس كل جهده للتخلص من البرتغاليين وقد أعلن السالمي بأنه قد أعلن الجهاد ضد البرتغاليين والفرس ونجح في طردهم من سواحل عمان. وقد كان لهذا النجاح اصداؤه في شرق أفريقية التي استنجد أهلها بالسلطان العماني. وتحدثنا الدكتورة مديحة أحمد درويش عن دور الجهاد العماني في تلك المنطقة فتقول :

«وعندما وصلت أنباء نجاح سلطان بن سيف إلى شرقي أفريقيا سارع شعب ممباسة إلى طلب المساعدة منه لطرد البرتغاليين عن بلادهم بعد أن ذاقوا مر طغيانهم وقسوة حكمهم، وبالفعل استجاب سلطان بن سيف إلى طلبهم وأرسل في عام ١٦٥٢ م اسطولا صغيرا لمساعدة شعب شرق أفريقيا في جهودهم لطرد البرتغاليين فهاجم وأحرق المستوطنات البرتغالية في زنجبار وباتي.

وقامت نتيجة لذلك ثورات عارمة في المدن الساحلية الأفريقية إلا أن البرتغاليين تمكنوا من سحق تلك الثورات. فعاد أهل ممباسة في طلب المساعدة من الامام سلطان بن سيف الذي سرعان ما لباها في عام ١٦٦٠م فتمكن بنفسه من الاستيلاء على ممباسة من البرتغاليين ، لكن ما إن غادرها حتى عاد البرتغاليون واستولوا عليها وأنزلوا أشد العقاب بالأهالي الذين ازدادوا كرها لهم وتصميما على الثورة ضدهم حتى تمكنوا في النهاية من انهاء الحكم البرتغالي تماما عن أراضيهم سنة ١٦٩٨م بمساعدة اليعاربة حكام عمان».(٢٨)

وعن اشتراك المزارعة وإسهامهم في الحملات ضد البرتغاليين في شرق أفريقية يحدثنا مؤلف المخطوط عن دورهم القيادي الذي أهلهم في النهاية لاسناد ولاية ممباسة لهم :

«من المعلوم أن الامام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي بعد فتح ممباسة وإجلاء البرتغال منها، لم يتمكن من متابعتهم وقطع دابرهم لما أضعف العساكر من طول الحصار. ولذلك ما زال البرتغاليون يغيرون على ممباسة مرة بعد أخرى كلما سنحت لهم الفرصة طمعاً في اعادتها في ملكهم، كما كانت سابقاً. وقبل تولية الوالي ناصر بن عبدالله الذي نحن بصدده كان البرتغاليون قد هجموا على ممباسة ولم يكن بها من القوة ما تدافع به عن هذا الهجوم فاستولوا عليها. وبلغ هذا الخبر إلى عمان والامام يومئذ سيف بن سلطان الملقب بقيد الأرض فجهز في عام ١١١٠ هـ جيشا عظيما أنفذه إلى ممباسة لاستردادها من البرتغاليين واخراجهم منها.

وهنا يقول شيوخ المزارعة الذين نقلنا منهم كثيراً من أخبار أسلافهم الماضين إن الامام أمّر على هذا الجيش مبارك بن غريب المزروعي وأسند قيادته إليه وعين ناصر بن عبدالله والياً على ممباسة يتولاها بعد إجلاء العدو منها. وصل هذا الجيش فقاتل البرتغاليين قتالاً شديداً حتى الجؤوهم إلى الفرار فولوا هاربين. ثم قام بعد ذلك ناصر بن عبدالله والياً من قبل الامام ومشرفاً على أملاكه بأفريقية الشرقية.(٢٩)

وعن أبعاد الهجمة الصليبية الشرسة التي يمثلها الغزو البرتغالي على الاسلام والمسلمين في شرق أفريقية الذين هبوا للدفاع عن كيانهم وعقيدتهم يحدثنا المؤلف :

«وحالما قبض البرتغال على زمام الحكم، عادوا إلى معاملة أهل ممباسة بالشدة والفظاعة كعادتهم في الأيام السالفة، فاستخدموهم في الأعمال الشاقة وهتكوا اعراض نسائهم واستهزؤوا بالدين، حتى كانوا يرمون المسلمين بالحجارة إذا رأوهم يصلون. فلم يطق أهل ممباسة الصبر على هذا الضيم،

فانتظروا الفرصة للهجوم عليهم. ولما كان يوم عيد من أعياد النصارى وخرج أكثر البرتغال من القلعة إلى ضواحي البلد للنزهة، هاجموهم وامعنوا فيهم القتل حتى اضطروا إلى طلب الأمان، فأمنوهم على شرط مغادرة البلد حالاً والرجوع إلى موزنبيق. فقبلوا ونجوا بأنفسهم تاركين كل ما يملكونه في القلعة. وبعد خروجهم من ممباسة خشي أهل البلد من ضياع ما في القلعة من الاسلحة والذخائر والأموال فأقامت كل قبيلة منهم رجلاً للحراسة إلى أن يبلغوا الأمر إلى عمان.»(٣٠)

رابعاً : من المميزات والخصائص التي صحبت الهجرات العربية من عمان وجنوب الجزيرة سرعة الاندماج والانصهار في كثير من القبائل في الساحل ولعل من الأسباب الجوهرية التي يسرت انتشار الاسلام بأفريقية ذلك هو أن هذا الدين سرعان ما أصبح فكراً محلياً وثقافة قومية وأروع مثال هو نشأة وازدهار الحضارة السواحلية التي أصبحت معلماً بارزاً في هذا الجزء من أفريقية والتي ما هي إلا نتاج لهذا الامتزاج للحضارة العربية الاسلامية والثقافات الأفريقية المحلية.(٣١) إن القبائل التي استوطنت السواحل الأفريقية من غير العرب العمانيين الذين يمثلون الدوائر الحاكمة مجموعات من اليمن والشيرازيين من جنوب فارس ولكن الغالبية بدون أدنى شك من العرب الحضارم من سكان حضرموت والشحر، والمكلا وسائر البلدان الحضرمية العربية في الأجزاء الوسطى لجنوب الجزيرة. أما بالنسبة للمجموعات الأفريقية فهنالك خليط من معظم القبائل الساحلية والكثير من قبائل المناطق الداخلية لشرق أفريقية في زنجبار وقد أشارت المصادر لوجود قبائل مثل نياموبزي، شاغة، ياو، ديقو، ماكوندي، انقوني وقوقو وهم يعملون في شتى المهن والحرف في المجتمع الزنجباري.(٣٢)

وفي هذا الإطار فقد أورد المؤلف في المخطوط بعض الأحداث والسمات التي تؤكد ما ذهبنا إليه بالنسبة للعلاقات العربية الأفريقية التي سادت هذا الجزء في ظل دولة المزارعة. ففي حديثه عن الوالي الأول ناصر بن عبدالله يعلق الشيخ الأمين المزروعي عن هذه الظاهرة قائلاً:

«وكان ناصر بن عبدالله من الرجال المعدودين بالحزم والشجاعة وحسن المعاملة والانصاف بين الرعية فحظي بمحبة أهل البلد واكرامهم. ولما أراد أن يتزوج عرض عليه أعيان ممباسة كرائمهم فاختار كريمة شيخ بن أحمد الكبير أحد سلالة ملوك ملندي الأقدمين فتزوجها ورزق له منها بنت هي والدة مبارك بن احمد بن مبارك بن غريب المزروعي.(٣٣)

ومن الأحداث الكبيرة التي عكست روح التضامن والتفاهم بين الأفارقة وسلطنة عمان العربية الاتصالات التي تمت بين الطرفين وتنسيق الجهود المشتركة ضد الاستعمار البرتغالي وقد كان من أهم التطورات إرسال وفد من أهالي ممباسة إلى عمان قوبل بالترحاب والتكريم مما كان له أطيب الأثر في العلاقات التي سادت بين العرب والأفارقة. وقد اشتركت كافة المجموعات الأفريقية تقريباً في هذا الوفد كما جاء في المخطوط :

« بعد أن طرد أهل ممباسة البرتغال منها في واقعة سيس روميي وجماعته كما تقدم الكلام عليه في ترجمة الوالي الأول ناصر بن عبدالله سافر إلى عمان شيخ بن أحمد الملندي وموني غوث بن موانزاغو الكلنديني وموشهال بن نداو التجاني ومعهم من كل قبيلة من قبائل ممباسة شخص، ومن كل طائفة من طوائف الزنوج مندوب من قبلها. وطوائف الزنوج التي ندبت رجالها إلى عمان هي : ورييي ووشوني ووكامبه ووكوما ووجانة ووربائي ووغرياما وودرومه وومطايه ووشمبا ووتنْغُو ووديغو، سافر هذا الوفد لعرض ما جرى في ممباسة من أمر البرتغال على الامام سيف بن سلطان. ولما وصلوا هناك أنزلهم الامام على الرحب والسعة وأكرمهم غاية الاكرام. وعند رجوعهم جهزهم ونقلهم في ثلاثة مراكب وهي كعبراس والملكي والفلكي مع الهدايا الفاخرة والجوائز، وأرسل معهم محمد بن سعيد المعمري والياً على ممباسة. وبعد وصولها لوطنهم نزل محمد بن سعيد في القلعة كعادة الولاة قبله، وأباح لأهل ممباسة جميع ما فيها من الأموال التي خلفها البرتغال غنيمة لهم جزاءً على جميل صنيعهم وبلائهم الحسن في طرد العدو..»(٣٤)

ويظهر مما جاء في المخطوط بأن علاقة المزارعة قد كانت وطيدة جداً بالطوائف السواحلية الثلاث ألا وهي الكلندينية والتنجانية والشنقامية واتباعهم من القبائل الأخرى والتي وقفت معهم في كثير من المحن نتيجة لوفائها للمعاهدات التي عقدوها مع الوالي الثالث علي بن عثمان بن عبدالله (١١٥٧ ــ ١١٦٨هـ). هذا بخلاف توتر علاقاتهم مع الطوائف التسع وفي مقدمتها طائفة الكليفيين إلا أنه بعد زوال دولة المزارعة سادت روح الصداقة بين الطرفين وقد ساندوا الثوار المزارعة ضد البوسعيديين والبريطانيين فيما بعد. وعن هذا يحدثنا المؤلف:

«ولوفاء الطوائف الثلاث بعهدهم للمزارعة، كان الوالي أحمد بن محمد يوصي عشيرته بهم خيراً، وأن يلجؤا إلى الجهات التي تحت نفوذهم كلما اضطروا إلى الالتجاء، وكان يحذرهم من الطوائف التسع خصوصاً الكليفيين منهم، ومن أن يقصدوا **إلى الجهات التي تحت أمرهم. أقول:** لقد كان ذلك كذلك في **أيام دولة المزارعة، ولكن بعد أن** دالت دولتهم صارت **الطوائف التسع كالثلاث في موالاة المزارعة ومصادقتهم، ويدل على ذلك ما أتى به خميس كومبو وأولاده وعشيرته من مؤازرة مبارك بن راشد ومصاحبتهم له في ثورته الأخيرة وتناسوا كل ما جرى بين آبائهم في أيام دولة المزارعة من العداوة والإحن».**[٣٥]

ومن الأشياء التي رواها مؤلف المخطوط عن عطف ولاة المزارعة على رعاياهم من الجماعات الأفريقية وسهرهم عليهم في أوقات الشدة والمحل المجاعة التي أصابت أرض درومه وهو الاقليم موطن القبيلة التي تحمل الأسم ويقع غربي ممباسة وذلك في فترة ولاية عبدالله بن أحمد بن محمد بن عثمان المزروعي الوالي السابع (١٢٢٩ ــ ١٢٣٨هـ) ، وقد أورد المؤلف هذه القصة في مجال المقارنة بين سياسة المزارعة والبوسعيديين والحكومة البريطانية تجاه الأهالي :

« ... أصابت أرض درومه مجاعة شديدة اتلفت كثيرين من أهلها، فنزح إلى ممباسة جماعات منهم طلباً لما يسد الرمق من القوت. فعطف عليهم الوالي وآواهم وأرسل عائلات كثيرة من أهل درومه إلى الجزيرة الخضراء وأمر واليها برعايتهم. فمكثوا في الجزيرة منعمين متمتعين بخيراتها الكثيرة إلى أن ذهبت المجاعة من أرضهم فرجعوا إلى ممباسة. هذه الخصلة التي أتى بها الوالي لم يسبق إليها أحد من الولاة قبله وهي - بلا شك - منقبة عظيمة في حقه ودليل واضح على عطفه لرعاياه.

يحكى أن المستر هبلي الذي كان والياً على ممباسة يجول في أرض درومه، فلقي في بعض أحيائها رجلا طاعنا في السن، فجلس إليه وسأله : ما هي أعدل الحكومتين وأرأفها برعاياها أهي الحكومة العربية أو الانكليزية؟ فقال له الشيخ لا أدري أي الحكومة العربية تعنيها، لأنه قد تعاقبت على هذه البلاد حكومتان عربيتان، حكومة المزارعة وحكومة آل أبو سعيد. فقال هبلي : اعنيهما **جميعا عند المقارنة بينهما وبين الحكومة** الانكليزية، وكان رجاؤه **أن يسمع من ذلك الشيخ جور** العرب وقساوتهم على رعاياهم، **ولكن جاء الأمر على خلاف** ظنه. فقال له الشائب : **أرأف حكومة من هذه الحكومات هي** حكومة المزارعة فسأله **هبلي لماذا؟ فحكى له حكاية المجاعة** المذكورة. فتعجب المستر **هبلي مما أتى به الوالي عبدالله بن أحمد وعده من غرائب الأمور إذ لا يصدر مثل هذا العطف ــ على اعتقاده ــ إلا من صدور الأورباويين».**[٣٦]

خامسا : يبرز المخطوط بعض السياسات التي انتهجتها بريطانيا في توطيد نفوذها في شرق أفريقية ومنطقة الخليج في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي وذلك لحماية مصالحها الاقتصادية في السواحل الأفريقية والخليج وتأمين الطرق التجارية إلى الهند. وتعتبر فترة السيد سعيد بن سلطان (١٢٢٣ ــ ١٢٧٣هـ الموافق ١٨٠٦ ــ ١٨٥٦م) هي الفترة التي شهدت المراحل الأولية للتدخل البريطاني عن طريق المعاهدات أولا ونشاط القناصل والمبعوثين السياسيين ثانيا ثم انتهت بالهيمنة والسيطرة الكاملة في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر. ولقد وجدت بريطانيا الطريق ممهداً للتدخل نسبة للظروف التي

مرت بها عمان في الداخل والخارج. فالمنازعات التي نشبت بين المزارعة والبوسعيديين في شرق أفريقية بلا شك تمثل حلقة مهمة تعكس بجلاء هذا الجو الذي خيم على المنطقة سواء في الخليج أو الممتلكات العمانية في شرق أفريقية. هذا النزاع الذي كان سمة بارزة بين الأطراف العربية هو الذي عجل بزوال النفوذ العربي الاسلامي والتمهيد للغزو الأوربي بشقيه الفكري والسياسي. وقد أفرد مؤلف المخطوط فصلا كاملا في كتابه ليبرهن لقرائه بأن المزارعة قد كانت تربطهم بالانجليز علاقات الود والصداقة والتي كان هدفها الاستنجاد ببريطانيا لحمايتهم ضد ذوى القربى وبني جلدتهم من عرب عمان بزعامة السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي. يقول المؤلف في هذا المعنى :

« لا أكون مخطئا إذا قلت إن المزارعة أول قبيلة من قبائل عمان خطبت ود الانكليز قبل غيرهم. فالوالي محمد بن عثمان كان له صديق حميم من الانكليز اسمه كوك كان يتردد إلى مماسة وينزل ضيفا كريما عليه، وهو الذي ساعد على بن عثمان على تسلق القلعة ورميها بالمدافع حتى استولى عليها. وكان ذلك قبل تبوؤ الامام أحمد على عرش حكومة عمان بسنين. وفي عام ١٨٢٤م ــ ١٢٣٩ هـ ابرمت بين المزارعة والانكليز معاهدة تخولهم حرية التجارة داخل مملكتهم. وفي ظني أن هذه أول معاهدة عقدت بين الانكليز والعرب العمانيين».(٣٧)

ولكن المتتبع لسياسة بريطانيا في هذه الفترة يتضح له المخطط الاستعماري الذي انتهجته خدمة لمصالحها في المنطقة بشقيها الآسيوي والأفريقي . فهي من جهة تخشى من استمرار عمان ــ في عهد السيد سعيد بن سلطان والذي جعل منها قوة ضاربة كبرى ــ تملك مناطق شاسعة في آسيا وشرق أفريقية ولذلك انتهجت سياستها التقليدية **«فرق تسد»** وقد استفادت من الصراع القبلي بين المزارعة والبوسعيديين أولا كما انتهزت فرصة الصراع الأسري بين السلطانين ثويني وأخيه السيد ماجد أبناء السيد سعيد فيما بعد وحققت أهدافها في تقسيم أملاك عمان إلى قسمين منفصلين هما سلطنة مسقط وسلطنة زنجبار.(٣٨) ومن جهة أخرى أرادت أن تحافظ على صداقة السيد سعيد بن سلطان كحليف قوي لتأمين مصالحها ضد القوى المحلية والدولية المنافسة لها في منطقة الخليج. لذلك سرعان ما تنكرت بريطانيا للمعاهدة التي عقدتها مع المزارعة بعد مضي عامين ونصف من إبرامها خدمة لمصالحها الكبرى وتمهيداً لفرض سلطانها على المنطقة بأسرها. وقد أوضح المؤلف نفسه أبعاد هذه السياسة في مكان آخر من المخطوط إذ يذكر:

«من هذا التاريخ انتهت حماية بريطانيا العظمى لهذه البلاد بعد أن دامت مدة سنتين ونصف سنة. يقول المستر لين في كتابه «زنجبار» المطبوع بلندن في عام ١٩٠٥. أن تدخل الانكليز في سياسة مماسة أحزن السيد سعيد الذي كان مطيعاً لبريطانيا العظمى ، ومحباً للشعب الانكليزي. فاعترض لدى حكومة بمبي على ما جرى في مماسة. فردت عليه الحكومة بأنها عازمة على نبذ كل ما يخص مماسة في المستقبل وابطال ما أتى به القبطان أوين. ويقول المستر لين أيضا إنه قد وجه إلى بريطانيا العظمى اللوم على تخليها عن مماسة، ولكن فائدة ذلك التخلي كانت عظيمة في الخليج الفارسي. ومراعاة تلك الفائدة استلزمت التحبب إلى السيد سعيد. ولله در المستر لين فقد أبدى لنا السبب الحقيقي الذي حمل بريطانيا على رفع حمايتها للمزارعة وتمزيق المعاهدة المبرمة فيما بينها وبينهم».(٣٩)

سادسا : من الأشياء الجديرة بالتعليق والتأمل الأسلوب والمنهج الذي اتبعه المؤلف في كتابة هذا التاريخ المخطوط. ومما لا شك فيه أن أسلوب الكتاب أسلوب عربي سليم العبارة لا يحتاج إلى تصويب أو إصلاح وهذا ليس بغريب على عالم نهل من ينابيع الثقافة الاسلامية الأصيلة وترعرع في بيت علم وعلماء وتلقى تعليمه على أيدي نخبة ممتازة من الأساتذة في مماسة وزنجبار كما أسلفنا في بداية هذا البحث في الحديث عن نشأته ونشاطه الاسلامي.

ورغم أن الشيخ الأمين بن علي المزروعي يعتبر مؤرخاً معاصراً، حديث العهد، فحياته كانت في القرن العشرين

(١٣٠٨ ــ ١٣٣٦هـ) (١٨٩١ ــ ١٩٤٧م) إلا أنه تناول في تاريخه حقباً بعيدة الزمان، استقى التاريخ لها من مصادر متنوعة منها العربية والأوربية كما حفظ بعض وقائع تاريخه من روايات المشاهدين، ومما حفظوه عن من سبقهم. ليس هذا فحسب بل استفاد المؤلف من الشعر العربي والسواحلي المعاصر كمصدر للأحداث التاريخية التي تناولها في المخطوط إذ تضمنت القصائد بعض الحقائق عن تاريخ المزارعة السياسي والاجتماعي في شرق أفريقية.

وإذا رجعنا إلى المخطوط يتضح لنا منهج المؤلف في البحث التاريخي والطريقة العلمية التي تبناها في عرض الحقائق والأحداث وتحليلها. ويبدو أن المؤلف قد تأثر بآبائه وأجداده من المزارعة الذين استوطنوا أفريقية الشرقية وقد نبغ عدد منهم في الكتابة التاريخية والاهتمام بهذا التقليد العربي الاسلامي خاصة المجتمعات العربية التي هاجرت من الوطن الأم في الجزيرة العربية. ففي حديثه عن نسب المزارعة وأصولهم، أشار المؤلف إلى عدد من الشخصيات التي اشتهرت بهذه النزعة والاهتمام بالتاريخ والأنساب والكتابة في علوم اسلامية شتى. ومما لا شك فيه أن المؤلف قد استفاد من علمهم المدون في الكتب والمخطوطات أو الروايات التي سمعها من المعاصرين لهذه الأحداث في كتابة هذا المخطوط. وفي حديثه عن الأصل الثالث للمزارعة أشار إلى **«راشد بن سالم بن خميس المشهور بغزارة علمه في التاريخ والأنساب...» ومنهم المؤرخ النسابة خلفان بن عبدالله الذي تولى قضاء تكونغ سابقاً.»**(٤٠) وكذلك قد اشتهر من الأصل الخامس للمزارعة **«محمد بن عبدالله بن ناصر النسابة المشهور»**(٤١).

أما الأصل السابع للمزارعة الذي ينتمي إليه مؤلف هذا المخطوط فمن الواضح من المصادر التي رجعنا إليها في ترجمة المؤلف والمراجع الأخرى بأنه من أسرة استمرت إلى يومنا هذا محتفظة بالتقاليد الاسلامية علما وعملا وقد جاء في المخطوط عنها ما يلي :

« ... ومنهم بيت نافع بن مزروع بن عبدالله المعروف في ممباسة والمشهور من هذا البيت العلامة عبدالله بن نافع الذي كان أحد المستشارين في دولة المزارعة في عصر الوالي سالم بن أحمد ومن بعده. جاور مكة في آخر عمره مدة تسع سنين ولازم أجلة علمائها في ذلك الزمان كالشيخ عثمان بن حسن الدمياطي والشيخ أحمد بن محمد الدمياطي وغيرهما. ومن مشاهير هذا البيت العلامة أحمد بن عبدالله بن نافع صاحب كتاب التحفة المرضية بمختصر الكلمات الوفية في النحو، وشرح المقدمة الحضرمية في النقد وكلاهما مخطوط. ومنهم العلامة علي بن عبدالله بن نافع، ومن آثاره مؤلفاته المخطوطة منها الدروع السابغة في مسألة رؤية الباري سبحانه وتعالى، والسبل الواضحات في شرح دلائل الخيرات، ومختصر في ذكر أسماء أهل بدر، وشرح لطيف على شمائل الترمذي وغير ذلك من الرسائل المختصرات. وكان رحمه الله قاضياً على ممباسة في زمان السيد ماجد بن سعيد. ومنهم العالم راشد بن علي بن نافع قاضي ممباسة أيضا في أواخر أيام السيد ماجد بن سعيد ومن بعده، ومنهم الأمير بن علي وأخوه مؤلف هذا الكتاب».(٤٢)

ومن الخصائص البارزة التي تميز بها أسلوب المؤلف في البحث التاريخي استعراض الروايات المختلفة المتعلقة بالأحداث ومناقشتها بأسلوب علمي هادىء. ولعل من أروع الأمثلة التي تضمنها هذا المخطوط تناول المؤلف بالعرض والتحليل لما جاء في الكتب الأجنبية الحديثة والمعاصرة التي تناولت بعض الموضوعات التي شملها كتاب المؤلف. إن الاهتمام بالمؤلفات الحديثة على الرغم من وجهة نظر كاتبيها وميولهم وأهوائهم أمر جدير بالإشادة لأننا لا ننكر جهود بعض الباحثين ولا سيما أن بعض هذه الكتب قد امتازت بعمق البحث وبذل الجهد في الرجوع إلى المصادر الأصلية وفي نقد رواياتها واستنباط الحقائق التاريخية منها. فالمؤلف كما هو واضح من محتويات المخطوط قد اطلع على الآراء والروايات التاريخية التي وردت في الكتب الأجنبية التي تناولت تاريخ منطقة شرق أفريقية لكل من الميجر بيرس وسعيد رويت والقبطان فيدال والقبطان أوين والمستر لين. وكمثال لمنهج

المؤلف في مناقشة بعض الآراء التي دونها الأجانب عن تاريخ المزارعة واسلوبه في نقد وتقويم هذه الروايات ما يلي :

«وأما قول الميجر بيرس في كتابه «زنجبار» إن المزارعة هاجروا إلى أفريقية الشرقية قبل احتلال البرتغال، فهو قول لا صحة له بالكلية، وقد أخذ به علي علاته سعيد رويت فأثبته في كتابه «سعيد بن سلطان» وكلاهما لم يأت لما قاله بدليل ولا عزاه إلى أحد من رواة الأخبار المحققين. كأنهما — والله اعلم — قالاه من عند أنفسهما رمياً بالغيب. والذي ذكرناه هو ما عليه جمهور الاخباريين من أهل ممباسة وغيرهم تناقلوه خلفاً عن سلف، وهو محفوظ عند المزارعة أنفسهم. وهم بلا شك أعلم بأخبار أسلافهم من غيرهم وأحفظ لوقائع من ينتمون إليهم»(٤٣)

وفي الفصل الثاني من المخطوط الذي أفرده المؤلف في ذكر ولاة المزارعة على ترتيب ولايتهم نجده يناقش ما ورد في بعض الكتب عن من هو أول ولاة المزارعة حيث اختلفت الروايات فمنها من ذكر ان مبارك بن غريب المزروعي الذي اسندت إليه قيادة الجيش في أيام اليعاربة لطرد البرتغاليين من شرق أفريقية هو أول الولاة . وهناك روايات أخرى تذكر أن ناصر بن عبدالله هو الوالي الأول الذي تم تعيينه على ممباسة . ونجد المؤلف الذي يميل إلى الرأي الثاني يتناول تلك الآراء بالعرض والتحليل ومشيراً إلى المصادر التي اعتمد عليها ومفنداً الرأي الآخر. وهو نموذج آخر لمنهج المؤلف في استنتاج واستنباط الحقائق التاريخية من مصادرها الأصلية:

«وهنا يقول شيوخ المزارعة الذين نقلنا منهم كثيراً عن أخبار اسلافهم الماضين، إن الامام أمر على هذا الجيش مبارك ابن غريب المزروعي واسند قيادته إليه وعين ناصر بن عبدالله والياً على ممباسة يتولاها بعد إجلاء العدو منها. وصل هذا الجيش فقاتل البرتغال قتالاً شديداً حتى الجؤوهم إلى الفرار فولوا هاربين. ثم قام بعد ذلك ناصر بن عبدالله والياً من قبل الامام ومشرفاعلى أملاكه بأفريقية الشرقية. هذا ما رواه لنا شيوخ مزارعة السواحل ولم أجده في شيء من الكتب المدونة ولا المخطوطات التاريخية التي بأيدينا، ولكن يؤيد بعضه ما ذكره الميجر بيرس في كتابه «زنجبار» من أن حكم المزارعة في ممباسة يبتدىء من يوم افتتحها الامام سيف بن سلطان يعني الفتح الثاني بعد فتح والده سلطان بن سيف ولم يذكر الميجر أول من حكم فيها منهم. ولعل السبب في ذلك أنه ليس من موضوع كتابه. ويؤيد البعض الآخر من هذه الرواية ما حكاه رواة الأخبار من ثقات أهل واسين من أن مبارك بن غريب قد وصل ممباسة في زمان الديوان أبي بكر بن شيخ من آل المسيلة الملقب بروغه . وقد توفي السيد أبو بكر المذكور في سلطنة فوميا حوالى ١١١١ هـ. ونقلنا عن خط الشيخ سعيد بن صالح المسكري صاحب الجزيرة نقلاً عن خط الشيخ محيي الدين بن شيخ القحطاني، أن أول وال على ممباسة من المزارعة هو مبارك بن غريب. ولعل ذلك سبق قلم من الشيخ رحمة الله عليه.»(٤٤).

ومثل آخر يتعلق بتاريخ ولاية الوالي الثاني محمد بن عثمان بن عبدالله (١١٤٣ — ١١٥٧هـ) ومدة ولايته تعكس بوضوح استعراض المؤلف للروايات المختلفة التي وردت في المصادر العربية والأفرنجية وتقييم صحتها من ناحية القوة والضعف والاتفاق والخلاف ولكنه يستخدم هذه المرة مصدراً جديداً لا يقل أهمية من المصادر الأخرى ألا وهو النقوش الكتابية التاريخية الأثرية. ولا شك أن الكتابات التاريخية الأثرية لها شأن كبير في دراسة التاريخ فهي كتابات محايدة ومعاصرة للأحداث التي تسجلها لم تتغير من ناقل إلى ناقل أو من راو إلى راو. والكتابة التاريخية الأثرية التي أفاد منها مؤلف المخطوط في هذا الاطار هو ما يكتب على شواهد القبور في الأضرحة. فلنتأمل هذا النص لكي نؤكد صحة ما ذكرناه :

« وتختلف الروايات في تاريخ ولاية محمد بن عثمان. فالذي رأيناه من مخطوطات المتقدمين أنه وصل ممباسة سنة ١١٤٣

وتقلد زمام ولايته في تلك السنة. وأنه عاش في الولاية أربع عشرة سنة تقريبا. وهناك رواية أخرى تختلف عن هذه في مدة الولاية . فهي تقول إنها تسع سنين وكلتا الروايتين تختلف عما في المصادر الأفرنجية في تاريخ الولاية: ففي كتاب «زنجبار» لميجر بيرس، والكتاب الأحمر لأفريقية الشرقية يقولان أن الامام سيف بن سلطان ولى على ممباسة محمد بن عثمان في سنة ١٧٣٩ ميلادية، وهي توافق سنة ١١٥٢ هجرية. وعندي أن الرواية التي تقول إنه تولى سنة ١١٤٣ ومكث في الولاية مدة أربع عشرة سنة هي أصح من غيرها، لأنه على هذه الرواية تكون وفاته في عام ١١٥٧. وهي السنة التي توفي فيها كما هو مكتوب على ضريحه رحمه الله. وأما على الرواية الأفرنجية فتكون مدة ولايته خمس سنين فقط فتشذ عن الروايات الأخرى كلها.»(٤٥)

هذا الاهتمام بالمصادر المتنوعة المحلية والأجنبية التي اتسم بها منهج المؤلف في الكتابة التاريخية يعادله أيضا بنفس المستوى والدرجة الحرص والاهتمام بكتب المؤرخين العمانيين وتسجيلهم للأحداث الجارية والتطورات السياسية التي شهدتها عمان وتأثيرها على مجريات الأمور سلبا وإيجابا في شرق أفريقية. ولقد رأينا في مكان آخر من هذه الدراسة بأن المؤلف يستشهد ببعض الأحداث التي شهدتها عمان في ظل دولة اليعاربة وقد اعتمد في ذلك على مؤرخ عماني يعتبر من المصادر الأولية ألا وهو نور الدين عبد الحميد السالمي مؤلف **«تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان»**(٤٦).

ومما يدل على المام المؤلف بالتاريخ العماني خاصة في عهد الأئمة اليعاربة والبوسعيديين وأثر ذلك في التمهيد لحكام المزارعة اعلان استقلال ولايتهم في أفريقية الشرقية ما ذكره المؤلف :

« وبعد تقلد الوالي وظيفته كان يرسل إلى الامام ذلك القدر من المال على موجب الاتفاق المتقدم فيما بينهما . ودام على هذا الحال مدة بضع سنين حتى ساءت الأحوال في عمان واشتد ضعف الدولة بما حدث فيها من الانقسام، وعمت الفتن شرقي عمان وغربيها، ودارت رحى الحرب بين العرب والعجم تارة وبين العرب بعضهم بعضاً تارة أخرى، وقام هناك أئمة كل يدعي الحق لنفسه وينسب البغي لصاحبه، فانقطع محمد بن عثمان عما كان يرسله واستقل بالملك وأعلن استقلاله.»(٤٧)

ومن الجوانب المهمة التي تسترعي الانتباه وتستحق الاشادة العناية التي أولاها المؤلف السكان الوطنيين من الأفارقة في هذا المخطوط. إن الكثير من المؤلفات العربية والأجنبية التي تصدت لكتابة التاريخ الأفريقي قد أهملت هذا الجانب الرئيسي والحيوي واهتمت بنشاط ودور الجاليات والمؤسسات الأجنبية عربية كانت أو أوربية مما أحاط هذه المؤلفات بكثير من الشك في نواياها وأهدافها. هذا المنهج المتوازن والمعتدل قد أضفى على المخطوط قيمة تاريخية وثقافية كبيرة، تقابل بالعرفان من معشر الدارسين والمهتمين بقضايا التراث العربي الأفريقي والذين هم في أشد الحاجة للمادة التاريخية والثقافية المتعلقة بالمجتمعات الأفريقية ومدى تفاعلها مع المؤثرات العربية الاسلامية. فقد أفاض المؤلف في ذكر السكان الأصليين وبيان حياتهم وذكر أصولهم وأساليب معاشهم وعاداتهم وتقاليدهم وأماكن تواجدهم وأسماء قبائلهم وسلاطينهم وممالكهم مثل مملكة بتة وسلطنة فوميا وبلاد شاغة والطوائف السواحلية والدور الذي قامت به هذه الجماعات في ولاية المزارعة في شرق أفريقية، وعلاقاتهم بالمجموعات العربية في زنجبار والجزيرة الخضراء وعمان.(٤٨)

لا ريب في أن الشعر والقصص الشعبية معين لا ينضب لاستنباط الحقائق التاريخية المختلفة عن أحوال المجتمعات في مختلف العصور لأنهما أدوات تسجيل للمناسبات الكبيرة والأحداث المهمة والعادات والتقاليد والقيم السائدة وغير ذلك من النواحي الاجتماعية. فضلا عن أننا نظفر فيها ببعض الحقائق عن التاريخ السياسي وقد كانت هذه الظاهرة إحدى السمات المميزة للمصادر والأصول للمؤرخين المحدثين في التاريخ الاسلامي.(٤٩) وقد أفاد مؤلف هذا المخطوط من الشعر التسجيلي المكتوب باللغتين العربية والسواحلية في منهجه في كتابه **«تاريخ ولاية**

المزارعة في أفريقية الشرقية». ففي عهد عبد الله بن أحمد بن محمد بن عثمان المزروعي الوالي السابع (١٢٢٩ــ١٢٣٨) هـ كان للمزارعة حامية عسكرية في بتة خولتها لهم المعاهدة التي تمت بينهم وبين أهلها منذ أيام مسعود بن ناصر الوالي الرابع في الفترة (١١٦٨ ــ ١١٩٣هـ) حيث أفرد لها المؤلف فصلا بعنوان «التحالف المزروعي النبهاني»(٥٠) وقد كان في النباهنة من أهل بته حزب أساءه نفوذ المزارعة في مملكتهم وكان من رأيهم الاستنجاد بالسيد سعيد بن سلطان البوسعيدي وأن يملكوه بلادهم إذ هو الرجل الوحيد الذي يقدر على مقاومة المزارعة. وأرسل سلطان بته إلى السيد سعيد رسالة بهذا المعنى شاكياً تعدي المزارعة عليهم. فبعث السيد سعيد رسالة إلى الوالي عبدالله ابن أحمد المزروعي يحذره فيها من تعديه على أهل بته. فاغاظ الوالي هذا التحذير وتدخل السيد سعيد فيما بينه وبين حلفاء المزارعة. وهنا حدث ما أدى إلى نشوب الحرب بين السيد سعيد والمزارعة والتي كان لها آثار بعيدة في بداية تدهور واضمحلال ولاية المزارعة نسبة للضربات القوية التي سددها لهم جيوش السيد سعيد بن سلطان فيما بعد، وقد كانت بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير كما يقولون. وقد كان رد فعل الوالي عبدالله بن احمد المزروعي استفزازياً إلى حد كبير ولا يليق بمخاطبة شخصية فذة مثل السيد سعيد بن سلطان. وقد حدثنا مؤلف المخطوط عن هذه الرسالة التي كانت رمزاً للتحدي والاهانة في وقت واحد قائلا:

«فكان جواب الوالي أن أرسل إلى السيد يد حسين بن علي بن عائش الجنيبي درعاً وقلدراً وميقافاً، يرمز بذلك إلى أنه إن كان رجل حرب فليتدرع وينزل في ميدان القتال. وقيل أرسل إليه شيئا من البارود ومداً فارغاً.»(٥١)

هذه المقدمة بمثابة خلفية تاريخية عن دور الشعر التسجيلي في الاشارة إلى هذه الواقعة التي أدت إلى دق طبول الحرب بين السيد سعيد والمزارعة وما قادت إليه من نتائج وخيمة دونها لنا مؤلف المخطوط. والشاعر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس في مجتمعات شرق أفريقية في القرن التاسع عشر هو مياكا بن حاج الغساني (١٧٧٦ ــ ١٨٤٠م) من أبرز شعراء اللغة السواحلية الوطنيين في ممباسة وقد أسهم في ابداع قوالب شعرية جديدة في الأدب السواحلي كما استمد الهامه وخياله من ينابيع التراث الاسلامي(٥٢) واشتهر بالذكاء والحكمة فترددت أبيات شعره عند العامة والخاصة. وقد استشهد مؤلف المخطوط ببعض الأبيات التي أنشدها هذا الشاعر المبدع عند اندلاع هذه الفتنة التي أصابت مجتمع ممباسة بالرعب والفزع، وقد نقل لنا المؤلف الرواية وأبيات الشعر كما يلي:

« علم أهل ممباسة بما فعله الوالي فاستاءوا منه وأيقنوا بالحرب العاجلة. وأصبحت هذه الواقعة حديث القوم في انديتهم. وكان بممباسة في ذلك الوقت بوانه مياكا بن حاج الغساني الشاعر السواحلي المجيد وصاحب الفراسة الصائبة، وقصد الناس إلى ناديه، وسألوه عما عسى أن يكون عاقبة تلك الفعلة التي فعلها الوالي. فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وأنشد بيتين من الشعر يقول فيهما ما ترجمتها حرفيا:

قد غاص الجنيبي ناصب الفخ في البحار.
فإذا خرج منها حصل بممباسة أمر عظيم.
فأخبروا أهل القرى أن لا يمكثوا معجبين.
ففي أول الصيف لتكن قرون البارود في الحصر.

ففي أول الصيف حينما يهب هبوبه.
ترون البزاة أسود رأس الخيمة .

وما كاد يدخل صيف عام ١٢٣٨ إلا وأسطول السيد سعيد قد رسا في مياه متخ وَنَد، وهو مؤلف من ثلاثين سفينة مملوءة بأربعة آلاف جندي وعليهم الأمير حماد بن محمد البوسعيدي، وعسكروا هناك.»(٥٣)

ومن الخصائص التي تميز بها الأدب السواحلي أن قصص التاريخ في المجتمعات السواحلية تدون في صورة منظومات

وقصائد ولعل من أبرز ما كتب في هذا المجال الشعر الوطني الذي جادت به قريحة الشاعر مياكا بن حاج الغساني في تسجيل الوقائع والمعارك التي دارت بين المزارعة والسيد سعيد وتلك الثورة التي أضرمها الشيخ مبارك بن راشد بن سالم المزروعي صاحب الوقائع المشهورة ضد الحكم البوسعيدي وبداية روح المقاومة للاستعمار الأوربي متمثلا في بريطانيا وألمانيا الدولتين اللتين اقتسمتا أملاك ومناطق النفوذ العربي في شرق أفريقية.(٥٤) وقصة «العقيد وقلعة يسوع» - (Al Akida and Fort Jesus - Mombasa).

مثل آخر مثلها في ذلك مثل القصص الشعبي التاريخي دونت في شكل قصيدة شعرية من نوع خاص يطلق عليه بالسواحلي «أوتنزي» (Utenzi). ومؤلف هذا العمل هو عبدالله بن مسعود بن سالم المزروعي الذي ولد في عام ١٢١٢هـ (١٧٩٧م) وتوفي عام ١٣١٢هـ (١٨٩٤م) في تاكونقو على الساحل الكيني شمال ممباسة. وتدور فكرة هذه المنظومة في بعض جوانبها عن حياة المؤلف نفسه، حيث أن والده مسعود بن سالم كان أحد المزارعة الذين تم ابعادهم إلى بندر عباس في عهد السيد سعيد بن سلطان بعد هزيمتهم وقد أدى هذا إلى عدم تعيين الشاعر عبدالله بن مسعود في وظيفة العقيد التي كانت خاصة بقبيلة المزارعة.(٥٥)

أما عن دور الشعر العربي في تسجيل الوقائع والأحداث التاريخية التي تناولها مؤلف المخطوط في كتابه فقد وردت قصيدتان تنسبان إلى شاعر فحل وعالم وفقيه ومؤرخ نسابه يعتبر من أبرز علماء شرق أفريقية في القرن التاسع عشر الميلادي. وهو من المعاصرين لدولة المزارعة والبوسعيديين وتربطه بالولاة والسلاطين في الدولتين علاقات متينة وراسخة مما يؤهله كشاهد عيان من رصد الأخبار وتسجيلها في حينها. هذا هو الشيخ محي الدين بن شيخ بن عبدالله القحطاني الوائلي (١٧٩٠ – ١٨٦٩م)(٥٦) الذي اصبح قاضي الشافعية في زنجبار بعد عام ١٨٣٧م في عهد كل من السيد سعيد بن سلطان ومن بعده السيد ماجد بن سعيد. ولد الشيخ محي الدين في براوة وشب وترعرع في لامو وممباسة حيث كان ولاؤه في شبابه للحكام المزارعة الذين نظم عدة قصائد في مدحهم والاشادة بهم. فما أن بلغه خبر تولية سالم بن احمد بن محمد بن عثمان المزروعي الوالي التاسع الذي تمت مبايعته في أواسط عام ١٢٤١هـ إلا وأرسل إليه بهذه القصيدة يهنئه فيها بالولاية. وقد أوردها مؤلف المخطوط بنصها كما نقلها دون تبديل ولا تغيير:(٥٧).

يا مرسلا أبدى العجب وأفهما   خبراً بغير تكلم يروي الظما
سر عاجلاً حتى إلى ممباسة   فيها البدور مضيئة تلك السما
فيها المشائخ من كهالنة وهم   سادات كهلان وطيب المنتما(٥٨)
أسد كرام ولد أحمد في الورى   كالبحر جوداً أو كغيث قد هما(٥٩)
فإذا اتيت بكوتها مستعجلاً   قف بابها مستأذناً كي تفهما(٦٠)
وإذا دخلت باذنهم سر عاجلاً   نحو الصباح مقبلاً ومسلّما
وإذا جلست فحاذهم متأدباً   ومبلغاً منى السلام معظما
سلهم سؤالاً بيناً بتذلـل   ماذا الجفا بعد الوصال كأنما
طمست رسوم مودة من بيننا   فاستنكرت بعد الوضوح كمعلما
ومضى الزمان ولم نجد من مخبر   أحوالهم وديارهم نعم الحما
ممباسة أخبارها عنا بطت   ماذا بها عجباً فسل مستفهما
حلت بها غير الزمان فطلقت   أم لم تجد كفوْاً لها يروي الظما
فتأيمت وتماطلت خطـابها   حتى ترى كفوْاً لها يحمي الحما
سلها وخذ منها جواباً شافياً   يروي الصدا ويزيل عن قلب العما
رجع الرسول مبشراً بسعادة   وجبين وجه بالبهاء ترسما
سرعاً يحث بسيره مستعجلاً   والنور في جو السماء كأنما
بدر الدجى ملأ الآفاق بنوره   وكأن لمعان البروق تبسما
فبقيت من تلك المضيئة شاخصا   متعجبا ما حل في جو السما
حدثت لنا بحوادث ملكوتها   أم ليلة القدر الذي ما أعظما
فإذا الرسول مبشراً بجوابه   مستبشر ويقول حين ترنما
بخ بخ تلك البشائر للذي   طلعت نجوم سعوده وتعظما
وهو الذي رضيت به بعلاً لها   ممباسة فاستبشرت واستغنما
وتفاخرت وتبخترت لولائه   وتلألأت بسنائه وعلت سما
أعني به والي البرية سالم   يسمو بأحمد نسله حين انتما
بدر الكهالنة الكرام وصفوها   نعم الخليقة كفه بحر طما
عدل حفي للرعاية منصف   عون الضعيف وخيره لن يعدما
كهف الأرامل واليتامى والذي   أم الكريم نواله لن يحرما(٦١)
غارت المة دهرنا من عدله   وأبى الظلوم بعدله أن يظلما
جاوبته لما استطاب نعوته   وأطالها خوف الحسود المرغما
مهلاً هداك الله نعم المرسل   قد جئتنا بحقيقة تروي الظما
ونبأتنا نبأً يقينـاً بينـاً   يشفي الصدور ويكشف القلب العما
لله درك من نزيل أمنا   نعم النزيل لنا بيان بمما

يا إخوة الوالي الولي وحزبه   كونوا جميعا كالثريا أنجما
حذراً تكونوا كالنقوش اجانباً   ما الذل إلا في الخلاف وطالما
ذل الكثير مع الخلاف وطالما   عز القليل مع الوفاق ترحما
كونوا جميعا ناصريه على العدا   رغماً على أنف الحسود ليكظما(٦٢)
فالله ينصركم ونعم نصيركم   يعطي الجزيل ويرتضي بأقل ما
وعليكم مني السلام تحية   من شيخ محي الدين نظماً تمما

أما القصيدة التي اوضحت بجلاء الحاسة التاريخية والتسجيلية عند الشاعر محيي الدين بن شيخ القحطاني فهي بلا شك تلك التي نظمها عن واقعة حصار القلعة تلك الواقعة التي دونها لنا مؤلف المخطوط ، وعلى سبيل الدراسة المقارنة سنحاول عرض ما أثبته وأورده المؤلف من الحقائق مقارنا بما جاء في تلك القصيدة لهذا الشاعر الذي عاصر الأحداث لكي نثبت بالدليل القاطع صحة ما ذهبنا إليه من استنباط للحقائق التاريخية من الشعر. وقد أحسن الشيخ الأمين بن علي المزروعي مؤلف المخطوط في تقديمه لهذه القصيدة حين ذكر :

« .. واستشهد هنا لما ذكرته من واقعة حصار القلعة من أولها إلى آخرها بايراد قصيدة المؤرخ العلامة محي الدين بن شيخ القحطاني رحمة الله عليه التي ضمنها ذكر هذه الحادثة كما شهدها بعيني رأسه. وسيقف القارىء منها على الحقيقة الناصعة من لسان ذلك الشاهد العدل. ونوردها كما نقلناها بعد مقابلتها بعدة نسخ.»(٦٣)

استهل الشاعر هذه القصيدة بأبيات المراد منها استلهام العظة والاعتبار من دروس الماضي وتجنب اثارة الفتن بين الناس وقد ضرب أمثلة رائعة استوحاها من القصص القرآني مما يدل على ثقافة الشاعر الاسلامية العميقة إذ اتخذ من الشعر أداة ومنبراً للوعظ والارشاد والعودة للمنابع الأصيلة حتى يجنب مجتمعه شرور الفتن والنزاعات التي كانت تغلب على المجتمعات العربية في شرق أفريقية كما أسلفنا وما واقعة حصار القلعة التي اندلعت بين المزارعة والبوسعيديين وهي موضوع هذه القصيدة إلا دليل آخر على روح الفرقة والانقسام التي سادت تلك المجتمعات.

يقول الشاعر :

يا طالباً لخسيسة بتحيل   وحلوها شوب السموم القتل
لو أنها ساوت جناح بعوضة   ما ذاق منها شربة للجهل
كم صرعت بغرورها أولي النهى   أرديتهم عجلاً بغير تمهل
أو ما سمعت بفعلها أمم مضت   من عادها وثمودها فتأمل
كانوا ملوكاً قاهرين على الورى   دانت لهم أمم الزمان الأول
نحتوا بيوتاً من قلال جبالها   ظنوا البقاء بها بغير تحول
حلت بهم رسل المنون فاصبحوا   صرعى كأعجاز النخيل الطول
فرعون ذو الأوتاد أخبث كافر   إذ قال ملعون أنا الرب العلي
فأحله بأس الإله لفعلــه   ما كان ينفع قوله حين ابتلى
آمنت أنه لا إله إلا الذي   آمنت به ولقد عصا بالمرسل
يا أيها المغرور كن متنبهاً   أين الأئمة والملوك العدل
أين القضاة وأين أرباب التقى   أين الذي يلجأ به في المهول
أين الحبيب إذا اكتسبت خطيئة   يجزيك بالحسنى كأن لم تفعل
مرت بهم آجالهم فتحولوا   فكأنهم لم يسكنوا في المنزل
وبقى الذين إذا ذللت بزلة   قطعوك عنهم جانبا في معزل
يكفيك هذا إن قبلت نصيحتي   وعظاً ولا تنظر فعال الأرذل
وذكرت أحوال القرون لتعتبر   حال الخسيسة لا تكن كالغفل

ويحدثنا المؤلف أنه بعد أن رفعت بريطانيا حمايتها لولاية المزارعة بمقتضى المعاهدة المبرمة بينهما في عام ١٢٣٩هـ — ١٨٢٤م) والتي سبق أن أشرنا لها وتفاصيلها في الحاشية (٣٧) من هذه الدراسة رأى السيد سعيد بن سلطان بأن الجو قد أصبح مهيئا للهجوم على ممباسة واستردادها إلى أملاكه واخضاع المزارعة وادخالهم في طاعته. فشرع في إعداد العدة ولما تم له كل شيء خرج من مسقط في تسع سفن ممتلئة بالمدافع الضخمة والأسلحة وآلاف من الجنود متولياً قيادة الجيش بنفسه حيث وصل ممباسة بهذه القوة في ١٧ جمادى الآخرة ١٢٤٣هـ — ١٨٢٨م إلا أن صمود المزارعة وحلفائهم من السواحليين بزعامة أحمد بن شيخ الذين أبلوا بلاء حسنا في الدفاع عن ممباسة مما اضطر السيد سعيد للتفاوض والسعي للصلح وقد تم الاتفاق على إيقاف الحرب والقتال وابرام الصلح بين الطرفين(٦٤) وبعد المناقشة والمفاوضات تم التوصل إلى معاهدة صلح أوردها لنا المؤلف في البنود الرئيسية الآتية:(٦٥)

«١. تسلم القلعة للسيد سعيد ويترك فيها حامية مؤلفة من خمسين جنديا بشرط أن يكونوا من قبيلة بينها وبين المزارعة موافقة.

٢. يقيم الوالي وعائلته في القلعة كما كان سابقا.

٣. يكون الملك للسيد سعيد غير أن الحكومة تكون لسالم في حياته ولعقبه بعد موته.(٦٦)

٤. يقسم العشور بين المتعاهدين على السواء وللوالي سالم أن يختار من يريده في إدارة الجمارك». ويضيف المؤلف قائلا: **«وبعد إبرامها على هذه الصورة تعاهد كل على الوفاء بما التزمه لصاحبه، وتحالفا عليه بكل محرجة من اليمين. وفعلاً سلم الوالي القلعة للسيد، فأدخل عساكره فيها وسافر إلى زنجبار ومعه كبار المزارعة لتشييعه».**(٦٧)

وعن هذه التطورات التي ذكرها مؤلف المخطوط يحدثنا الشاعر محيي الدين بن شيخ القحطاني في قصيدته :

وسأنبئنك ما جرى في أرضنا	بمباسة بين الكرام الفضّل
لما أتاها بالهدى خير الندى	شمس الملوك ومن أصميم الكمل
أعني بمولانا سعيد سيد	من نسل سلطان الكريم الأبطل(٦٨)
ومراده بالكوت من خدامه	أولاد أحمد فاهتدوا بتجمل(٦٩)
بذلوا له الكوت المنور بالرضى	فأنالهم فيها ولاية دُوَّل
وأقام فيها للبرية والياً	من نسل أحمد سالم لتأهل
ما دام أو، داموا كذاك نسوهم	والله يشهد بينهم بتكفل
وجرت على تلك العهود مبامن	ومكاتب ما بينهم بمفضل
وأقام في الكوت المنور خلفة	نسل الوليد سعيد حامي المعقل
وأمده بجنوده من أهله	وبشاهم وذي الكموم الطول(٧٠)
كانوا جميعاً في البلاد محشماً	فكأنهم أولاد سيدنا العلي
وبنصرة الرحمن سيدنا رحل	نحو الزنوج بلاد خير المنزل(٧١)

فلنرجع إلى مؤلف المخطوط ليحدثنا بأنه بعد أن أمضى السيد سعيد في زنجبار مدة ثلاثة أشهر تقريبا عاد إلى عمان بعد أن أرسل السيد بعد أولئك الجنود ناصر بن سليمان الاسماعيلي ليأتي قلعة ممباسة بعد أن كان والياً من قبل على الجزيرة الخضراء. ويعلق المؤلف على هذا الموقف قائلا: **«ومع كون هذا الأمر مخالفاً للمادتين الأولى والثالثة من المعاهدة المزروعية السعيدية، احترم المزارعة واليهم هذا غاية الاحترام، حذراً من أن يأتوا بشيء فيتهموا بنقض ما تعهدوه على أنفسهم.»**(٧٢)

ويمضي المؤلف ليحدثنا بأن ناصر بن سليمان هذا قد بدأ يسيء إلى الناس ويعاملهم بقسوة واهانة بل طالبهم بتسليم البلاد له وفشلت كل المساعي التي بذلت للصلح نسبة لاصراره على موقفه الذي يتناقض مع المعاهدة المبرمة بين السيد سعيد والمزارعة. ونشبت نيران الحرب التي اشتهرت بواقعة حصار القلعة والتي انتهت بانتصار المزارعة وهزيمة ناصر بن سليمان وجنوده(٧٣) وهنا يجدر بنا العودة إلى الشاعر محيي الدين بن شيخ القحطاني الذي سجل الوقائع التي تتفق إلى حد كبير مع ما دونه مؤلف المخطوط. قال الشاعر:

لما اعتنى بعمانه متوجهاً	أهدى إلينا ناصراً رجلاً خلي(٧٤)
لما أتى غير البلاد بفعله	وأتى بفعل مثله لم يفعل
كرهته أصحاب البلاد جميعهم	وقليل صبر لا ينال بمأمل
وأثار نار فتنة مخمودة	يا قلة الصبر الخفيف الموئل
ودعا بذلك إمرة من سيد	حاشا له بل ذا عليه تقول
وجرى كلام بينه وشيوخنا	أولاد أحمد يا لهم من مرحل
لما رأينا ناره موقودة	لهباً كأن شرارها قصر علي
قمنا نرقع لانطفاف لهيبا	فكأنها أثواب باناوي الخلي
فتوافقوا توقيف أمرهم إلى	أن ينتهي أمر الخلاف الموئل
وبكل ما من سيد يأتي لهم	يستقبلون جميعهم بتذلل
وجرى على هذا التعاهد بينهم	بتحالف والله خير موكل
من بعد ذا شفنا خطوطاً جملة	من ناصر أن سلموا البلدان لي
أما فحرب الله واقعة بكم	وجواب لا إلا بخط مفصل
لما أتاه جوابهم بخطوطهم	نشر البيارق فوق كوت تقتلي
فإذا المدافع والبنادق تفقع	فقع الرعود القاصفات الهول
حرق البلاد بنارها مشبوبة	قتل العباد بغير موجب مقتل
فشمروا أولاد أحمد للوغى	كالصافنات الموريات الصهل
وبنوا لسيب لحمى العرب أهل الرتب	وحمى القبائل من جميع سواحل(٧٥)
ما زال بينهم الحروب مشمرا	حتى انتهى خير القتال الأثقل
للبدر سيدنا هلال أهلة من	نسل مولانا سعيد الأعدل(٧٦)
فأتاهم منه الخطوط نصيحة	مصحوبة الماس عنده ترسل
فأتى وبلغ أمره بخطوطه	لكن إبليس الغوي لم يقبل(٧٧)
فأشب نيران الحروب بجهده	وأقام كل للوغى متسربل

وقضى الإله على الأنام مقدر ... ما للأنام من القضاء بموئل
ما زال بينهم القتال مشدداً ... ورجال كوت في الحصار المهول
طالت عليهم مدة لم يأتهم ... شيء لاحياء النفوس التحل
صبروا وتموا في الحصار مديدة ... جعلوا جلود تروسهم من مأكل
حتى إذا فنيت جميع معاشهم ... لم يبق فيران لهم لم تؤكل(٧٨)
طلبوا الأمان ليخرجوا من كوتهم ... نفساً ومالاً آمنين المقتل(٧٩)
خرجوا جميعاً سالمين وسافروا ... غير الذي حفر الطوى في مسبل(٨٠)
والمكر حقا لا يحيق وباله ... الا بصاحبه كما في المنزل
والأرض يورثها الإله لمن يشأ ... سبحان من لا يعتريه تذلل
الكوت باق راجعاً لبعوله ... بعد الطلاق فهل يحل ليسأل
وأجيب إن كان الثلاث أو افتدت ... أن لا وإلا فالرجوع محلل(٨١)
كملت مقصودي فخذه موعظاً ... بتفكــر وتدبــر وتأمــل
ثم الصلاة على النبي وآله ... خير الأنام شفيعنا عند العلي

وفي الختام لا بد من ملاحظة عامة أخيرة عن المنهج الذي اتبعه المؤلف في تناوله لموضوع الكتاب المخطوط والتي تتعلق بالموقف الدفاعي الذي اتخذه المؤلف عن عشيرته وأهله المزارعة وذلك في تبرير كل المواقف التي اتخذوها في علاقاتهم مع البوسعيديين. ولعلنا نجد له بعض العذر إذ هاله تلك المادة الغزيرة التي تناولت دولة المزارعة في الكتب الأجنبية بوجه خاص والتي اتهمتهم بالعصيان والتمرد على سلطان البوسعيديين. وقد أفلح في الرد ودحض الكثير من هذه الآراء التي ترددت في تلك الكتب بأسلوب علمي متزن دعمه بالوثائق والروايات التاريخية الأصيلة. لكن هنالك مسألة هامة وجديرة بالاعتبار ولابد للقارىء من استنباطها من الحقائق التاريخية المتصلة بالوجود العربي في شرق أفريقية ألا وهي أنه قد فات على المؤلف بأن روح النزاع والعصبيات القبلية التي سادت في هذه الفترة التاريخية التي تناولها المؤلف قد اسهمت بدور كبير وفعال في تدهور واضمحلال النفوذ العربي الإسلامي في تلك المنطقة. هذه الروح الانقسامية قد مهدت الطريق للتدخل الأجنبي الذي أحكم سيطرته التامة سياسياً وفكرياً على هذه البلاد. علماً بأن المؤلف كما وضح من سيرته الذاتية قد كان من حداة الدعوة الإسلامية وروّاد الاصلاح المجاهدين في شرق أفريقية قولاً وعملاً. إلا أن هذه الملاحظة البسيطة لا تنتقص بحال من الأحوال من قيمة هذا المخطوط النادر. إن كتاب **«تاريخ ولاية المزارعة في أفريقية الشرقية»** فضلاً عن تناوله لموضوع دولة المزارعة بصورة علمية دقيقة، فان القارىء يخرج منه بفوائد كثيرة تتجاوز هذا الموضوع، فقد احتوى على معلومات مفيدة مبثوثة في ثنايا المخطوط تتعلق بقضايا وحقائق تاريخية كنا نجهلها تماماً عن التراث العربي الإسلامي في شرق أفريقية.


تاريخ ولاية المزارعة في افريقية الشرقية تأليف الأمين بن علي المزروعي

صفحة عنوان الكتاب المخطوط


الفصل الأول

الصفحة الأولى

التعليقات والحواشي

(١) يقوم كاتب هذا البحث بدراسة وتحقيق هذا المخطوط بصورة أكثر شمولا ومن المؤمل أن ترى النور قريباً بعون الله وتوفيقه. ويعود الفضل في المقام الأول في الاهتمام بهذا المخطوط والعناية بأمر تحقيقه ودراسته إلى صديقي فضيلة الأستاذ هادون أحمد العطاس وهو من علماء مكة المكرمة الحادبين على دراسة التراث العربي الاسلامي. ونسبة لتخصصي واهتمامي بدراسة تاريخ الاسلام في شرق أفريقية فقد اقترح عليّ وشجعني على القيام بمهمة الدراسة والتحقيق لهذا المخطوط وتحمل مشكوراً مشقة إرسال نسخة منه كما زودني ببعض المراجع ذات الصلة بهذه الدراسة. أما الفضل الأكبر في الاحتفاظ بهذه الوثيقة النادرة إنما يعود إلى العلامة المرحوم علي بن جعفر الوهط السقاف العلوي الحضرمي من أهالي زنجبار والمتوفى بمكة المكرمة في عام ١٤٠١هـ. وقد كان علي بن جعفر الوهط رحمه الله صديقا حميما للمرحوم الشيخ الأمين بن علي المزروعي مؤلف هذا الكتاب المخطوط والذي تكرم بالتمهيد له بمقدمة مفيدة للدارسين تعكس بجلاء عمق الصلات التي تربطه بالمؤلف والاحاطة بمعلومات قيمة عن حياته ونشاطه الفكري والاجتماعي. ويطيب لي في هذا المجال أن أتقدم بالشكر والعرفان للأستاذ هادون العطاس وأنجال المرحوم علي جعفر الوهط بمكة المكرمة لتعاونهم وتكرمهم بإرسال نسخة من المخطوط والاجابة على بعض الاستفسارات المتعلقة بموضوع هذه الدراسة.

(٢) تجدر الاشارة هنا بأن كتب الرحالة والجغرافيين المسلمين قد حفلت بالكثير من المعلومات الخاصة بشرق أفريقية والتي لا غنى للباحث عنها. ومن أبرز المصنفات العربية التي تعتبر أفضل مقدمة وخلفية تاريخية للمدن والامارات العربية الاسلامية في ساحل أفريقية الشرقي ما كتبه أبو الحسن المسعودي في **«مروج الذهب»** عن المجموعات الأفريقية والأصطخري وابن حوقل والمقدسي الذي احتوى كتابه **«أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»** على وصف للأقاليم الاسلامية. ولعل أعظم انجاز واسهام يتناسب دراسة المخطوط الذي نحن بصدده ما دونه ابن بطوطه في كتابه القيم **«تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»** عن الامارات الاسلامية الهامة في شرق أفريقية. ففي رحلته التي قام بها في عام ٧٣١ هـ ــ ١٣٣٢م من زيلع إلى مقديشو «ومنبسه» وكلوة قد حدثنا عن جزيرة ممباسة وهي التي ستكون قاعدة الحكم في ولاية المزارعة وذكر ابن بطوطه عن أهلها بأنهم شافعية المذهب وأهل دين وعفاف وصلاح وأن مساجدهم من الخشب محكمة الاتقان كذلك وصف مدينة كلوة وقد أشار إلى إسلام كثير من الزنوج وأن هؤلاء كان يغلب عليهم الدين الاسلامي وينتمون إلى المذهب الشافعي. (أنظر تقويم هذه المصادر العربية في كتابة تاريخ أفريقية جنوب الصحراء في بحث ت. لويسكي):

« External Arabic Sources for the History of Africa South of the Sahara»,

وذلك في

T.O. Ranger, (edit), Emerging Themes of African History, (Dar EsSalaam, October, 1965) PP. 14-22).

(٣) في محاولة لالقاء الضوء على المصادر المتاحة أنظر: ابراهيم الزين صغيرون «مصادر تاريخ الاسلام في أوغندا دراسة نقدية وتحليلية» **«مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض»**، المجلد السادس (١٩٧٩) صفحات ٣١٥ ــ ٣٦٥، إن النتائج التي توصل إليها البحث المشار إليه تنطبق على كافة المناطق في شرق أفريقية.

(٤) تتضح سياسة الادارة الاستعمارية والهيئات التنصيرية في حرب اللغة العربية والسواحلية منذ العقد الأول لهذا القرن بعد اتمام السيطرة على مناطق شرق أفريقية وقد كتب ولبم تكر كبير المبشرين إلى السكرتير العام لجمعية الكنيسة التبشيرية في لندن عن اتجاهه لفرض استخدام اللغة الانجليزية بدلا عن اللغة العربية والسواحلية. وأن هذه السياسة تنسجم تماما مع أهداف اللورد كرومر في تفضيله اللغة الانجليزية على العربية لتصبح اللغة السائدة في وادي النيل وما ترمي إليه هذه السياسة التي تهدف في المكان الأول محاربة كل ما يمت بصلة للثقافة الاسلامية. ويوضح ذلك بجلاء النص الآتي على لسان ولبم تكر:

« ... A little while ago Col. Sadler wrote to me on this language question and suggested that we should encourage Swahili. I replied strongly depreciating the idea and expressed our intention of doing all in my power to further the study of English. Swahili like Arabic means Mohammad anism and all its evil influences. If there is a (Lingua franca) in the Uganda protectorate I should much prefer English to Swahili just as Lord Cromer prefers English to Arabic for the Nile Valley. In this further respect, therefore, it seems to me the policy of the Uganda Mission and the new Nile Valley Mission Would be identical».

أنظر وثائق جمعية الكنيسة التبشيرية في لندن:

C.M.S. Archives, G 3A7/0 1905 (a).

Tucker to Mr. Baylis, December 30, 1904.

للمزيد من التفاصيل أنظر البحث الذي قدمه كاتب هذه السطور عن انتشار اللغة العربية والسواحلية ودور الهيئات التنصيرية والسلطات الاستعمارية الأوربية في حربها للنفوذ الاسلامي والثقافة العربية في أوغندا والذي نشر بالانجليزية بعنوان:

« Impact of Islam: Some Historical Notes on the Introduction of Arabic and Swahili Languages In Uganda».

مجلة مركز البحوث، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، العدد الثاني ، المحرم ١٤٠٤هـ، أكتوبر ١٩٨٣م، صفحات ٧-١٧.

(٥) لا بد في هذا المجال من الاشادة بالجهود المقدرة التي تقوم بها وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان في جمع وتحقيق وترجمة ودراسة التراث العماني على مر التاريخ في سلسلة تصدر بعنوان «تراثنا».

(٦) أنظر كتاب C.S. Nichols, **The Swahili Coast : Politics, diplomacy and trade on the East African Littoral, 1798 — 1856.** (London, 1971) p. 386.

وقد أشار ب.ج. مارتن في بحثه عن دور علماء زنجبار وشرق أفريقية في القرن التاسع عشر بأن هنالك صورة من المخطوط في حوزة فريمان جرانفيل أحد المختصين في الدراسات السواحلية ومن مؤلفاته التاريخية عن ساحل افريقية الشرقي:

« **East Africa Coast: Selected Documents** (Oxford, 1962).

أما بحث ب.ج. مارتن فهو :

« Notes On Some Members Of the Learned Classes of Zanzibar and East Africa in the nineteenth Century, **The International Journal of African Historical Studies,** Vol IV, Part 3, PP. 525-545. انظر صفحة ٥٣٢ حاشية رقم ٢٨.

(٧) **المخطوط** ص ١٥.

(٨) أنظر مقدمة **المخطوط** بقلم السيد علي جعفر الوهط السقاف ص٥. إلا أن البروفيسور أحمد عيضة سالم الأستاذ بجامعة نيروبي قد ذكر في كتابه «الشعوب الناطقة بالسواحلية في الساحل الكيني ١٨٩٥ — ١٩٦٥» بأن الشيخ الأمين بن علي المزروعي قد وافته المنية في أبريل ١٩٤٩م أنظر كتابه المنشور بالانجليزية:

« **The Swahili — Speaking Peoples of Kenya's Coast 1895 — 1965»** (Nairobi, 1973) P., 168.

(٩) مقدمة **المخطوط** للسيد علي جعفر الوهط السقاف ص٤.

(١٠) **المخطوط** صفحات ٣-٤.

(١١) أنظر كتاب الدكتور أحمد سالم:

The Swahili — Speaking Peoples of Kenya's Coast' PP. 159—160.

ومقدمة السيد علي جعفر الوهط للمخطوط ص ٤.

(١٢) تناول الشيخ الأمين المزروعي هذه الموضوعات الخاصة بالأخطار المحدقة بالمجتمعات الاسلامية في الساحل نتيجة للحضارة الأوربية والنشاط التنصيري وتعليم أبناء وبنات المسلمين وارتباطهم بثقافتهم وهويتهم وقضايا التضامن والجامعة الاسلامية في مقالات نشرت في أعداد متفرقة من جريدة **«الاصلاح»**. أنظر على سبيل المثال:

الاصلاح بتاريخ ٢٥ أكتوبر ١٩٣٠م.

الاصلاح بتاريخ ٧ مارس ١٩٣٢م.

الاصلاح بتاريخ ٢٨ مارس ١٩٣٢م.

الاصلاح بتاريخ ١٩ سبتمبر ١٩٣٢.

الاصلاح بتاريخ ٣ أكتوبر ١٩٣٢م.

الاصلاح بتاريخ ٥ ديسمبر ١٩٣٢م.

ولعل أفضل دراسة علمية عالجت مسألة الصراع الثقافي والحضاري الذي واجهته المجتمعات الاسلامية في شرق أفريقية والدور الريادي والطليعي للشيخ الأمين المزروعي وصحبه من علماء شرق أفريقية تلك الدراسة التي قدمها الدكتور أحمد سالم الذي أفرد لها فصلا كاملا في كتابه بعنوان:

«The Conflict of Cultures 1900 — 1940» The Swahili Speaking Peoples of Kenya's Coast :

أنظر : صفحات ١٣٩ ــ ١٦٨.

(١٣) مقدمة **المخطوط** للسيد علي جعفر الوهط السقاف ص ٥. ومن جهود الشيخ الأمين المزروعي التي أشار إليها في هذا النص تأليفه في التفسير. فهناك طبعة أنيقة لتفسير سورتي الفاتحة والبقرة بالسواحلية واحتوى كتاب التفسير هذا على ديباجة ممتازة احتوت على ترجمة عظيمة الفائدة للمؤلف كتبها الشيخ محمد قاسم المزروعي تعرض فيها لمصادر ثقافة الشيخ الأمين وأساتذته وإسهامه ونشاطه في الحركة الاسلامية في شرق أفريقية. وعنوان الكتاب كالآتي:

Sheikh Al-Amin Bin Ali Mazrui:

Tafsiri Ya Qur'ani Tukufu Al-Faatiha — Al-Baqarah. (Nairobi, 1980).

أنظر مقدمة الشيخ محمد قاسم المزروعي في الصفحات: — IX XII

(١٤) في **المخطوط** ص ٧ يذكر الشيخ الأمين المزروعي بأن هجرة المزارعة إلى أفريقية الشرقية قد ابتدأت بعد فتح الامام سيف بن سلطان لها حوالي عام ١١١٠هـ. أنظر أيضا:

(أ) أحمد حمود المعمري : **عمان وشرق أفريقية الصادر بالانجليزية. Oman And East Africa** (New Delhi, 1979).

صفحة ٦٠.

(ب) مديحة أحمد درويش : **سلطنة عمان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر** (دار الشروق)، (جدة ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م)، ص ٨٠.

(١٥) مقدمة **المخطوط** للسيد علي جعفر الوهط السقاف ص٢.

(١٦) **المخطوط** ص ١.

(١٧) **المخطوط** ص ٦.

(١٨) إن أفضل المصادر التي تعكس الفتن وعدم الاستقرار في عمان هو كتاب: **تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغُمَّة الجامع لأخبار**

الأمة، تأليف سرحان بن سعيد الأزكوي تحقيق عبد المجيد حسيب القيسي ــ سلطنة عُمان وزارة التراث القومي والثقافة وقد عالجت المراجع الحديثة هذا الموضوع أيضا إذ تذكر عائشة السيار «بأن المشاكل الداخلية التي تردّت فيها دولة اليعاربة من تنازع حول الحكم جعلت سيادة عمان على الشرق الأفريقي اسمية أكثر منها فعلية وانه في سنة ١٧٣٩ عين محمد بن عثمان المزروعي حاكما لممباسة ومن ذلك الوقت حكمت عائلة المزروعي ممباسة حتى عهد البوسعيديين بل أن المزارعة استغلوا سقوط دولة اليعاربة وقيام أسرة جديدة ونبذوا حتى السيادة الأسمية لاسرة البوسعيد». أنظر:

عائشة السيار: **دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقية** (بيروت ١٩٧٥) ص١٠٤.

(١٩) مديحة أحمد درويش : المرجع السابق ص ٨٠.

(٢٠) مقدمة **المخطوط** للسيد علي جعفر الوهط السقاف ص٢.

(٢١) سعيد بن علي المغيري : **جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار** تحقيق عبد المنعم عامر، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي، (مسقط ١٩٧٩)، ص ١٣٥.

(٢٢) **المخطوط** ص ١٠ وكتاب الميجر بيرس المشار إليه في النص هو:
F.B. Pearce, Zanzibar: **The Island Metropolis of Eastern Africa**, (London, 1920).

(٢٣) القبطان وليم أوين هو الضابط الانجليزي الذي أبرم معاهدة الحماية مع المزارعة في ٧ جمادى الآخرة ١٢٣٩ هـ الموافق ١٨٢٤ ميلادي وكتابه المشار إليه هو:
W.F.W. Owen, Narrative **of voyages to explore the shores of Africa, Arabia, Madaqascar, performed in H.M. Ships Leven and Barracouta under the direction of Captain W.E.W. Owen**, R.N, London, 1939.

(٢٤) القبطان فيدال هو الضابط الانجليزي المسئول عن السفينة «**براكوته Barracouta**» في الرحلة المشار إليها في الحاشية السابقة (٢٣) وقد زار مرفأ ممباسة قبل وصول القبطان وليم أوين قائد البعثة وكان ذلك في ٣ ديسمبر عام ١٨٢٣م.

أنظر : R. Coupland, **East Africa and its Invaders** (London 1956) pp. 224 - 26.

(٢٥) يلاحظ أن الميجر بيرس في مقدمة كتابه قد ذكر بأنه مدين بالشكر والعرفان لسلطان زنجبار للكثير من المعلومات القيمة التي تضمنها كتابه. وقد كان السلطان آنذاك هو السيد خليفة بن حارب الذي حكم فترة طويلة من ١٣٣١ - ١٣٨٠هـ (١٩١١ ــ ١٩٦٠م). أنظر :

F.B. Pearce, **Zanzibar**, P.VI.

(٢٦)**المخطوط** صفحات ١١ - ١٢. جريدة «**النجاح**» المشار إليها في هذا النص هي جريدة أسبوعية كانت تصدر في جزيرة زنجبار باللغة العربية وكان يحررها نخبة من أبناء عرب زنجبار من بينهم ناصر بن سليمان اللمكي وعيسى بن علي البرواني رئيس جمعية أهل السنة والجماعة وكذلك الأديب محمد بن علي بن خميس البرواني صاحب مقامات ابي الحارث (أنظر ملحق المخطوط)رقم (٢) وهنالك إشارة أيضا في النص للسالمي في «**تحفة الأعيان**» وهو من المصادر الرئيسية الخاصة بتاريخ عمان وعنوانه الكامل كالآتي :

نور الدين عبد الحميد السالمي : **تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان**، ٢ جـ، (القاهرة ١٩٧٢) .

(٢٧)مديحة أحمد درويش، المرجع السابق ص ٢٦.

(٢٨)نفس المرجع، صفحات ٣٥ ــ ٣٦ .

(٢٩)**المخطوط** صفحات ١٦ ــ ١٧ .

(٣٠)**المخطوط** صفحات ١٩ ــ ٢٠ .

(٣١) لا تزال المكتبة العربية تفتقر إلى الدراسات التي تهتم بهذا الجانب الحيوي في الحضارة الاسلامية. أنظر البحث الذي قدمناه في هذا المضمار وسبق الاشارة إليه في الحاشية رقم (٤) أعلاه وموقف اللغة السواحلية كلغة قومية في شرق أفريقية للبروفيسور علي المزروعي في بحث عنوانه :

« The National Language Question In East Africa», **East African Journal.** (June, 1967).

(٣٢)هذا التلاحم بين الثقافات العربية الاسلامية والأفريقية والنشاط الاقتصادي والسياسي الذي شهدته زنجبار والمراكز الساحلية الأخرى قد أصبح مضرباً للأمثال. فهنالك مثل سائر في شرق واواسط أفريقية يتردد في جنباتها في القرن الماضي ويعكس أبعاد الأثر العربي الاسلامي في تلك الجهات :

«عندما يعزف المزمار في زنجبار أنهم يرقصون في منطقة البحيرات» وقد جاء نصه بالانجليزية كما يلي :

« When one pipes in Zanzibar, They dance on the Lakes».

أنظر F.B. Pearce, **Zanzibar**, P. 118.

L.P. Harries, **Islam In East Africa**, (London, 1954), P. 26.

(٣٣)**المخطوط** ص ٢٠ وملندي مدينة ساحلية في كينيا تبعد ٧٧ ميلا شمال ممباسة.

(٣٤)**المخطوط** صفحات ٢١ــ٢٢ والكلنديني والتجاني نسبة إلى مجموعتين رئيسيتين من الشعب السواحلي في ممباسة من ضمن «**الطوائف الثلاث**» وهم من سكان ممباسة الأصليين وهي : الكلنديية والتجانية والشنقامية. للمزيد من التفاصيل عن التقسيمات القبلية للشعب السواحلي أنظر:

F.J. Berg: « The Swahili Community of Mombasa, 1500-1900, **Journal of African History**, IX, 1 (1968), PP. 35-56.

أما طوائف الزنوج المشار إليها في النص فمناطقها إما تقع على الساحل أو منطقة الظهير الكيني وقد كانوا يخضعون لولاية المزارعة. أنظر كتاب الدكتور أحمد سالم: The Swahili Speaking Peoples, pp. 27-32.

(٣٥)**المخطوط** صفحات ٥٥ ــ ٥٦ أما «**الطوائف التسع**» المشار إليها في النص فهي المجموعة الثانية من القبائل السواحلية وهي كالآتي :
(١) الكليفيون **Kilifi** (٢) ماڤيتا **Mvita** (٣) جومڤو **Jomvu** (٤) متوابه **Mtwapa** (٥) وبته **Pate** (٦) بازا أوفازا **Paza or Faza** (٧) شاكا **Shaka** (٨) باجون **Bajun** (٩) كاتوا **Katwa.**

أنظر F.J. Berg: 'The Swahili Community' PP. 46-49.

وفي نهاية النص إشارة لثورة مبارك بن راشد وهو مبارك بن راشد ابن سالم المزروعي صاحب الوقائع المشهورة في مقاومة البوسعيديين والانجليز بعد السيطرة الاستعمارية وقد كان ناقما وثائرا على المصير المؤلم الذي لحق بأهله وعشيرته من المزارعة وقد كان يجسد عند البعض الوطنية السواحلية في مقاومة الغزو الأجنبي سواء أكان بوسعيديا أم انجليزيا. وقد كتب سعيد بن علي المغيري فصلاً في كتابه عن أخبار الشيخ مبارك بن راشد جاء فيه ما يلي:

«هذا الشيخ الضرغام الباسل، من يشار إليه بالبنان في البسالة والشجاعة ، وهو من بقايا الأسرة المالكة لمباسة، من المزاريع بعد الأئمة اليعاربة، وهذا الرجل ممن اشتهر بالعناد والقساوة على حكام أبناء الامام، دولة آل بوسعيد.

وقد قام بالعداوة وعدم الانقياد لولاة سلاطين زنجبار، في ممباسة وملحقاتها، وله عدة وقائع بينه وبين جيوش زنجبار، التي كانت تقوم بقمع ثوراته...».

أنظر : **جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار ص ٢٧٧** وما بعدها.

(٣٦)**المخطوط** صفحات ٦٠ــ٦١. «الجزيرة الخضراء» هو الاسم الذي أطلقه العرب على جزيرة بمبا **(Pemba)** تقع شمال زنجبار على بعد ٣٢ ميلا، وعن البر الأفريقي ٣٨ ميلا.

(٣٧)**المخطوط** ص ١٣ والمعاهدة المشار إليها في النص ...

قد ابرمت بين المزارعة والقبطان أوين في عهد سليمان بن علي بن عثمان بن عبدالله المزروعي الوالي الثامن (١٢٣٨ــ١٢٤١هـ) الذي طلب إدخال ممباسة وسائر بلاده تحت حماية الدولة الانجليزية. وتشتمل المعاهدة على ست مواد وهي كالتالي:

«١. أن تعيد بريطانيا العظمى إلى والي ممباسة جميع ما كان يملكه من البلاد قبل.
٢. أن يدير أمر السلطنة زعيم المزارعة وتكون وراثية في نسله.
٣. أن يقيم وكيل الحكومة الحامية مع الوالي.
٤. أن تقسم العشور بين المتعاهدين على السواء.
٥. أن يؤذن لرعايا بريطانيا بالاتجار في الممالك الداخلية.
٦. أن تبطل تجارة الرقيق في ممباسة.

ولتحقيق مواد هذه المعاهدة أقيم الملازم الثالث لبارجة ليفي المستر جون جمس ريتز وكيلا لبريطانيا العظمى في ممباسة. وعين المستر جورج فيليس قائدا للعسكر يعاونه ثلاثة من الانكليز».
(أنظر **المخطوط** صفحات ٧١ ــ ٧٢).

(٣٨)مديحة أحمد درويش ، **المرجع السابق** ص ١٢٢. وقد كان السيد ثويني بن سعيد بن سلطان حاكماً على عمان في الفترة من (١٢٧٣هـ إلى ١٢٨٤هـ) الموافق (١٨٥٦ ــ ١٨٦٦م) أما أخوه السلطان ماجد ابن سعيد بن سلطان فقد كان حاكما على زنجبار في الفترة من (١٢٧٣ إلى ١٢٨٧هـ) الموافق (١٨٥٦ ــ ١٨٧٠م) وقد فرضت بريطانيا مبدأ التحكيم في النزاع الأسري الذي نشب بين ثويني وماجد فاختارت اللورد كانتج **(Canning)** حاكم الهند العام ليباشر هذه المهمة وقد جاءت نتيجة التحكيم تحيزا واضحا إلى جانب ماجد ورفضت بريطانيا الاعتراف بأي حق لثويني في السيطرة على أخيه ماجد وبالتالي حقه في السيادة على كل من مسقط وزنجبار ومن ثم صدر في أبريل سنة ١٨٦١م قرار لجنة التحكيم بالفصل بين الأجزاء الأفريقية من السلطنة عن الأجزاء الآسيوية. وقد أحسنت الدكتورة مديحة أحمد درويش وأجادت عندما ذكرت لنا نتائج هذا التقسيم الذي فرضته بريطانيا حيث تقول :

«وكان هذا التقسيم **ضربة قاضية للامبراطورية التي كونها** السيد سعيد حيث **تحولت مسقط بسبب ذلك إلى إمارة صغيرة** ذات تأثير ضعيف **في السياسة الدولية، فخسرت بذلك مركزها** السياسي بالاضافة **إلى مركزها التجاري والاقتصادي الذي كانت** تحتله من قبل.

كما كان هذا التحكيم والتقسيم **منفذاً خطيراً لفرض السيطرة البريطانية على المنطقتين، وحيث أصبح سلاطين عمان يسعون للحصول على الاعتراف البريطاني عند توليهم الحكم وذلك حتى يضمنوا الحصول على الاعانات المالية والتي تدفعها زنجبار سنويا، فقد كان باستطاعة بريطانيا إذا لم تكن راضية أو معترفة بحاكم مسقط أن تدفع حكام زنجبار إلى وقف هذه المساعدات المالية المتفق عليها. ومنذ عام ١٨٧١م تولت بريطانيا بنفسها دفع هذه الإعانة فكان من السهل عليها استغلالها كسلاح تشهره في وجه حكام مسقط كلما أرادت ذلك.»** (المرجع السابق صفحات ١٢٤ــ١٢٥).

ولعل من أفضل المصادر الأولية التي يمكن الاعتماد عليها في وصف بذور الفتنة الأسرية داخل البيت الحاكم وبداية التدخل البريطاني وفقدان السيادة الوطنية في زنجبار ما روته السيدة سالمة بنت السيد سعيد بن سلطان في مذكراتها التي تمت ترجمتها أخيرا وقد كانت بمثابة شاهد عيان لهذه الأحداث والتطورات. أنظر **مذكرات أميرة عربية**، ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي (أبو ظبي ١٩٧٤) صفحات(٢٧٣ ــ ٢٧٥، ٢٩١و ٢٩٥ ــ ٢٩٧).

(٣٩) **المخطوط** صفحات ٧٧ ـــ ٧٨. أما كتاب المستر لين «**زنجبار**» الذي أشار إليه المؤلف في النص فهو كما يلي :

R.N. Lyne: **Zanzibar In Contemporary Times**, (London, 1905), P. 39.

(٤٠) **المخطوط** ص ٢.

(٤١) **المخطوط** ص ٣.

(٤٢) **المخطوط** صفحات ٣ ـــ ٤. والعلامة علي بن عبدالله بن نافع المذكور في هذا النص هو والد مؤلف المخطوط وقد عاش في الفترة (١٨٢٥ ـــ ١٨٩٤م) وقد صحب والده إلى الأراضي المقدسة في الرحلة المشار إليها في النص وتذكر المصادر أيضاً بأنه قد تلقى تعليمه أيضاً على يد مفتي الشافعية المشهور في مكة المكرمة الشيخ أحمد بن زيني دحلان ولعل هذا يفسر لنا نشاط الشيخ علي بن عبدالله بن نافع المزروعي كداعية نشط للمذهب السني على مذهب الامام الشافعي في زنجبار والجزيرة الخضراء مما عرضه لغضب السيد برغش بن سلطان الذي أودعه السجن وقد أطلق سراحه بعد وفاة السيد برغش في مارس ١٨٨٨م. ومن المعروف أن سلاطين زنجبار قد كانوا يعتنقون المذهب الأباضي هذا على الرغم من موقف غالبية هؤلاء السلاطين الذي اتسم بالاعتدال والتسامح في هذه المسألة نسبة لاعتناق الغالبية من رعاياهم الاسلام على المذهب الشافعي. والدليل على ذلك هو أن السيد حمد بن ثويني بن سعيد (١٣١٠ ـــ ١٣١٤هـ) (١٨٩٣ ـــ ١٨٩٦م) سلطان زنجبار قد أعاد تعيين الشيخ علي بن عبدالله بن نافع المزروعي قاضياً على ممباسة في ٢٠ ربيع الثاني ١٣١١هـ الموافق ٣١ أكتوبر ١٨٩٣م، نفس المنصب الذي تولاه في فترة سابقة في عهد السيد ماجد بن سعيد. وللمزيد من المعلومات الخاصة بدور أسرة المزروعي في مجال التأليف والنشاط العلمي عموما أنظر :

كتاب أحمد سالم :

(1) **The Swahili - Speaking Peoples**, PP. 143, 154, 159-168.

وكذلك ب.ج. مارتن في بحثه :

(2) Some Members of the learned classes of Zanzibar and East Africa, PP. 536-537.

(٤٣) **المخطوط** ص ٧ قد سبق أن تناولنا بالتعليق والاشارة هذه الكتب ومؤلفيها في الحواشي السابقة أما سعيد رويت فهو ابن السيدة سالمة بنت سعيد بن سلطان البوسعيدي من أب الماني وهو حفيد مؤسس دولة البوسعيد في زنجبار وشرق أفريقية. وكتابه المشار إليه هو عن جده «**السيد سعيد بن سلطان حاكم عمان وزنجبار ومكانته في تاريخ الجزيرة العربية وشرق أفريقية**» الذي صدر بالانجليزية في لندن عام ١٩٢٩م وعنوانه :

Rudolph Said Ruete, **Said Bin Sultan (1719-1856), ruler of Oman and Zanzibar: his place in the history of Arabia and East Africa** (London, 1929).

(٤٤) **المخطوط** صفحات ١٦ ـــ ١٧ أهل واسين **(Wasini)** هي جزيرة واسين المعروفة في الساحل الكيني وتقع بالقرب من مدينة ڤانقه **(Vanga)** وهي في حدود كينيا الجنوبية. في هذه المنطقة التي كان سكانها الأصليون من الديقو **(Digo)** والسيقيجو **(Segeju)** تمكنت العناصر العربية والشيرازية بانصهارها واتحادهم مع هؤلاء السكان الوطنيين من تأسيس أسرة حاكمة في المنطقة اتخذت «**الديوانية**» نظاما للحكم في سلطنة ڤومبا **(Vumba)** المشار إليها في النص وذلك في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي.

وقد كان حكامها الخمسة الأوائل وثنيين ولكن سرعان ما أعقبهم ولاة من المسلمين المتشبعين بالثقافة العربية. وقد كانت نقطة التحول في تاريخ السلطنة حوالى عام ١٧٠٠م عندما تولى أحد الأشراف من البيت العلوي زمام السلطة وهو السيد أبو بكر بن شيخ المسيلة باعلوي والذي تبنى لقب **الديوان**: أي حاكم أو والي بالسواحلية. وعلى الرغم من هذا التغير في النظام الأفريقي الذي كان سائدا إلا أنه وخلفاءه من بعد قد تبنوا ألقابا أفريقية ترمز للسيادة والقوة. فالديوان «**أبو بكر بن شيخ من آل المسيلة**» المذكور في النص قد كان لقبه «**روغة**» **(Ruga)** كما ذكر مؤلف المخطوط وتعني في لغة البانتو **(Bantu)** وقبيلة سيقيجو **(Segeju)** بالذات: «قوي كالثور» رمزاً للقوة والسيادة كما أسلفت . ومما يجدر ذكره أيضا أن سلطنة ڤومبا الوطنية قد كانت مرتبطة بالدولة الرسولية في اليمن وجنوب الجزيرة ارتباطا وثيقا ومنذ القرن العاشر الهجري الموافق القرن السادس عشر الميلادي ثبتت قرابة حاكم ظفار من السادة العلويين أهل المسيلة (اسم وادي وقرية في حضرموت) بحكام جزيرة واسين أهل المسيلة الذين عرفت دولتهم بحكومة الديوان كما أسلفت. ولا يزال أهالي الجزيرة ينسبون إلى السادة العلويين أهل المسيلة. (عن الدولة الرسولية) أنظر.. محمد عبدالعال أحمد: **بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما** ٦٢٨ـــ٩٤٣هـ ـــ ١٢٣١ ـــ ١٥١٧م (القاهرة ١٩٨٠م). للمزيد من المعلومات عن دور هذه الأسرة الحاكمة والأشراف بصفة خاصة ومكانتهم الروحية والاجتماعية في أوساط الأفارقة أنظر:

أحمد سالم :

The Swahili - Speaking Peoples, PP. 28-29.

(٤٥) **المخطوط** صفحات ٢٤ ـــ ٢٥.

(٤٦) أنظر الحاشية رقم (٢٦) في هذه الدراسة ، **والمخطوط** حيث ذكر المؤلف معلقاً على الأحداث في عمان:

«.. **والامام أحمد كان عاملاً من قبل الامام سيف بن سلطان على صحار فتغلب عليها في حياته ثم تغلب على حصون الباطنة بعد**

موته ذكر ذلك السالمي في تحفة الأعيان..» (ص ١٢).

(٤٧) المخطوط ص ٢٥. من المصادر العمانية الأصيلة التي تؤكد ما ذكره المؤلف عن حالة التوتر والانقسام التي شهدتها عمان في هذه الفترة ما جاء في كتاب:

«تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمّة الجامع لأخبار الأمة» تأليف سرحان بن سعيد الأزكوي، تحقيق عبد المجيد حسيب القيسي ــ سلطنة عمان وزارة التراث القومي والثقافة.

(٤٨) أنظر على سبيل المثال لا الحصر الصفحات الآتية من المخطوط : ٨،٩، ١٨، ٢٠، ٢١ ــ ٢٦، ٢٩ ــ ٣١، ٣٤، ٣٧ــ٤٣، ٥٩ ــ ٦١، ٦٣، ٦٨، ٨٤.

(٤٩) أنظر في هذا الاطار الدراسة القيمة للدكتورة سيدة إسماعيل كاشف: «مصادر التاريخ الاسلامي ومناهج البحث فيه»، دار الرائد العربي ــ بيروت (١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣م)، الفصل السابع صفحات ٨٣ ــ ١٣٥.

(٥٠) المخطوط صفحات ٣٧ ــ ٤٣ بته : (Pate) في المصادر الأجنبية، وهي سلطنة اسلامية في أرخبيل لامو على الساحل الكيني. وفي بداية القرن التاسع عشر الميلادي كانت سلطنة بته هي أقوى الممالك في هذا الأرخبيل. وقد كان لها تاريخ طويل وعريق في هذا الساحل. ويرجع الفضل في تأسيس هذه السلطنة إلى النبهانية أو النباهنة من عرب عمان وقد كان ذلك في العصور الوسطى. وقد وصل هؤلاء النباهنة من عمان إلى السواحل في القرن الثالث عشر الميلادي وأسسوا هذه السلطنة عن طريق المصاهرة مع الأسرة الحاكمة المسلمة من السكان الوطنيين من أهل البلاد. وتذكر حولية بته (Pate Chronicle) بأنه قد تمكنت هذه الأسرة من توسيع سلطانها ونفوذها عن طريق الفتح في القرن الرابع عشر الميلادي ففرضت سيادتها على أرخبيل لامو وماليندي وامتد النفوذ النبهاني شمالا إلى أقليم البنادر (وهي المدن والقرى التي على طول بلاد الصومال في ضفاف المحيط الهندي) وامتد هذا النفوذ إلى سنقو منارا (Songo Manara) بالقرب من كلوة المدينة الاسلامية المشهورة حيث شيدوا المسجد النبهاني الذي يرجع تاريخه إلى القرن الرابع عشر الميلادي وهذا ما كشفت عنه الحفريات الأثرية الحديثة. هذه المعلومات استقيتها من كتاب أحمد سالم:

(The Swahili - Speaking Peoples, P. 21).

(٥١) المخطوط ص ٦٢ وتردد في المصادر السواحلية الحديثة أن مدلول ومغزى هذه الرسالة المهينة هو «إما أن يستعد السيد سعيد للحرب والقتال كالرجال أو يلزم المطبخ ليطهى الطعام كالنساء».

أنظر كتاب الدكتور محمد حسن عبد العزيز الأستاذ بجامعة نيروبي عن «مياكا: الشعر السواحلي الشعبي في القرن التاسع عشر» والمطبوع في نيروبي عام ١٩٧٩ والصادر باللغة الانجليزية وعنوانه:

Muyaka : 19th Century Swahili Popular Poetry (Nairobi, 1979) P. 121.

(٥٢) للمزيد من المعلومات عن الأدب واللغة السواحلية واسهام الشاعر مياكا بن حاج في هذا المجال أنظر:

(1) W. Whiteley: **Swahili. The Rise of a National Language** (London, 1969), PP. 2, 19-20, 42, 58.

(2) **Muyaka : 19th Century Swahili Popular Poetry**, PP. 7-37.

(٥٣) المخطوط ص ٦٣ وتربط الشاعر مياكا بن حاج الغساني علاقات الولاء والصداقة بالمزارعة وقد أصبح الصوت المجلجل الذي يتغنى بأمجادهم وقد سجل في شعره المعارك التي خاضوها ضد البوسعيديين والحكومة البريطانية . وبعد اطلاعنا على المصادر الحديثة وجدنا النص السواحلي مكتوبا بالحروف اللاتينية مع ترجمة لأبيات مياكا بن حاج التي أوردها مؤلف المخطوط باللغة الانجليزية وهي كما يلي:

النص السواحلي :

Jenebi mtega t'ambo hapo Yulizile mbizi Atapozuka ni mambo! Gongwa itatenda kazi Wambieni Waziyambo wasikae kwa makuzi; Awaili ya Kasikazi P'embe Ziwe viunoni.

Awaili ya kasikazi P'epo Zichanza Kuvuma Mtawaona makozi, Simba wa Rasel Kheima.

الترجمة الانجليزية للأبيات :

Jenebi, the creator of puzzling contraptions has taken a long and deep plunge.
When he rises to the surface again, great trouble will have been stirred. The great city of Mombasa will have an awful lot to do,
Tell the Twelve Tribes not to stay calm and Complacent.
At the Start of the N.E. Monsoons the gunpowder horns must be dangling on the waists! At the start of the N.E. Monsoons when the winds start to blow,
You will see the mighty hawks, the lions of Ras el Kheima.

(هذا النص السواحلي وترجمته الانجليزية مأخوذ من كتاب الدكتور محمد حسن عبد العزيز :

Muyaka: 19th Century Swahili Popular Poetry, P. 121.

(٥٤) أما الشيخ مبارك بن راشد بن سالم المزروعي فقد أصبح بطلا أسطوريا في الأدب الشعبي السواحلي مما أكسبه مدح الأهالي من

السواحليين الذين اعتبروه رمزاً للدفاع الوطني عن أراضيهم. وقد خصه مؤلف المخطوط ببعض السطور تقديراً لجهوده في المعارك ضد الجيش البوسعيدي:

«... وأبلى الأمير مبارك بلاء حسنا وأظهر من الشجاعة ما أثبت له بحق مدح أهل هذه البلاد وثناءهم. فألقيت في مدحه القصائد دامت متداولة بين الأهالي إلى مدى غير بعيد».

«أنظر **المخطوط** ص ٦٥) وقد كان الشيخ مبارك بن راشد المزروعي من أعز أصدقاء الشاعر مياكا بن حاج وأقربهم إلى قلبه لذلك فقد أفرد له العديد من قصائد المدح التي أشار لها مؤلف المخطوط في النص أعلاه. أنظر أيضا:

W. Whiteley, **Swahili: The Rise of a National Language,** PP 20-21, 43.

(٥٥) أنظر الكتاب الذي ألفه مبارك علي الهناوي بالانجليزية وهو تسجيل لواقعة الصراع بين البوسعيديين والمزارعة حول قلعة ممباسة وعنوان الكتاب:

Al Akida and Fort Jesus. **Mombasa,** (Nairobi, 1970).

والمنظومة السواحلية المشار إليها في النص من تأليف عبدالله بن مسعود بن سالم المزروعي قد ضمنها مؤلف هذا الكتاب في نهايته في الصفحات ٦٧ — ٧٩. وقد ذكر المؤلف بأن الفضل يرجع في تأليف كتابه إلى اقتراح من صديقه العالم الشيخ الأمين بن علي المزروعي مؤلف هذا المخطوط الذي أمده بالمادة العلمية من مصادر متنوعة. وهنالك أيضا ترجمة حديثة لهذا الكتاب أعدها الأستاذ عبد المنعم عامر بعنوان :

العمانيون وقلعة ممباسا. ضمن سلسلة مطبوعات وزارة التراث القومي والثقافة — سلطنة عمان (يوليو ١٩٨٠).

(٥٦) قد أشار إليه مؤلف المخطوط في أكثر من مكان في كتابه **«بالمؤرخ والعلامة محيي الدين بن شيخ القحطاني».**

أنظر **المخطوط** صفحات(١٧، ٧٣، ٧٥، ٨٦) وقد اشتهر الشيخ محيي الدين بن شيخ أيضا كشاعر مجيد من شعراء السواحلية وقد قام بجمع أشعاره الدكتور ليندون هاريس الذي عزا إليه الفضل في انتشار الشعر السواحلي — المنظوم على القوالب والنمط الشمالي والذي كان مركزه الكبير في لامو — إلى زنجبار والمناطق الأخرى. كما تذكر المصادر بأنه كان حجة في الفقه على مذهب الامام الشافعي وله طلاب عديدون تتلمذوا على يديه في هذا المجال. هذا إضافة إلى اسهامه في حقل التأليف في التوحيد كما له شرح **لمنهاج الطالبين** للامام النووي. ومن أعماله التاريخية الجديرة بالاشادة اهتمامه ونقله للمستخلص المقتبس النادر لمخطوط **حولية كلوة** المجهول المؤلف **«كتاب السلوي في تاريخ كلوة»** والذي يعتبر من المصادر الأساسية لتاريخ كلوة والساحل في العصر الوسيط خاصة نسبة لضياع النسخة الأصلية. لكل هذا الذي ذكرناه عن الشيخ محيي الدين بن شيخ القحطاني قد جعله الدكتور ب.ج. مارتن في مقدمة العلماء الذين تناولهم بالدراسة في بحثه عن الدور الذي قام به بعض العلماء في زنجبار وشرق أفريقية في القرن التاسع عشر الميلادي، (للمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع) أنظر:

(1) B.G. Martin, «Some Members of the Learned Classes of Zanzibar and East Africa» PP. 531-534.

(2) Lyndon Harries, **Swahili Poetry.** (Oxford, 1962), P. 13.

(٥٧) **المخطوط** صفحات ٧٤ — ٧٥.

(٥٨) «المشائخ من كهالنة» و«سادات كهلان» يريد الشاعر هنا الاشارة إلى نسب المزارعة وأصولهم والمعروف أن المزارعة الذين استوطنوا أفريقية الشرقية متفرعون من أربعة عشر أصلا ينتهي نسبهم إلى زيد ابن كهلان بن عدي بن عبد شمس (**المخطوط** ص١).

(٥٩) يقصد بولد أحمد ولاة المزارعة وهم أولاد أحمد بن محمد بن عثمان ابن عبدالله المزروعي.

(٦٠) الكوت المشار إليه في هذا البيت هو قلعة ممباسة المشهورة والتي شهدت معارك ضارية ضد البرتغاليين وستشهد المعارك التي ستدور بين المزارعة والبوسعيديين.

(٦١) هذا المدح الذي أضفاه الشاعر محيي الدين بن شيخ القحطاني على الوالي سالم بن أحمد بن محمد بن عثمان بن عبدالله المزروعي هناك من يدعمه من المصادر الأخرى، فالشيخ سعيد بن علي المغيري مؤلف كتاب **«جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار»** من المؤرخين الذين عرفوا بولائهم الكبير وميولهم للبوسعيديين حكام زنجبار وشرق أفريقية قد أفرد فصلا في كتابه للتحدث عن هذا الوالي من المزارعة الذي وصفه عند وفاته: **«توفي هذا الوالي سنة ١٢٥٠هـ، وكان جميل العشرة، حسن السيرة، كبير النفس، موثر للشورى في جميع أعماله العمومية..»** (**جهينة الأخبار**: ص ١٣٥) هذا الوصف يطابق ولا يختلف كثيرا عما أورده مؤلف المخطوط في خاتمة حديثه عن الوالي سالم بن أحمد المزروعي :

«توفي الوالي رحمة الله عليه في ذي القعدة عام ١٢٥٠هـ تاركا في قلوب أهل ممباسة حزناً عظيماً. وكان رحمه الله أحزم ولاة المزارعة وأسدهم رأيا وأقواهم بأساً، لم ينبغ في الولاة مثله. وكان جميل العشرة، حسن السيرة، كبير النفس، محبا لمعالي الأمور، موثرا للشورى في جميع أعماله العمومية، لم يكن يقدم على أمر إلا بعد أخذ رأي أعيان البلد وزعمائه ولهذا أحبه الناس وأصبح زعماء الطوائف الأثنتي عشرة يحسبون أن الحكومة مشتركة بينهم وبينه، خصوصا زعماء الطوائف الثلاث الذين كانوا عنده بمنزلة الأخوة الشفقاء ولم يكن رحمه الله يرضى أن يأتي أحد بما يفسد حكومته أو يسبب الثورة أو يلجأ على مخالفة الأوامر في بلاده. ولأجل ذلك ما كان يعذر المخالفين والعصاة، ولا يقبل الشفاعة فيهم، وما أرشد هذه السياسة!» (المخطوط ص ٩٩).

(٦٢) في هذه الأبيات الأخيرة من القصيدة يخاطب الشاعر أخوة الوالي ويحذرهم من مغبة الخلاف والشقاق ولعل هذا صدى للنزاعات التي كانت تنشب في أوساط المزارعة أنفسهم إذ حدثنا مؤلف المخطوط بأنه بعد وفاة الوالي السابع عبدالله بن احمد المزروعي **«قد اختلف أخوته فيمن يكون والياً بعده، وكل أراد الولاية لنفسه وكادوا يقتتلون عليها. ثم اتفقوا أخيراً على تولية عمهم سليمان بن علي بن عثمان المزروعي»**. (**المخطوط** ص ٦٦) «**وفي السنة التالية من ولايته اتفق أولاد أحمد بن محمد بن عثمان على خلعه فخلعوه**». (**المخطوط** ص٧٢) وتحدثنا المصادر الحديثة أيضا عن هذا النزاع والخلاف في أوساط الأسرة الحاكمة وقد أفرد الدكتور محمد حسن عبد العزيزالكاتب الكيني فصلاً عن هذه الظاهرة ضمنه قصيدة نظمها الشاعر مياكا بن حاج الغساني وموضوعها الصراع الذي نشب بين مبارك بن محمد بن عثمان المزروعي وأخيه سالم بن محمد ابن عثمان المزروعي بعد وفاة شقيقهم عبدالله بن محمد بن عثمان بن عبدالله المزروعي الوالي الخامس الذي حكم فترة قصيرة (١١٩٣هـ ـــ ١١٩٥هـ).

أنظر الفصل المشار إليه أعلاه وقصيدة مياكا بن حاج السواحلية في :

Muyaka: 19th Century **Swahili Popular Poetry**. pp. 137 - 140

(٦٣) **المخطوط** ص ٨٦. وقد أورد المؤلف القصيدة كاملة في الصفحات (٨٦ ـــ ٨٩) من **المخطوط**.

(٦٤) **المخطوط** صفحات ٧٧ ـــ ٨٠.

(٦٥) **المخطوط** صفحات ٨٠ ـــ ٨١.

(٦٦) سالم المعني هنا هو سالم بن أحمد بن محمد بن عثمان بن عبدالله المزروعي الوالي التاسع.

(٦٧) **المخطوط** ص ٨١.

(٦٨) هذا المدح من الشاعر للسيد سعيد بن سلطان يبرز علاقته القوية والطيبة بالبوسعيديين.

(٦٩) أولاد أحمد هم المزارعة حكام ممباسة والأقاليم التابعة لها.

(٧٠) في هذا البيت اشارة لامداد السيد سعيد الحامية التي تركها في القلعة بجنود من العرب والبلوشيين بعد مضي شهرين تقريباً من ابرام المعاهدة. وفي عجز البيت اشارة للقائد الذي كان أميراً عليهم وهو الجمعدار شاهو الزندحاني (**المخطوط ص ٨١**).

(٧١) يعني رحيل السيد سعيد إلى زنجبار.

(٧٢) **المخطوط** صفحات ٨١ ـــ ٨٢.

(٧٣) **المخطوط** صفحات ٨٣ ـــ ٨٦.

(٧٤) هو ناصر بن سليمان الاسماعيلي وقد أتى قلعة ممباسة من طرف السيد سعيد بن سلطان .

(٧٥) هذه الوقائع التي سجلها الشاعر نظما دونها المؤلف لنا في المخطوط كما يلي :

«... فبدأ ناصر بن سليمان يسيء إلى الناس ويعاملهم بقسوة ويهين ذوي الأقدار منهم، فمقتوه وكرهوه. وأخيراً شرع يطعن في المزارعة وينال من كرامتهم. فأبلغوه أن يكف عن تعديه عليهم. ولكن ناصر لم يحسب لأمرهم حساباً. ولما رأى مشائخ البلد وزعماء الطوائف ازدياد الخصام بينه وبين المزارعة وخافوا سوء العاقبة دخلوا في الاصلاح بينهم فقبل المزارعة الصلح على أن يكف كل واحد منهم عن التعدي على الآخر، وأن يرسلوا شكواهم إلى عمان وينتظروا ما يأمر به السيد في شأن هذه الحادثة. لم يقبل ناصر بن سليمان هذا الصلح، وبعد مدة قصيرة أرسل إلى الوالي يأمره بتسليم أمر البلد إليه ويؤذنه بالحرب إن لم يفعل. فامتنع الوالي عن ذلك وعده أهانة فظيعة في حقه مع ما فيه من نقض المعاهدة المعقودة بينه وبين السيد . وتعجب الناس أيضاً من فعل ناصر هذا ، وراجعوه في تأخير هذا الأمر إلى أن يرد جواب السيد من عمان، ولكن الوالي ألح على طلبه وأخبر المشائخ بأن هذا الذي يأتي به هو عين ما أمر به السيد ولا يمكن أن يتخلف عن أمره.

ولما كان يوم ٥ ذي القعدة عام ١٢٤٣ نشر راية القتال، وأمر بالقاء القنابل على البلد واطلاق البنادق على أهله فاحترق قسم كبير منه بنيران المدافع، وخرج ناصر مع عساكره قاصدين إلى حيث يسكن الوالي سالم وعشيرته ليلقوا عليهم القبض ويقيدوهم في الحديد. وانتشر آخرون في البلد يعيثون فيه فساداً، فأراقوا دماء كثيرين من الأبرياء. وما كان من المزارعة إلا أن قابلوا هذه الفعلة السيئة بمثلها، فبارزوا عساكر ناصر وأمعنوا فيهم القتل فشتتوا شملهم وفروا هاربين، وتبعهم المزارعة يقتلونهم رمياً بالرصاص وضرباً بالسيوف وطعناً بالخناجر، فلجأ من بقي منهم إلى القلعة وأقفلوا على أنفسهم الرتاج وتحصنوا بها. وأمر الوالي بحصار القلعة والتشديد عليه. وكان أمام مدخل القلعة من شمالها بيوت قليلة فأمر بهدمها واتخذ مكانها معسكراً. وكان جدار القلعة الغربي قصيراً فخاف من أن يفلت منهم أحد من هذه الجهة، فأصدر أمره بحفر الخندق خارج هذا الجدار فحفروه». (أنظر **المخطوط** صفحات ٨١ ـــ ٨٢).

(٧٦) هو هلال بن سعيد بن سلطان وقد بلغه خبر حادثة الحصار وقد كان نائباً عن والده في زنجبار. وذكر المؤلف بأنه أرسل سفينة مشحونة بالمؤن للمساعدة في رفع الحصار عن القلعة ولكنها وقعت غنيمة سهلة إذ تصدى لها كياتي بن موني أوف بن هنزي أحد زعماء الطوائف الثلاث السواحلية الموالية للمزارعة وسلمها للوالي دعماً للجيش المزروعي (**المخطوط** صفحات ٨٤ ـــ ٨٥).

(٧٧) يريد بابليس ناصر بن سليمان الذي لم يقبل النصح من هلال بن

سعيد وهنا يلاحظ اختلاف بين الشاعر ومؤلف المخطوط بالنسبة لموقف هلال كما هو واضح من الحاشية السابقة.

(٧٨) ويقول المؤلف في هذا المعنى «**دام الحصار بشدته حتى نفد ما كان بأيدي مَنْ في القلعة من القوت، وبلغ بهم الجهد إلى أن أكلوا الفيران وحشائش الأرض. يقال إنه بلغ ثمن الصاع من الذرة عشرة ريالات وثمن الفأرة الواحدة ريالا كاملا**» (**المخطوط ص ٨٣**) ويفيدنا المؤلف كذلك بأن مدة الحصار استمرت «**ثمانية أشهر وسبعة عشر يوماً**» (**المخطوط ص ٨٥**).

(٧٩) وعن هذا الموقف يحدثنا المؤلف قائلا: **لما ضاق ناصر بن سليمان من الحصار وكاد يموت جوعاً هو ومن كان معه في القلعة نادى بطلب ورفع الحصار عنه. فأجاب سالم نداءه وأمنه هو وجنوده على أنفسهم وأموالهم، فخرجوا من القلعة في ٢٢ جمادى الآخرة عام ١٢٤٤هـ كأنهم أموات بعثوا من قبورهم. وسلم ناصر القلعة للوالي بما فيها من الأسلحة، وأدخل هو عساكره فيها. وفي اليوم الثاني أذن لجمعدار شاهو بالسفر فسافر هو ومن بقي من عساكره إلى زنجبار، وأما ناصر فمكث في ممباسة بضعة أيام ثم طلب الاذن في السفر إلى الجزيرة فأذن له. وفي ١٧ رجب من هذه السنة انتقل الوالي إلى القلعة**». (المخطوط ص ٨٥).

(٨٠) يريد بالذي حفر الطوى الوالي ناصر بن سليمان ويحدثنا مؤرخ آخر أسهم بمصدر قيم عن نشاط العمانيين في زنجبار وشرق أفريقية قائلا:

«**وأما ناصر بن سليمان المذكور فأراد المسير إلى الجزيرة الخضراء، وخرج من ممباسة**» ثم أضاف «**وفي الحال أرسل الوالي رسلاً في طلب ناصر بن سليمان، فوجدوه بمكان يسمى «فونزى» وأتوا به إلى الوالي، فأمر بقتله ، فقتل**».

(أنظر كتاب سعيد بن علي المغيري: **جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار**، صفحات ١٢٩ ــ ١٣٠.)

(٨١) هذه صورة رمزية استوحاها الشاعر محيي الدين بن شيخ القحطاني من ثقافته الاسلامية في مجال الشرع والفقه بحكم مهنته في القضاء الشرعي في زنجبار وقد صدقت نبوءته بالنسبة للأحداث المقبلة المتعلقة بسيادة المزارعة على ممباسة وقلعتها. ولنترك الأمر برمته إلى المؤلف وهو مؤرخ وقاض تقلد رئاسة القضاء في كينيا عند كتابة هذا المخطوط وقد خص هذين البيتين بالشرح والتعليق حيث قال:

«**قول الناظم رحمه الله : والكوت باق راجع لبعوله.**

إلى آخر البيتين فيه تشبيه المزارعة ببعل امرأة، والقلعة بزوج ذلك البعل، وخروجهم منها بالطلاق. ثم كأن سائلاً سأله: هل يعود ملك المزارعة كما كان بعد خروجهم من القلعة هذه المرة؟ فأجاب أن نعم، يعود لهم ذلك إلى أن يتكرر خروجهم منها ثلاث مرات، فحينئذ لا عودة لملكهم، كالزوج إذا طلق امرأته ثلاثا. وكان الأمر كما قال الناظم. خرج المزارعة من القلعة أول مرة بعد مقتل محمد بن عثمان ثم عادوا في ولاية أخيه علي، وخرجوا بعد المعاهدة المزروعية السعيدية ورجعوا بعد واقعة الحصار هذه. وتمت المرة الثالثة بخروج راشد بن سالم كما يأتي فلم يرجعوا إليها. ولا أدري هل وقع ما قاله الناظم اتفاقاً، أو علمه بما أوتيه من البراعة في علم الرمل والتنجيم؟ والله أعلم بحقيقة الحال، غير أن ما تنبأ به قد حصل على وفق ما تنبأ» (المخطوط صفحات ٨٩ ــ ٩٠).

تعقيـــم المخطــوطـــات

مصطفى مصطفى السيد يوسف
اخصائي حفظ وصيانة المخطوطات
بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
بالرياض

المخطوطات بطبيعة تكوينها من مواد كربوهيدراتية ممثلة في الأوراق والبرديات واللواصق النشوية ومواد بروتينية ممثلة في الرقوق والجلود واللواصق الغروية تعتبر بيئة غذائية جيدة لنمو العديد من الحشرات والفطريات والبكتريا والاكتينوميسيتات، فيما يعرف بالنشاط البيولوجي المتلف للمخطوطات، هذا إذا ما توفرت مشجعات النمو الأخرى كالحرارة والرطوبة والاضاءة بجانب المادة الغذائية التي يقدمها جسم المخطوط.

وتعقيم المخطوط في مفهومه العام يعني حمايته من الأثر المتلف لهذه الكائنات التي قد تصيب المخطوط مجتمعة أو تكون الاصابة بنوع أو أكثر، فإن اقتصرت الاصابة على الحشرات عرفت بالاصابة الحشرية، وإن اشتملت الاصابة على الفطريات والبكتريا والاكتينوميسيتات عرفت بالاصابة الميكروبيولوجية في حين أن إصابة المخطوط بكلا نوعي الاصابة الحشرية والميكروبيولوجية يعرف بالاصابة البيولوجية. ولكل من هذه الأنواع مظاهر عامة يمكن تشخيصها بالعين أحيانا وبالاستعانة ببعض العدسات المكبرة أحيانا أخرى كما سنرى في الحديث عن طرق التعقيم.

وإذا نظرنا للتعقيم نظرة واسعة لاستطعنا القول أن التعقيم يعني القضاء على كل أشكال صور الحياة Life Forms إن كانت خلية أو جرثومة أو بويضة أو يرقة أو عذراء، ويتم القضاء على هذه الأطوار بطرق عديدة منها الهواء الساخن والهواء الجاف والحرارة المباشرة واستعمال الضغط وبخار الماء والمواد الكيمائية

ولكن يحكم اختيار أي من هذه الطرق طبيعة الوسط أو الجسم المراد تعقيمه. ونحن بطبيعة تعاملنا مع المخطوطات بما لها من ندرة علمية وقيمة أثرية ولطبيعة مكوناتها وقدمها، يجب علينا التحري الدقيق في اختيار الطريقة التي تقضي على هذه الكائنات وتمنع ضررها، دون أن يكون لهذه الطريقة أثر ضار على صفات المخطوط، ليس فقط على المدى القريب بل أيضا على المدى البعيد، وبصفة عامة يمكن القول أن هناك طريقتين لتعقيم المخطوط وتخليصه مما قد ينمو عليه من حشرات وكائنات دقيقة، تعتمد الطريقة الأولى على استخدام المبيدات الكيمائية، بينما تستخدم الوسائل الطبيعية في الطريقة الثانية، وإن كانت الطريقتان تختلفان في الأسلوب إلا أنهما في النهاية تحققان نفس الهدف وهذا ما سنناقشه فيما يلي على أن نضع في الاعتبار أن عملية التعقيم تلزم للمخطوطات التي لم تصب بعد لحمايتها من الاصابة وأيضا للمخطوطات المصابة لوقف انتشار الاصابة فيها حتى يمكن اجراء العمليات الفنية لصيانتها والتخلص مما بها من إصابات.

أولا : استخدام المبيدات في مقاومة آفات المخطوطات.

Pesticides and Manuscript Pests.

وهي طريقة شائعة الاستعمال في مقاومة الآفات بصفة عامة، إلا أن الأمر يختلف مع المخطوطات ، نظرا لقدمها وحساسية أحبار كتابتها للمبيدات المستخدمة، ومن هنا يجب على أخصائي الصيانة اختبار تأثير صلاحية المبيد مع مكونات المخطوط قبل

استعماله في التعقيم،والاختيار هنا يعني تأثير المبيد على الورق والجلد والمواد اللاصقة والأحبار والآفات في وقت واحد. ولنوعية الاصابة دور في طريقة استخدام المبيد، فإذا كانت الاصابة مقصورة على نوعية معينة من الكائنات، استخدم لها مبيدات فردية التأثير أي ذات تأثير متخصص، وإن كانت الاصابة بأكثر من نوعية من الكائنات، استخدم لها المبيدات ذات التأثير المشترك.

١ ـ استخدام المبيدات فردية التأثير

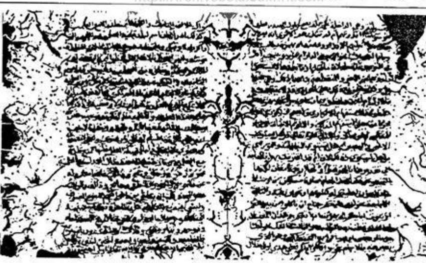
Individual Pesticides

ويضم هذا القسم أنواعا كثيرة منها ما هو متخصص لمنع نمو الكائنات الدقيقة، ومنها ما هو قادر على قتل الحشرات بأطوارها المختلفة، لذلك تنقسم هذه المبيدت إلى مبيدات حشرية ومبيدات كائنات دقيقة.

أ ـ المبيدات الحشرية : Insecticides

تستخدم في حالة الاصابة الحشرية للمخطوط التي تظهر في شكل قطوع أو ثقوب منتشرة على الهوامش والنصوص أو في شكل قرض رأسي للملازم والكعوب وحروف الأوراق كما نرى في الأشكال (١)، (٢)، (٣) على التوالي وهي نماذج مصورة من مخطوطات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض بالمملكة العربية السعودية.

ومن أمثلة هذه الحشرات حشرة الـ Anthrenus والـ Tribolium والـ Castrallus والـ Thermobia هذا بالاضافة إلى دود الكتب وقمل الكتب والنمل الأبيض الذي يعرف بالأرضة. ومن أهم المبيدات التي تستخدم هنا الـ Actellic والـ Chlordan والـ Pyrethrene والـ Sumithion، بحيث لا يتجاوز تركيز أي منها ٠,٥٪ حسب شدة الاصابة مع مراعاة استخدام المذيب المناسب الذي لا يؤثر على أحبار الكتابة أو صفات الورق، ويمكن أيضا استخدام مبيدات النيوسيدول والدلدرين بنفس التركيز لنفس الغرض.



شكل (١)



شكل (٢)



شكل (٣)



شكل (٤)

ب ــ مبيدات الكائنات الدقيقة :

وتشمل مبيدات الفطريات Fungicides ومبيدات البكتريا Bacterioicides والتي تؤثر بدورها على الاكتينوميسيتات وتستخدم هذه المجموعة في حالة ظهور إصابات التبقع اللونية Coloured Spot الناتجة من نمو الكائنات الدقيقة مع ضعف أماكن الاصابة بشكل يسهل معه حملها دون أن تتكسر (شكل٤) ومن أهم الكائنات الدقيقة التي تلعب دوراً رئيسياً في تلف المخطوطات ما يلي :

من أجناس الفطريات الـ Aspergillus والـ Chaetomium والـ Penicillum والـ Trichoderma والـ Fusarium ومن البكتريا الـ Cytophaga والـ Cellulomonas والـ Pseudomonas والـ Bacillus في حين أن أجناس الاكتينوميسيتات تنحصر في الـ Streptomyces والـ Nocardia.

والمبيدات المستخدمة في هذه الحالة يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مستويات أو ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى : تستخدم بتركيز ٢٠٠ مللجرام/ لتر ومنها الـ Catecol والـ Actidione والـ Bavistin والـ Blitane والـ Miltox.

أما المجموعة الثانية تستخدم بتركيز لا يتجاوز ٤٠٠ مللجرام/ لتر ومنها الـ Benlate والـ P - chloro-m-cresol والـ White zineb .

في حين أن المجموعة الثالثة : تستخدم بتركيز يصل إلى ٧٠٠ مللجرام/لتر ومنها الـ Thiourea والـ Salicylanilide.

وفي جميع الحالات يراعى استخدام المذيب المناسب للأوراق والأحبار.

طريقة تطبيق استخدام المبيدات فردية التأثير:

كلتا المجموعتين من المبيدات (مبيدات الحشرات ومبيدات الكائنات الدقيقة) يمكن استعمالهما بإحدى الطرق التالية :

١ ــ الرش الخفيف المتناثر على هيئة رذاذ على صفحات المخطوط المصاب.

٢ ــ غمر الصفحات المصابة بعد فك المخطوط في محلول المبيد ثم رفعها وتركها لتجف جفافا طبيعيا.

٣ ــ يمكن استخدام أوراق خاصة تتشرب محلول المبيد، وتوضع بين الصفحات مع تغييرها من وقت لآخر، وتصلح هذه الطريقة بالذات مع الثيمول فيما يعرف بورق الثيمول.

٤ ــ تستخدم للتعقيم الموضعي بأن توضع على هيئة نقط في كعب المخطوط باستخدام قطارة، ولكن هذه الطريقة تصلح فقط في حالة تركيز الاصابة بكعب المخطوط.

٢ ــ استخدام المبيدات بخاصية التأثير المشترك

وهذا القسم يشمل مجموعة من المبيدات التي يمكن أن تثبط أو تمنع نمو الحشرات والفطريات والبكتريا في آن واحد، وتتميز هذه المجموعة بخلاف المبيدات الفردية بتقليل تعرض المخطوط للمبيدات، مع ضمان تعقيمه وتخليصه مما به من فطريات وحشرات وخلافه من الكائنات المتلفة في عملية واحدة.

هذه المبيدات إما مواد قادرة على التحول إلى غازات سامة تتخلل الانفاق وثقوب المخطوط التي تختبىء فيها بويضات ويرقات وعذارى الحشرات وتعرف هذه المواد بمواد التدخين والتبخير Fumigation ومنها الفورمالدهيد والبارادكس Paradichlorobenzene وبروميد الميثيل والثيمول وسيانيد الصوديوم. أو قد تستخدم المبيدات في صورة مخلوط لأكثر من مبيد، والخلط هنا يكون لأكفأ المبيدات الفطرية والحشرية بأقل تركيز يعطي أعلى تأثير مثبط للكائنات الحية، وإن كانت هاتان الطريقتان (التدخين واستخدام مخلوط المبيدات) تؤديان نتيجة واحدة إلا أن طريقة التدخين أكثر صلاحية في حالة الحشرات حفارة الانفاق حيث تستطيع الأبخرة ملاحقة الحشرات وبويضاتها وأطوارها المتحركة داخل الأنفاق، الأمر الذي يعجز عنه مخلوط المبيدات.

أ ــ التدخين والتبخير Fumigation

وهي طرق كلها كيمائية تعتمد على استخدام مواد كيماوية منتجة لغازات سامة، لذلك تتم هذه الطرق في صناديق خاصة مغلقة جيدا، توضع فيها المخطوطات مفتوحة على شكل مروحة ثم تُعَرَّض للغازات لمدة تتوقف على حسب شدة الاصابة ومصدر الغاز السام المستخدم في التبخير.

١ ــ التدخين بالبرادكس Para dichlorobenzene

في هذه الطريقة توضع بللورات من البرادكس في صندوق التبخير، بتركيز يتراوح بين ½٪ ــ ١ ك لكل ٥م² من فراغ الصندوق، ويستمر التبخير لمدة ٢٤ ساعة على درجة ١٦م°. ويمكن استخدام الكلوردفورم بتركيز مشابه للبرادكس على أن يستمر التدخين لمدة ١٠ أيام كاملة.

٢ ــ التدخين بالفورمالدهيد.

الفورمالدهيد غاز عديم اللون ذو رائحة شديدة، يذوب في الماء ويعطي الفورمالين، ويلزم الاحتراس منه نظرا لتأثيره على جلد الانسان خاصة الغشاء المخاطي للأنف والفم وأيضا يؤثر الفورمالين على جلود ورقوق المخطوطات لهذا يجب تحاشي استخدامه لتعقيم المخطوطات الجلدية. وطريقة تبخير المخطوطات بالفورمالدهيد تشبه طريقة التبخير بالبرادكس ولكن يستمر تعريض المخطوطات لبخار الفورمالين (١٧ــ٢٠٪) لمدة ١٢ يوما. ويمكن اختصار هذه المدة إلى ١٢ ساعة باستعمال سخان كهربائي تحت الاناء الحاوي للفورمالين إلا أن استعمال مثل هذا السخان يعتبر مصدرا حراريا ضارا بالمخطوط، وطريقة التدخين بالفورمالدهيد من أكثر الطرق تأثيرا على جراثيم الفطريات.

٣ ــ التدخين بالثيمول

الثيمول من المواد الصلبة التي يمكنها أن تتسامى إلى غاز قاتل للحشرات والفطريات، والتسامي يعني تحول المادة الصلبة إلى غاز مباشرة دون المرور بحالة السيولة، ويتم تسامي الثيمول باستخدام لمبات حرارية Infrared أو لمبات عادية قوية ويتم ذلك أيضا في صندوق التبخير المغلق لمدة يحكمها شدة الاصابة.

ب ــ استخدام مخلوط المبيدات :

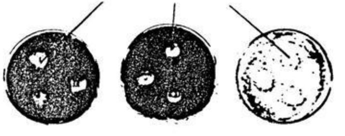
Mixtures of Pesticides

مخلوط المبيدات يعني عمل تركيبة من أكثر من

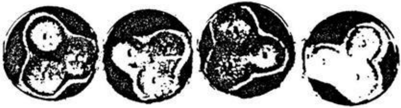
مبيد يكون لها القدرة على قتل الحشرات والكائنات الدقيقة في عملية واحدة ، ويجب أن نشير إلى أن خلط المبيدات لا يعني بالضرورة زيادة كفاءتها، فقد يؤدي الخلط إلى تقليل هذه الكفاءة، لهذا يجب دائما إخضاع النتائج للتجربة قبل تقرير استخدام مخلوط معين من أكثر من مبيد، ضماناً للحصول على نتائج أفضل وتعقيم أكفأ، مع دراسة تأثير المبيد المخلوط على خواص الورق الطبيعية، وهذا ما قمت به عمليا في مركز بحوث الصيانة والترميم بالهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة حيث تم:

١ ــ دراسة التأثير الفردي لمجموعة من مبيدات الكائنات الدقيقة وهي الـ Benlate والـ White Zineb والـ Zinosan والـ Plantvax والـ Thiourea والـ P-Chloro-m-cresol بتركيزات ٢٠٠، ٣٠٠، ٤٠٠، ٥٠٠، ٦٠٠، ٧٠٠، مللجرام/ لتر لكل مبيد على نمو أنواع مختلفة من الفطريات والبكتريا والاستربتوميسيتات النشطة في تحليل وإتلاف المخطوط، وأوضحت النتائج أن الـ Benlate بتركيز ٤٠٠ مللجرام / لتر هو أكفأ المبيدات في تثبيط نمو الفطريات، في حين أن الـ White Zineb بتركيز ٢٠٠ مللجرام/ لتر هو أكفأها في تثبيط نمو البكتريا والاستربتوميسيتات. في نفس الوقت دُرِسَ تأثير مجموعة من المبيدات الحشرية المعروفة بقدرتها على قتل الحشرات وهي الـ Actellic، والكلوردان والبيريثرين والثميثون بتركيزات ١ر و٢ر، ٣ر، ٤ر، ٥ر، ٦ر ٪ لكل مبيد على حدة على نمو ونشاط الكائنات الدقيقة المحللة للمخطوطات، وقد وجد أن الـ Actellic بتركيز ٤ر٪ هو أكفأ هذه المبيدات في تثبيط نمو الفطريات والبكتريا.

٢ ــ جُرِّبَتْ تباديل وتوافيق من هذه المبيدات الثلاثة الـ Benlate كمبيد فطري والـ White Zineb كمبيد بكتيري والـ Actellic كمبيد حشري ودُرِسَ تأثير خلط هذه التباديل والتوافيق على نمو الكائنات الدقيقة، وأوضحت النتائج أن هناك زيادة ملحوظة في كفاءة مخلوط المبيدات الثلاثة، الـ Benlate بتركيز ٤٠٠ مللجرام/ لتر مع مبيد الـ White Zineb بتركيز ٢٠٠ مللجرام/ لتر ومبيد الـ Actellic بتركيز ٣ر٪ على تثبيط نمو الكائنات الدقيقة أكثر من أي مخاليط أخرى، وأكثر من تأثيراتها الفردية، وهذا ما نراه واضحاً في الشكل ٥ (أ،ب) إذ يوضح الشكل (أ) التأثير الفردي للمبيدات (قبل الخلط) على الأنواع النشطة من



شكل (٥) (أ)



شكل (٥) ب

الكائنات الدقيقة، والأنواع مزروعة في أطباق بترى على بيئة غذائية، وتأثير المبيدات يظهر على هيئة دوائر أو هالات صغيرة خالية من النمو، أما الشكل (ب) يوضح تأثير مخلوط نفس المبيدات على نمو الكائنات الدقيقة، ومن الشكل نرى مدى الزيادة في اتساع الهالات الخالية من النمو، وهذا الاتساع ناتج من كفاءة مخلوط المبيدات.

تأكيدا لكفاءة هذا المخلوط زُرِعَتْ بعض الأوراق صناعياً artifical أي لُقِّحت بأنواع نشطة من الكائنات الدقيقة المحللة للسليولوز، وعُومِلَتْ هذه الأوراق بمخلوط المبيدات وتُرِكَتْ في جو مناسب من درجة الحرارة ونسبة الرطوبة لمدة تزيد على شهرين، فلم تتمكن أي من الكائنات المزروعة من النمو على هذه الأوراق، واستكمالاً للتأكد من صلاحية هذا المخلوط في تعقيم المخطوطات ، دُرِسَتْ آثاره على الصفات الطبيعية للأوراق حيث عُومِلَتْ عينات من الأوراق بهذا المخلوط رشاً Spray وغمرا ;Dipping وقيست أهم صفات الورق المعامل مثل قوة الشد ومقاومة التمزق وقوة الانفجار والمحتوى الرطوبي، وقُورِنَتْ النتائج المتحصل عليها بنتائج لعينات مماثلة من نفس الورق غير المعامل بمخلوط المبيدات، وأكدت النتائج، أنه ليس هناك أي تغير في الصفات الطبيعية للأوراق المعاملة بهذا المخلوط أو ظهور صفات غير مرغوبة بالمقارنة بالعينات التي لم تعامل بالمخلوط.

من هذا التسلسل لدراسة المخلوط [البنليت ٤٠٠ مللجرام/ لتر والهوايت زينيب ٢٠٠ مللجرام/ لتر والاكتيليك ٤ر٪] يتضح مدى صلاحيته وفعاليته، في إبادة النموات الفطرية والحشرية التي تصيب المخطوط في عملية واحدة دون أن يؤدي استعماله إلى حدوث أي أضرار بأوراق المخطوط وهذا يفتح لنا الطريق لحفظ المخطوطات بمعاملة واحدة، دون اللجوء إلى طرق التعقيم بالتدخين والتبخير التي تعرضنا إلى احتمال تسرب الغازات السامة بين العاملين، وعلى هذا يمكن قصر إستخدام طريقة التعقيم بالتبخير على حالات الاصابة الشديدة بحفارات الانفاق الغائرة.

ويستخدم مخلوط المبيدات بإحدى الطرق السابق ذكرها في كيفية استخدام المبيدات ذات التأثير الفردي، مع ملاحظة أن المعاملة بالمخلوط ذات فعالية للقضاء على كل من الفطريات والبكتريا والحشرات بأطوارها المختلفة.

ثانيا : استخدام الطرق الطبيعية لمقاومة آفات المخطوطات:

الطرق الطبيعية إتجاه حديث لجأ إليه الانسان لمقاومة الآفات الضارة تفادياً لمخاطر استعمال المبيدات وما يحتمل أن تحدثه من تسممات ، بالاضافة إلى احتال تأثيرها على أحبار كتابة المخطوطات والخصائص الطبيعية والكيمائية لأوراقها وجلودها، وتعتمد الطرق الطبيعية على استخدام الاشعاعات القصيرة الموجهة كالأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء، وكذلك الموجات الكهربائية والكهرومغناطيسية ،ويمكن أيضا استخدام الهواء الساخن والتردد الصوتي العالي لنفس الغرض، ولكن إتجاه الطرق الطبيعية هذا، ما زال تحت البحث والدراسة ضمانا للحصول على نتائج أفضل، وأكثر أمنا للانسان، وأقوى تأثيرا على الآفات، مع المحافظة على ملامح المخطوط الأثرية.

وهناك بعض الاحتياطات الهامة يجب أن توضع في الاعتبار عند استعمال المبيدات بصفة عامة وأهم هذه الاحتياطات:

١ ــ تجهيز المبيدات قبل الاستعمال مباشرة.

٢ ــ الالتزام بالتركيزات المطلوبة للمبيد المستخدم.

٣ ــ تجنب استخدام المبيدات بجانب مصادر حرارية لاحتال اشتعالها أو على الأقل فقد مفعولها.

٤ ــ الحرص الشديد أثناء استخدام الفورمالين، لتأثيره على أغشية الأنف والفم والعين.

٥ ــ ضرورة غلق المخازن المعقمة لمدة ٢٤ ساعة.

٦ ــ استعمال جوانتيات طبية أثناء تجهيز وتداول المبيد.

٧ ــ استعمال كمامات خاصة مزودة بمرشحات منقية.

٨ ــ غسل الأيدي والوجه بعد الانتهاء من العمل مباشرة.

وبهذا يمكن القول أن اتباع أي من هذه الطرق يكون كافيا لمنع أو تقليل حدوث الاصابة أو انتشارها بين المخطوطات إلا أن هناك بعض النقاط الواجب توافرها بجانب التعقيم حتى يكون جو حفظ المخطوطات متكاملا، وهذه النقاط تشمل التحكم في مشجعات النمو بحيث تتحقق المواصفات القياسية المطلوبة لتخزين المخطوطات.

المواصفات القياسية لخزن المخطوطات :

١ ــ درجة الحرارة تتراوح بين ١٨ ــ ٢٠م.

٢ ــ نسبة الرطوبة تتراوح بين ٥٥ ــ ٦٠٪.

٣ ــ شدة الاضاءة لا تتجاوز ٥٠ لوكس/ قدم٢.

٤ ــ تركيب مرشحات كربونية على النوافذ.

٥ ــ تركيب لمبات .U.V على مداخل المخازن بحيث تعمل أوتوماتيكيا عند فتح الأبواب.

٦ ــ النظافة المستمرة من الاتربة والغبار.

٧ ــ التطهير الدوري للمخزن بالتعقيم بالرش الخفيف بمخلوط المبيدات كل ثلاثة شهور على الأكثر.

المراجـــع

ــ حسام الدين عبد الحميد محمود.
تكنولوجيا صيانة وترميم المقتنيات الثقافية مخطوطات ــ مطبوعات ــ وثائق ــ تسجيلات. القاهرة ــ الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٩م.
ــ مصطفى مصطفى السيد يوسف
دور الميكروبات في تلف المنسوجات القديمة القيّمة . رسالة ماجستير
ــ كلية الزراعة جامعة عين شمس قسم الميكروبيولوجي ١٩٨٠م.
ــ عالم الكتب
المجلد الثالث العدد الثاني ص ١٧١ ــ ١٧٦. الرياض ــ دار ثقيف للنشر والتأليف ١٩٨٢م.

العرض والتحليل

فصول في الأدب الحديث والنقد

ليوسف عز الدين

عبد الله علي ثقفان

محاضر في قسم اللغة العربية بكلية الآداب
جامعة الملك سعود

عز الدين، يوسف/ فصول في الأدب الحديث والنقد.ــ الرياض : دار العلوم، ١٤٠٢ هـ.

صدر هذا الكتاب عن دار العلوم بالرياض عام ١٤٠٢ هـ، وهو في أصله محاضرات ألقيت من قبل المؤلف على طلبة جامعات بغداد وبنغازي والرياض، ومن ثم رأى جمعها وبالتالي ظهرت في الكتاب الماثل بين يدينا «فصول في الأدب الحديث والنقد» والذي يشتمل على أربعة أبواب، وكل باب يشتمل على عدة فصول أخذت من الصفحات ما يزيد على (١٤٠) صفحة من القطع المتوسط، أما الصفحات من ١٤٦ ــ ٣١٤ فقد اشتملت على نماذج من شعر البارودي وشوقي ثم ذيل الكتاب أخيراً بعدة فهارس ، فصفحة أخيرة لمؤلفاته وبيانها.

بدأ كتابه هذا بمقدمة تعرض فيها للنقاط التالية :

- الأدب والأديب، وبماذا يجب أن يتميز به الأديب في نظره.
- الإبداع والإلهام.
- الأدب والتاريخ .
- الأدب والإلتزام.
- ثقافة الأديب، وكيف ينبغي أن يكون .
- الانتاج الأدبي والنقد، متطرقاً في هذه الجزئية للسؤال: هل من الضروري أن يكون مع الأدب نقد؟! محاولاً الاجابة عليه.
- الأدب الحديث، وتطوره، والمؤثرات فيه وعنه.
- أخيرا هدفه من الكتاب، وطريقته في بعض أبوابه.

أبواب الكتاب :

الباب الأول : وهو بعنوان «المؤثرات العامة في الفكر العربي الحديث» تطرق فيه للمؤثرات التالية :

- الحملة الفرنسية.
- الطباعة .
- الصحافة .
- الترجمة .
- المفكرون مثل «جمال الدين الأفغاني».
- العوامل الأخرى مثل «المكتبات، والجمعيات الأدبية». كجمعية المعارف، والمستشرقون ، وكذا «جامعة الأزهر».

إذ أن هذه المؤثرات قد أثرت في الفكر العربي الحديث، فجددت المثل وساعدت على تغيير كثير من المفاهيم والقيم القديمة، كما ساعدت على انتهاج أسلوب حضاري يختلف اختلافاً بيناً عما ألفه الفكر في القرن التاسع عشر والقرن الثامن عشر، حيث جمد فيهما الفكر على طرائق أدبية، وأساليب فنية معينة ــ تتسم بضعف كيانها، وسقم أفكارها .

هذه الفترة التي كانت في بدايتها حافلة بموضوعات لا تغني الفكر الإنساني والأدب الخالد كثيراً، والدليل على ذلك أن

الكُتّاب وغيرهم يخوضون في تلك الموضوعات دون هدف مقصود، حتى إن الشعراء أو بعضهم قد أضطرهم الأمر إلى كتابة قصائد في «الدجاجة» أو «الجرادة»، إلا أن هذه المؤثرات كان لها عظيم الأثر في تطور الأدب العربي الحديث، الأمر الذي جعل المؤلف يتناولها بشيء من التفصيل حيث استغرقت ستة فصول شملت الصفحات من الصفحة رقم (٢٣) حتى الصفحة (٥٣)، وفي آخرها وضع قائمة بمصادره في بحثه لموضوعات هذا الباب من كتابه موضوع القراءة.

الباب الثاني :

وهو بعنوان «ظاهرة التجديد عند البارودي» حيث اشتمل على فصول ثلاثة استغرقت الصفحات من (٥٩) إلى (٧٩).

الفصل الأول : وقد عنونه باسم «البارودي والنهضة الحديثة» حيث تحدث فيه عن :

★ التطور والتجديد لدى الشاعر، كمثال على شعراء النهضة في بدايتها، وهو من أولئك الذين تأثروا بالمؤثرات العامة في الفكر العربي.

★ الأدب الحديث حيث حاول الأدب في العصر الحديث التخلص من الزخارف اللفظية، والمحسنات البديعية، ولقد كان الشاعر من بين أولئك الذين استفادوا من النهضة ومؤثراتها على الرغم من المكبلات التي عايشها في بداية هذه الفترة، والتراكات التي بقيت من العصور السابقة والتي لا شك بأنها قد أثرت فيمن أتى فيما بعد، إلا أنه بالجهد قد ظهر الشاعر وأمثاله إلى عالم رحب، فخرج الشعر لديه ولدى أمثاله من الجمود إلى الحياة والحركة، فكان بالتالي يعد مثالاً حياً لشعراء عصر النهضة الحديثة.

الفصل الثاني :

وهو بعنوان «خصائص البارودي الشعرية»، إذ تحدث فيه المؤلف عن عدة جزئيات تتمثل في الآتي:

○ حياته، حيث ولد الشاعر سنة ١٨٤٠ وتوفي سنة ١٩٠٤ وكان والده في زمن محمد علي باشا مدير «دنقلة وبربر» واسمه حسن حسني بك وكان من ضباط المدفعية. توفي والده وهو في السابعة من عمره، وقد التحق بالمدرسة الحربية وتخرج فيها عام ١٨٥٥م زمن سعيد باشا، جاءه لقب البارودي من «إيتاي البارود» والتي كانت لأحد أجداده، سافر إلى الأستانة وتعلم التركية والفارسية وآدابهما، وعاد إلى مصر في زمن (إسماعيل باشا) وعمل مديراً للشرقية، فوزيراً للأوقاف والدفاع (الجهادية)، ثم أصبح رئيسا للوزارة (ناظر النظار) في إبان ثورة (أحمد عرابي باشا)، وقد نفي في زمن الانجليز مع نفر من أصحابه إلى سرنديب (سيرالنكا)، ثم عفي عنه سنة ١٩٠٠ فنظم قصيدته:

أبابل مرأى العين أم هذه مصر فإني أرى فيها عيونا هي السحر

ولم يبق بعد العودة حياً غير أربع سنوات، إذ توفي سنة ١٩٠٤.

○ حياته الشعرية، وقد مرت بمراحل ثلاث، حيث تم فيها نضجه فنيا وهي :

الدور الأول :

ويمثل مرحلة التقليد، حيث قلد فيها الشاعر في شعره القصائد القديمة، إذ كان ينسج على منوالها ويحتذي حذوها ويعارضها،حيث عارض قصيدة لأبي فراس منها قوله :

أقاموا قليلاً ثم فرّق بينهم أخو فتكات بالكرام إسمه الدهر

فقال البارودي :

أقاموا زماناً ثم بدّد شملهم ملوك من الأيام شيمته الغدر

وعارض قصيدة النابغة الذبياني التي مطلعها :

أمن آل مية رائح أو مغتدي عجلان ذا زاد وغير مزود

فعارضها بقوله :

ظن الظنون فبات غير موسد حيران يرعى مستنير الفرقد

وعارض قصيدة المتنبي :ــ

أمن إزديارك في الدجى الرقباء إذ حيث كنت من الظلام ضياء

فقال البارودي :

صلة الخيال على البعاد لقاء لو كان يملك عيني الإغفاء

وغير هؤلاء من الشعراء مثل الكميت ومسلم بن الوليد وأبي تمام والبحتري، وأبي نواس.

وفي هذا الدور نجد أوصاف القدامى، وتشبيهاتهم واضحة في شعره.

الدور الثاني :

ويمثل الفترة التي هضم فيها الشعر القديم وتفهمه، وأصبح جزءاً منه، فأصبح بالتالي يختار الجيد منه ويترك ما سواه.

الدور الثالث :

ويمثل الفترة التي ظهرت فيها شخصية الشاعر ومقدرته في النظم، ذلك الذي يمثل حياته ومجتمعه ومعايشته للأحداث دون التقليد للآخرين، وإنما بالاعتماد على النفس فظهرت في شعره:

○ الحماسة الوطنية .

○ الأحاسيس العميقة الحزينة بعد أن آذاه النفي يقول:

أين أيام لذتي وشبابي أتراها تعود بعد الغياب ؟
ذاك عهد مضى وأبعد شيء أن يردّ الزمان عهد التصابي

فأديرا عليَّ ذكراه إني منذ فارقته شديد المصاب
كل شيء يسلوه ذو اللب إلا ماضي اللهو في زمان الشباب

أهم الخصائص الفنية في شعره :

أ ــ الصدق في التعبير عن العاطفة الحزينة.

ب ــ قوة النسج والجزالة يقول :

إذا أبصروني في الندي تحاجزوا عن القول واستغنوا عن العرف بالنكر

وقوله :

يخافون مني أن تثور حميتي فيغبون عطفي بالخديعة والمكر

○ الفن الشعري عند البارودي.

وقد ناقش المؤلف هذه الجزئية بالعودة لبعض الآراء حول شعر الشاعر، ومن ثم أورد أبياتاً له حللها من الناحية البلاغية من حيث جمال الذوق والأسلوب والوقع في النفس، واختياره للكلمات السهلة البسيطة والمركزة أيضاً، وأن كل كلمة توحي بأكثر من معنى الأمر الذي يجعل القارىء يفهم شعْر الشاعر بسرعة، وتظهر آثار علم النفس في نقد الباحث واضحة، مع رسم الصور الفنية والأدبية للشاعر.

الباب الثالث :

بعنوان «المذاهب الأدبية الغربية» واشتمل على فصول أربعة أخذت من الصفحات ما يزيد على خمس وعشرين صفحة تناول فيها المذاهب التالية :

* المذهب الاتباعي (الكلاسيكية) Classicism
* المذهب الإبداعي (الرومانسية) Romanticism
* المذهب الواقعي Realism
* الرمزية Symbolism

ويمثل كل مذهب من المذاهب السابقة فصلاً مستقلاً بذاته

الأمر الذي جعل هذا الباب يشتمل على أربعة فصول، حيث تناول المؤلف بداية كل مذهب من هذه المذاهب، ومشتقات بعض الكلمات من هذه المذاهب، وأول من وضع كل مذهب، ومن ثم أشهر أدبائه الذين تأثروا به، وذلك بخلاف النقاط الأخرى والمتعددة التي لها علاقة بهذا الموضوع، وفي آخر هذا الباب صفحة مستقلة بالمراجع التي رجع إليها في بحثه هذا والخاص بالمذاهب من عربية وانجليزية.

الباب الرابع :

وهو بعنوان «كيف تكونت شخصية شوقي الأدبية»، وقد اشتمل هذا الباب على فصول خمسة أخذت الصفحات من ١١٥ إلى ١٤٦ حيث ناقش فيها الأمور التالية :

○ أحمد شوقي ــ حياته.

○ شخصية شوقي الأدبية وفي هذه الجزئية حاول الاجابة عن سؤاله الذي جعله عنوانا للباب «كيف تكونت شخصية شوقي الأدبية»؟.

○ الجامعة الإسلامية والشرق، تلك الجامعة التي منعت كرومر من ربط مصر بالاستعمار البريطاني مباشرة، وإنما ربطتها بالدولة العثمانية، وقد أراد (كرومر) هدم هذه الرابطة بمهاجمة الدين الاسلامي وخلق رابطة جديدة هي «قومية مصر» التي تمجد تاريخ مصر الفرعوني وحده، لتعيش مصر بالتالي بعيدة عن العالم الاسلامي وحيدة ومن ثم يسهل ربطها ببريطانيا مباشرة، ونتيجة لخلو المجتمع المصري من صحافة وطنية تهاجم ما يقوم به كرومر وأعوانه في الصحافة الخاضعة لهم، الأمر الذي لف الفكر الوطني حول (شعر شوقي)، إذ أصبح هو الخطيب والصحافي والشاعر المصلح، كان الشعب يجد في شعره صدى لأمانيه وأحلامه، وبالرغم من صدور المؤيد سنة ١٨٨٩م، واللواء سنة ١٩٠٠م، إلا أن شعر الشاعر (شوقي) بقي له الفضل في التوجيه، فقد أكد على الجامعة الاسلامية لتقف أمام تيار فصل مصر عن العالم الاسلامي، وليعيد الثقة برابطة الاسلام التي غدت هدفاً من أهداف الاستعمار يقول :

إنما الأرض والفضاء لربي   وملوك الحقيقة الأنبياء
لهم الحب خالصاً من رعايا   هم وكل الهوى لهم والولاء
إنما ينكر الديانات قوم   هم بما يفكرونه أشقياء

○ قضايا الوطن العربي : فاللغة والدين والتراث الحضاري قضايا شغلت شوقي في شعره لأنها كانت تعني الكيان الواحد والكتلة المتراصة لأمة إسلامية واحدة، وعربية متكاتفة.

يقول شوقي :

إن العروبة لفظ إن نطقت به   فالشرق معناه والاسلام والضاد

الأمر الذي جعل الشاعر يثور وتثور أحاسيسه إذا ما أحسَّ أن الاستعمار قد اعتدى على بلد من البلاد العربية، فعندما ضرب الأسطول الايطالي مدينة (بيروت) ودمرها نظم قصيدته التي منها:

بيروت مات الأسد حتف أنوفهم   لم يشهروا سيفاً ولم يحموك
سبعون ألفاً أحرقوا أو أغرقوا   يا ليتهم قتلوا على (طبروك)
كل يصيد الليث وهو مقيد   ويعزّ صيد الضيغم المفكوك
سالت دماء فيك حول مساجد   وكنائس ومدارس و(بنوك)
لك في ربى النيل المبارك جيرة   لو يقدرون بدمعهم غسلوك

○ شعر الوجدان، حيث ناقش في هذه الجزئية التي تمثل الفصل الخامس رقة المشاعر لدى الشاعر شوقي، وعمق الأحاسيس ، وإن شعره كان ناتجا عن صدق تجربة، وصدق لوعة، وتنوع في التجربة، وأما شعره الوجداني فقد جاء في أنغام حلوة، وألحان رقيقة، وكلمات جميلة يطرب لها السامع، وفي هذا ضرب المؤلف أمثلة كثيرة من شعر الشاعر شوقي حتى وصل إلى قوله بأن الحديث عن شعر شوقي يطول، ففيه سجل دقيق، لكثرة أحداث الشرق والأمة العربية والاسلامية في عصره، وحياة مصر العامة، الأمر الذي يجعل الكثير من شعره حياً، ذلك لأنه يمثل ما تعانيه وعانته النفس العربية والاسلامية .

وأخيراً : الكتاب يعد رافداً من روافد المكتبة العربية، والمكتبة النقدية بشكل خاص، وبالله التوفيق .

قراءة في عيني حبيبتي لشعبان صلاح

أحمد كشك

أستاذ مشارك في جامعة أم القرى

صلاح، شعبان/ قراءة في عيني حبيبتي.ـــ القاهرة: دار مرجان، ١٩٨٠ م.

ديوان أول للدكتور شعبان صلاح يخالف شاعره أولية البدء، لأنه ينبيء عن ظهور شاعر يسبق مجموعة تعاصرها هائمة في متاهات من ركاكات اللغة ونشازات الموسيقى.

هذا الديوان «قراءة في عيني حبيبتي» يمثل تجربة حب صادقة عاشها الشاعر رغما عنه ، دالاً فيها على ذاته وإن لم يرسم فيها ظلال من حوله وما حوله رسماً كافياً. وقد أضحت هذه التجربة صدىً واضحاً في كل قصيدة من قصائد هذا الديوان لم يخرج عنها إلا قصائد ثلاث قصيدتان وطنيتان وواحدة حول العكّاز الذي صار صديق شاعرنا وخِلّه في وقت تاهت فيه صداقات الأصدقاء والخلّان .

إن التجربة الشعرية أو قل الشعورية التي أفصح عنها الديوان باتت سافرة من خلال أبياته التي تدور حول كرامة الشاعر الممثلة كبرياءً وعزةً واصطدامها برغبة عارمة وحب جارف للقرين الآخر، أي للمرأة التي أسعدت شاعرنا حينا وعذبته أحايين. وهي التي أبرزت فيه هذه القدرة العاصية التي تموج نارا إذا ما مسّ كبرياءها أو لمس عزتها لامس.

لقد تسربت تجربة الشاعر في خيوط ثلاثة ظهرت آسرة للديوان حاكمة له. خيطها الأول تعطش شديد للمرأة مع عذابات الشاعر من خلال ابتعادها عن الصورة المثلى التي أرادها لها، ومن ثم تردد إحساسه وتوتر بين الحنو والرضا حينا. والقسوة والغضب حينا آخر. وإن أصبح شعور القسوة أكثر طغيانا من شعور الرضا والحنان. فالمرأة مضغة ضالة لا هداية لها :

أوتيتِ من حوّاء صفتك فلم تزلْ   بك مضغة ضلّت ولما تهتد

المرأة رسم ميت ينأى عنه إحساس الجمال وتُعبر فيه الأماني:

أتيتك من عالمي الشاعري   أحلّق فوق شذى الأمنيات
فلم ألق فيك سوى رسم أنثى   تُميتُ بقلبي منى العاشقين
فلا كان شعري إذا ما أتاكِ   فعندك يلوى جمال القصيدة

والمرأة تمثال طيني رسب في قاع دنيّ

أنا لست أرى فيك حين أراك   سوى تمثال من طين
لا توحي رؤيته إلا   بالجِطّةِ والمعنى الدون

هذا السخط الجارف لم ينسه رافد الرضا والحنان

أحبك ليس بعد هواك حب   يعطّر خاطري ويزين جيده
فلوني في حنايا القلب لحنا   وعيشي في الضلوع شذى قصيده

أي رضا وأي حنان!.

أميتيني وأحييني

كما تهوين يا فجرا من الأنداء يا صبحاً من العطر

ففي حال الرضا تصير فتاته هوى لا يدانيه هوى ولحناً آسرا وفجرا نديا شاعريا.

وكان الخيط الثاني وضوح الكبرياء الذي ما غاب عن الديوان لحظة وهو كبرياء موثوق بتعطشه السابق للمرأة. وقد صار المعادل الذي حقق له الاتزان أمام تيار المرأة. وإلا لهان أمامها، ومن هنا فقد ارتبط هوى الشاعر بعزته أبدا:

إنني أهواك لكن فوق حبي كبريائي

أنا ملك غيرك ربما ما دمت أحفظ كبريائي

أنا لست قلبا دون نبض مثلما تتصورين

لكنني قلب عزيز النبض متزن العطاء

لقد صار هذا الكبرياء ميزان حبه وكرهه. ميزان رفعة المرأة وضعتها وقد أوجد في معين شاعرنا إحساسا بأن مدار العاطفة صاحبها، ومالك أمرها

وأنا بيدي أجلستك في الإيوان

فبدوني لست سوى رسم في غمرة كل الفتيات

وبلغت حدة الكبرياء مداها حين جعلت صاحبنا غرضا للنساء مؤذنة بإحساس نرجسي ولست أدري أكان الشاعر نرجسيا حين قال:

عيناك تحومان كثيرا من خلف نقابك تختلسان

وصراعك لا يخفى مهما حاولت الكتمان

تتمنين اللقيا حتى لو قايضت عليها الشيطان

أوكان ما قاله إسقاطا ذاتيا حيث تكون الحالمتان عيني شاعرنا!.

وحين ينعدم الأمل ويأتي الفشل جاسما ويصبح الضياع مستمرا فإن تجربة الشاعر تتضح بخيط ثالث ينبىء عن صرامة وقسوة في الحب وفي التعامل مع الأشياء فشاعرنا يقول:

لا تُعنّي فكرك الأسوان في سر اكتئابي

فأنا لا أدرك السر ولا أعرف شيئا

كل ما أدريه أني ضائع وسط ضباب

وحزين حزن أعمى لا يرى في الكون ضوءا

وهو القائل أيضا :

وحياتي ليست غير جراحات وكتائب أحزان.

وما أدري أن شاعراً يحوي في ذاته هذا الضياع من الممكن أن يُلام أو يعاب على قسوة تبدر منه فله ما يريد من كلام فإن قسوته لا توحي بفقدان رحمة وإنما تنبيء عن عذاب.

ذوبي غيظا فأنا اسقطتك من فكري

من أين يا بئر العفونة يا انتكاسا للوراء

فأمـا عصاني فؤادي فيك فإني بأعتى القوى أسحقه

أبيات قاسية لم تخل ألفاظها من صرامة ولم يخل الديوان أيضا من مثل هذه التعبيرات:

يا بُئر العفونة ـــ يسحقني ـــ يختال فيّ هائجا. إلى آخر هذا الرصيد من الكلمات والتعبيرات التي تنبيء عن صرامة.

خيوط ثلاثة كما قلت كانت محرك تجربة الشاعر والتي تجمعت في تجربة حب ذاتية لها مذاقها الخاص الذي يتفق مع مذاق شاعرنا. وقد استطاع الشاعر أن يعبر عن هذه التجربة بخيوطها من خلال وسائل متعددة لعل وقوفنا إزاء ظواهر هذا الديوان تعطينا صورة عنها.

فمن الظواهر الواردة تغنّي الشاعر بشعره والحديث عن قيمته وتلك سنة نراها عند كثير من الشعراء. لماذا يكثر الشعراء الحديث عن صدق شعرهم وعن المعاناة التي تنتابهم حين وهج الشعور عندهم. إن العمل الشعري إن لم ينبيء عما يريد الشاعر فلا حاجة إلى الحديث عنه. أخشى أن أُذكّر نفسي بلوحة

يصورها مصور ويكتب تحتها العنوان مدللا على ما بها قائلا هذه معركة وذاك مدفع. وهذا رجل غاضب الخ فيجعل اللغة بديلا للألوان والخيوط والظلال. وما أحسبه أن الذاتية أو قل النرجسية تبتعد حين يكون هناك اقتصاد في حكم الشاعر على عمله. وها هو شاعرنا يتغنى بشعره قائلا:

ولا تسامل عن لحني المنسوج من نبضي
وقصائد شعري لن تدفن ما دامت تنبع من روحي
وأسكب شعري سلافا يعربـــــد في كل دنّ

وأبيات الديوان في هذا المعنى ليست بالقليلة.

ومن خلال تجربة الشاعر نحس بعلاقة التأثر فالشاعر حين يكون وليد تراث وثقافة فإن وعيه بهذين الأمرين يجعله دون وعي متأثرا في تجربته والتعبير عنها بمن سبقوه فأنا أحسب أن صاحب الديوان يملأ قلبه إحساس نزار حين يقول :

وتهزج في بساتيني
لحسنك أنت أشعاري
وأنت مناخ أفكاري

ولعل قوله :
تأتين بالبرهان أنك لست رقما بارزا في المهملات من النساء
يتوه في إحساس نزار حين قال :
متى يا سيدي تفهم
بأني لست واحدة كغيري من عشيقاتك
ولا فتحاً نسائيا يضافُ إلى فتوحاتك
ولا رقما من الأرقام يرصد في سجلاتك

وأحسب أن رائعة الشاعر «رسالة إلى أبي أيوب الأنصاري» تذكرني بهوامش على دفتر النكسة للشاعر نزار.

ولعلني أذوق إحساس كامل الشناوي في قول شاعرنا:
لكني اليوم شفيت تماما من داء الحب المجنون

لم يشعر بك قبلي أحد فبعثتك من وادي النسيان
وملأت بصورتك الأبصار غزوتك لحنا من ذاتي.
وأنا بيدي أجلستك في الإيوان
فبدوني لست سوى رسم في غَمْرةِ كل الفتيات

فكيف اتسقت هذه الأحاسيس مع قول كامل:

كوني كما تهوين
لكن لن تكوني
فأنا صنعتك من وهمي
ومن فرط جنوني

أليس قوله في قصيدته «حينا قالت وداعا»: وبكت روحي روحي.

يباعث حديث كامل الشناوي : بعضي يمزق بعضي وهما معاً يقفان على باب.

الموشح الذي يقول : وبكى بعضي على بعضي معي.

ولم يقف الخلود التلاقي عند حد المعاصرة وحدها، ولأن الشاعر يحمل على كاهله فهم تراثنا العربي الخالد نراه يحمل في تجربته بعضا من هذا التراث. إن قوله:

كل ما تحوين سر مبهم يعصى الهداه
يذكرني بقول الشاعر :

رهبانُ مدين والذين عهدتهم يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعتُ كلامها ....

وإن قوله :
ومضى عامان وكل منا يظهر للآخر جفوة
وجريت لأبحث عن أخرى تشفي قلبي من نفثاتك
فبها من عينيك شعاع، وبها شيء من قسماتك
لكني جربت وجربت فلم يعرف قلبي صفوه

يذكرني بقول المجنون :

ولما أبى إلا جماحاً فؤاده ولم يسل عن ليلى بمال ولا أهل
تسلّى بأخرى غيرها فإذا التي تسلّى بها تغرى بليلى ولا تسل

ومع تصور هذه المشاركات فمما لا شك فيه أن شاعرنا هاضم لتراثه وله في شعره بصمات واضحة.

ومن خلال وحدة الموضوع عنده حيث الديوان قصيدة حب واحدة بحزنها وسرورها، فإن ظاهرة التكرار لديه تبدو واضحة، وليس هذا بغريب عنده فمن توحدت لديه ظاهرة بدا التكرار عنده واضحا. والذي يريد مصداق ذلك فليقرأ على سبيل المثال شعر مجنون ليلى.

فشاعرنا في قصيدته «سلوى» وهي قصيدة كتبها الشاعر في فترة متقدمة ولو استغنى ديوانه عنها ما خسر شيئا يقول:

فغنى النبض في قلبي وفارق ساحة الشكوى

ويكرر المعنى فيها قائلا :

وأنت أحلت أشجاني بما قدمت لي شكوى

وفي مقطوعة «المتوّجة بالشمس» يقول:
أخبريني كيف ينسى فيك رب الدين دينه .
ويكرر بعدها :
كل ما تحوين سر مبهم يصبى الهداه.

وفي مقطوعة «إلى صامتة» يقول :

وعدت بعد اغتراب إلى قصيدي ولحني
وفيها يقول :
من أجل عينيك يا حلوتي رجعت أغني
وفي مقطوعة «قصيدة دامية» يقول :
واعرفي اني مُعَنّى لم أذق طعم الهنا
وفيها أيضا يقول :
مثقل بالعبء عمري لم أذق طعم المنى
وفي مقطوعته «كلمات للمستنقع» يقول :

أنـــا ملك غيرك ربما ما دمت أحفظ كبريائي
وفيها نرى :
أنا لست قلبا دون نبض مثلما تتصورين
لكنني قلب عزيز النبض متزن العطاء.

وغير ذلك في الديوان ليس بالقليل. وقد كان من الصعب تفاديه، لأن الموضوع واحد وإن كان من الممكن التقليل منه في إطار القصيدة الواحدة.

وحين ينظر القارىء إلى اللغة والتراكيب التي أضحت ممثلة للتجربة الشعورية فإنه بالامكان القول بأن الشاعر يمتلك قدرة لغوية تزاوج في كثير بين الصحة والجمال ولدى ديوانه مقطوعات كثيرة تفصح عن ذلك منها قصائده «الصورة» ــ حينا قالت وداعا ــ حينما يعربد الشوق ــ لماذا خيم الصوت ــ قصيدة دامية إلخ ويكفينا أن نعيش هذه التعبيرات المنسابة في وضوح وسلاسة:

أميتيني وأحييني
كما تهوين يا فجرا من الأنداء يا صبحا من العطر
ولا تتساءلي عن لحني المنسوج من نبضي
لمن أهديه ؟ من يعطي بياني طاقة السحر
ففي عينيك أكتبه ومن عينيك يأتيني

ولأن شاعرنا يفهم التراكيب اللغوية ويعرف إمكاناتها النحوية والصرفية بحكم عمله استاذا لمادة اللغويات بالجامعة، فإن هذه المعرفة ناءت به عن جمال التركيب أحيانا في سبيل الحفاظ على سلامته فظهرت تركيباته أحيانا معقدة وانظر إليه وهو يقول:

وأنت ــ وعهدك بي لا أُراني ــ صدى امرأة في زوايا الزمان.

والاعتراض هنا أغرب بيسر الجملة ولم يؤد المراد حيث كان خطأ يناقض نفس الشاعر لأن شاعرا يتحدث دائما ملتزما كبرياءه لا يحتاج أن يقول لامرأة إنني لا أرائي.

وانظر إليه وقد ضاع منه يسر التركيب وهو يقول:

أنا منك يا أماه روح رفّ في

أفق الخيال يطوِر منك إليك

وهو يقول أيضا :

اعترف الآن بأني قد ضيعت بلحظة حمق أروع حب.

وحطمت بنزوتي الرعناء رياض الأمل المزهر

فهنا تركيب معقد فيه من وضوح النثر الكثير. ومن ذلك قوله:

وأيّا كان صوتي وقتا كنت صفيّ في ليالي الحواني

أصدر النغمة تسبي قلب من يصغي

وأهفو في أويقات ارتعاشي لأمانك

إن ثقافة الشاعر اللغوية ظلمته أحيانا فبدت ألفاظه ألفاظ مدرس لغة لا ألفاظ شاعر فهو يقول : وهوت تحوقل حولها العينان .

ولا معنى لكلمة «حوقل» هنا على الرغم من أن هذا البيت شبيه بشواهد النحو في صوغه يقال حوقل الشيخ فهو محوقل إذا كبر وفتر عن الجماع فما مراد الحوقلة هنا!.

ولا مجال لاستخدام كلمتي البسط والقبض المتقابلتين في قوله:

وتدمين فكرك بسطا وقبضا

فالتركيب أسير الصوغ اللفظي الذي يستخدم نسقاً بديعياً ماتت أواصره. لقد كان بالامكان اعجابا بهذا البديع أن يردف البيت السابق ببيت يقول فيه:

وتدمين تدمين قدا وقطا

حيث التقابل موجود أيضا!.

ويأتي نصيب الصورة الشعرية في ديوانه وهي صورة يمتاحها الشاعر من تراث رومانسي يستخدم تراسل الحواس وتبادلها سبيلا لها حيث يضيء اللحن ولا يسمع. وترشف الأعطار ولا تشم. ويذوب اللحن على الشفاه وتشرب القبلة، إلى آخر هذه العبارات الرومانسية التي كثرت في الديوان مما جعلها في كثير تعبيرات هُلامية حيث يردفها:

سلافة الحنان ــ أعطار تحناني ــ آفاق الحنان ــ نوايا الاغتراب ــ ضياء أمان ــ زوايا الزمان ــ عذريّ الإيقاع. وفي سبيل هذه التعبيرات امتلكت صورة زمام شاعرنا في الديوان كله وهي صورة اللحن والنغم التي فاق ورودها حد الأربعين ومنها:

وعيشي لحن شوق في كياني

فذوبي في حنايا القلب لحنا

وأسكب شعري سلافا يربد في كل دن

إذا كنت لحنا جميلا فكيف يلام المغنيّ

آه يا لحنا خبيئا لم يدندن بك عود

لحنا يملأ الدنيا منى

وغير هذه التعبيرات كما قلت كثير.

وإذا كانت جل صورة تنبيء عن قدرة في التركيز فإن بعضا منها ضاع مراده ولم يأت بما أراد الشاعر فحين يقول:

شفتاي أورقتا وأثمرت الدنى

نراه يعكس المراد إذ يجعل شفة المذكر تورق من القبلة وترتوي على حين أن شفة المرأة كما نعلم أولى بهذا الري وذاك الامتلاء. فالمذكر جدب خشن يخلع الري إزاء الجنس الآخر. فأن تورق شفة المذكر فهذا أمر غير مقبول لأنه تعبير مخنث.

وفي سبيل استخدام الرمز في تجربته نرى أن هذا الاستخدام جاء غير مبالغ فيه، لأن اعتاده على الأسطورة جاء موظفا غير خفي في رسالته إلى أبي أيوب الأنصاري، هذا المسلم الذي سار النصر في ركابه حيث يشكو إليه شاعرنا جفاف النخوة ونضوب البطولة بعد هزيمتنا في حرب الأيام الستة. وقد كان الرمز في قصيدة «لحن الوفاء» سهلا غير مفتعل وبذا ناء عن تلك الغيبوبة التي يوقع فيها استخدام الرمز أحيانا.

لقد امتلك الشاعر في بناء قصيدته قدرة واعية في كيفية

الختام. فأضحى ختامه يمثل تركيزاً واعيا للدفقة الشعورية الموجودة في القصيدة. وها هي بعض أبياته التي جاءت قُفْل قصائده:

إذا كنت لحنا جميلا فكيف يلام المغني
فضنانك ذاب من الضنى إن لم تجره فمن يجير
فالشعر سماوي الهمسات وأنت سماؤك أرضية

وإلى القارىء قصيدة من روائعه كي ندرك فيها قدرة التركيز ومجيء الختام ملخصا للإحساس في روعة وتركيز. يقول في قصيدة بعنوان «مرثية للشوق الراحل»:

لا تقولي كيف مات
كيف صار الشوق ذكرى في ثوانٍ داميات
وتلاشى وسط نيران الدموع
لا تقولي كيف مات !!
أنت ما أعطيته خبزا وماء كي يقاوم
أنت ما أشربته غير انتكاس الجرح والمعنى المدمى
بعد إطفاء الشموع
كان طفلا يوم قابلناه في سن الرضاع
باسم الوجه نبيلا ساحرا دون قناع
لم يكن يحتاج منا غير نظرات الحنان
ومعاني الدفء في أغنية سكرى طليقة
غير أنا قد تركناه لويلات الزمان
ووقفنا في زوايا بؤسنا ننعى شروقه

وبعد هذا الرثاء لقصة حب ما رعاها الشاعر ولا رعتها حبيبته حيث أسلم الجرح إلى انتكاسة تسلم إلى انقطاع العودة يأتي شاعرنا بالختام مركزا:

ليس للموتى مرد
كل ما نملك ضاع
فانديي ما شئت
قد مزق الموت الشراع.

ونأتي في نهاية التجربة إلى موسيقى الشاعر وهي موسيقى ترددت بين الوزن التقليدي وموسيقى الشعر الحر. وحين جنح الشاعر إلى استخدام النظام الخليلي وعى معه استخدام إمكاناته من زحافات وعلل ومن تمام وجزء وقد بالغ في استخدام البحور المتماثلة صاحبة التفعيلة الواحدة. وحين جنح إلى استخدام النظام الحر كان واعيا أيضا وإن لم يمثل تماماً كل مظاهر التعبير فيه. وقد كان السبيل بين الطريقين ممهدا فلم يصبح وزن الخليل موغلا في تقليديته ونمطيته ولم يصبح الوزن الجديد مسرفا في حريته. وقد استخدم الشاعر في قصيدته «رسالة إلى حلوة العينين» التي يخاطب مصر بها النمطين السابقين نمط الشعر الحر دالاً به على فترة ما قبل الانتصار التي لم يك لها ضابط ولا حاكم مستخدما تفعيلة الرمل «فاعلاتن» ونمط الشعر العمودي في فترة الانتصار تلك التي أعادت الأمور إلى ضوابطها مستخدما تفعيلة الكامل فهل كان وراء قصده نمط الشعر الحر في الحالة الأولى والنمط العمودي في الحالة الثانية أمر ذو دليل!.

بيد أن شاعرنا قد وقع في خطأة موسيقية أحسبها نحوية حين قال:

تأنف الأعين أن ترنو إليه.

فلا سبيل لتمام تفعيلة الرمل إلا بجعل «ترنو» ساكنة الواو مع أن الواجب النحوي يحركها بالفتح لأنها مضارع منصوب بأن.

وفي النهاية فإن القارىء لهذا الديوان المتعمق له يحس أن لشاعرنا قدرة آسرة على أن يحمّل قارئه التوتر الذي يعيش في أعماقه فالبركان الثائر في جوفه يصيب أواره قارىء الديوان. وكم كان صادقا حين قال في مقدمة ديوانه: حرفي نبضة وكلماتي انفعالات وقصائدي نسيج دمعي وسهدي! إن هذا الديوان لون جديد ومذاق خاص، ومن ثم يحق له أن يكون إضافة في حقل الشعر. لقد حفل ببعض مظاهر ربما أخذ بعضها عليه وهذا أمر لا يقلل أبدا من قيمته. وحسبك أن تقرأ هذا الديوان فإذا أردت النوم بت مؤرقا مسهدا وفي هذا دليل على شدة تأثيره. فشكرا لصاحبه وحقلنا الشعري ينتظر الجديد من عذاباته وسعاداته متمنيا أن يخرج الشاعر من ثوب وحدة الموضوع الذي حبس ذاته فيه إلى عالم أرحب وبخاصة أنه أعطانا قراءة صادقة في عينيه حين أراد أن يقرأ عيني حبيبته فهل آن الأوان أن نرى في ديوانه الآتي عين مجتمعه وعيون الآخرين!.

رسالة الجزائر الثقافية

محمد عيسى موسى
المكتبة الوطنية ــ الجزائر

المعارف العامة

تاريخ الاذاعة والتلفزة/ بيير ألبير، أندري جان تودسك ترجمة محمد قدوش.ــ أضاف فصلاً خاصاً بالطبعة العربية عن الاذاعة والتلفزة الجزائرية / زهير احدادن.ــ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٤.ــ ١١٣ ص، ٢٢ سم.ــ (سلسلة المجتمع).

الكتاب ثلاثة أقسام رئيسية :

القسم الأول : بداية الاذاعة وفيه: الابراق اللاسلكي والهاتف اللاسلكي والمواصلات الهاتفية عبر الأمواج بعد الحرب العالمية الكبرى والمحطات الأولى.

القسم الثاني : عهد الاذاعة (١٩٣٠ ــ ١٩٦٠م) وفيه: اذاعة الثلاثينات وحرب الموجات والاذاعة بعد الحرب العالمية الثانية وبداية التلفزة.

القسم الثالث : عهد السمعي البصري منذ ١٩٦٠م وفيه: تطورات وتنويع التلفزة، الاذاعة في عهد التلفزة، الاذاعة والتلفزة الجزائرية.

الصحافة المكتوبة والسمعية البصرية/ رولان كايرول، ترجمة مرشلي محمد.ــ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٤.ــ ٧٥٩ ص، ٢٢ سم.ــ (سلسلة المجتمع).

يقع الكتاب في أربعة أبواب رئيسية الأول في الأصل هو مدخل للموضوع تناول فيه المؤلف تطور الصحافة وتقنياتها وخصص جانبا منه للوكالات الصحفية. وفي الثاني ثمانية فصول اهتمت كلها بالصحافة الفرنسية من جانب التشريع والتنظيم والتسيير وأرباب العمل والصحفيين بالاضافة إلى دراسات خاصة بالصحف اليومية والدورية والاذاعة والتلفزة. وبحث المؤلف في الباب الثالث الصحافة في دول كبرى وعددها سبع بعدد الفصول خصص الأول لصحافة الولايات المتحدة الأمريكية والثاني للصحافة البريطانية والثالث للصحافة الايطالية والرابع لجمهورية المانيا الاتحادية فالصحافة في اليابان ثم الصين الشعبية وأخيرا الصحافة في الاتحاد السوفياتي. أما الباب الأخير فهو خاص بتأثير وسائل الاعلام وخاصة في الجانب السياسي.

الديــــن

أمة القرآن/ عبد الحميد مهدي.ــ قسنطينة: البعث، ١٩٨٣ ــ ٢٣٨ ص، ٢١ سم.

يقع الكتاب في بابين اثنين **بحث الأول** في علوم القرآن وفيه أحد عشر فصلاً هي

الفصل الأول : في رحاب القرآن.

الفصل الثاني : القرآن الكريم ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه.

الفصل الثالث : نزول القرآن.

الفصل الرابع: جمع القرآن

الفصل الخامس : القراءات السبع

الفصل السادس : إعجاز القرآن

الفصل السابع : المحكم والمتشابه

الفصل الثامن : الناسخ والمنسوخ

الفصل التاسع : تفسير القرآن

الفصل العاشر : فضائل القرآن

الفصل الحادي عشر : آداب القرآن

أما الباب الثاني فخصصه المؤلف لعلم التجويد.

السُّنَّة عبر العصور/ طالب عبد الرحمن.ـــ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٤.ـــ ٣٥٠ ص، ٢٢ سم.

اشتمل كتاب السُّنَّة عبر العصور على ستة فصول هي:

الفصل الأول : التعريف بالسُّنَّة ومترادفاتها. عرَّف الباحث في هذا الفصل مفهوم السُّنَّة عند الفقهاء واللغويين والمحدثين والأصوليين.

الفصل الثاني : مراحل تدوين السُّنَّة النبوية ومنهجية تأليفها. سجل المؤلف في هذا الفصل وجوه تلقي السُّنَّة النبوية وطريقة نشرها ونوقشت فيه مسألة النهي عن كتابة الحديث والأمر بكتابته بأدلة مقنعة.

الفصل الثالث : التعريف ببعض مؤلفات السُّنَّة ورجالها. ذكر الكاتب ترجمات مختصرة لخمسة وعشرين من المحدثين العظام كالواقدي وابن هشام وابن سعد والسيوطي واختار عشرين كتاباً في السُّنَّة النبوية عرَّفها تعريفا دقيقا.

الفصل الرابع: مصطلح الحديث. ذكر الباحث تعريفات لنحو أربعين مصطلحاً وختم الفصل بتسجيل منظومة الامام البيقوني في مصطلح الحديث.

الفصل الخامس : علوم السُّنَّة النبوية يشتمل الفصل على علوم السُّنَّة النبوية المتعلقة بمتن الحديث والمتعلقة بالسند.

الفصل السادس : ضبط أسماء بعض رواة الحديث.

من مدرسة النبوة : ذكريات من التاريخ الاسلامي/ علي مرحوم.ـــ قسنطينة: البعث، ١٩٨٤.ـــ ٣٠٢ص، ٢٢ سم.

يشير المؤلف الشيخ علي مرحوم في مقدمته إلى أن كتابه هذا خواطر فكرية كتبها حول موضوعات لها صلة وثيقة بالتاريخ الاسلامي وبسيرة النبي (ص). من هذه الموضوعات: موضوع حول الهجرة النبوية الكبرى من مكة إلى يثرب وموضوع مشروعية الجهاد في الاسلام وموضوعات مرتبطة بالشخصيات الاسلامية التالية : أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، خالد بن الوليد، عمر بن عبد العزيز.

العلوم الاجتماعية

التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي/ محمد البشير شنيتي.ـــ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤.ـــ ٣٧٢ ص، ٢٤ سم.

يضم البحث مدخلاً وثلاثة أقسام: تناول المؤلف في المدخل أوضاع الامبراطورية الرومانية خلال القرن الثالث الميلادي ودرس في القسم الأول مجالات النشاط الاقتصادي المرتبط بظاهرة الاستعمار. وتعرض في القسم الثالث إلى الوضعية الاجتماعية في المغرب الروماني مركزاً على حالة السكان الأصليين وعناصر السكان الوافدين وعلى النمو الديموغرافي عموما.

أما القسم الثالث فدرس فيه المؤلف الصراع الاجتماعي ــ السياسي وخاصة ظاهرة انتشار المسيحية في المغرب الروماني ثم ختم البحث بخلاصة قيم فيها النتائج التي توصل إليها.

الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا: حتمية الحل الاسلامي/ يوسف القرضاوي.ــ قسنطينة: البعث، ١٩٨٤ــ ٣٦٦ ص، ٢٢ سم.

يُعَرِّفُ الباحث يوسف القرضاوي بكتابه وبالهدف منه بقوله: في هذا البحث محاولة لبيان جناية الحلول المستوردة ــ الليبرالية والثورية ــ على أمتنا وكيف عوقت نهضتنا، وسارت بها في غير الاتجاه الصحيح. كما نبين ضرورة الاتجاه إلى الحل الاسلامي باعتباره الحل الوحيد لانقاذ هذه الأمة والحفاظ على وجودها. ملقيا الضوء على معالم هذا الحل ومزاياه وثمراته وشروطه والسبيل إلى تحقيقه. ثم دفع شبهات المرتابين والمشككين فيه. وأخيرا بيان مَنْ هم أعداء الحل الاسلامي وما دوافعهم لعداوته وموقفنا منهم.

دعائم النهضة الوطنية الجزائرية: التعليم الديني ، الاصلاح الديني، جمعية العلماء / **محمد الطاهر فضلاء.ــ قسنطينة: البعث، ١٩٨٤. ــ ١٨٩ص، ٢١ سم.**

دعائم النهضة كما هو واضح في العنوان ثلاث: التعليم الديني الذي حافظ على الشخصية الوطنية لأنه تمسك بشدة بتعاليم الدين الاسلامي والحضارة الاسلامية، والدعامة الثانية اصلاح الدين الذي هو وثيق الصلة بالأول فكلاهما يصدر من مصدر واحد هو الدين وكلاهما يصب في مصب واحد هو الشخصية الاسلامية والذاتية الاسلامية. وأخيراً جمعية العلماء وقيادتها لحركة الاصلاح في الجزائر ــ بَيَّنَ المؤلف جذور هذه الحركة وروادها وتراثها.

شرح قانون العمل الجزائري: علاقات العمل الفردية / جلال مصطفى القريشي.ــ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٤ــ ج١، ٣٥٩ ص، ٢٢ سم.ــ (سلسلة القانون والمجتمع).

بدأ الكاتب شرح احكام القوانين الجديدة بدراسة تمهيدية لتساعد على فهم الكثير من مبادئها وأحكامها، تضمن تعريف قانون العمل وموضوعه وتسمياته وتطوره التاريخي وأهميته والمحل الذي يحتله بين الفروع القانونية والعلوم الاقتصادية ثم فَصَّلَ خصائصه الذاتية مع بيان مصادره الداخلية والدولية ونطاق تطبيقه ثم انتقل إلى بحث علاقات العمل الفردية وذلك لاعتراف المشرع بالقطاع الخاص من جهة ولأنها من جهة أخرى الاساس التاريخي والمنطقي والقانوني لعلاقات العمل الجماعية تناول فيها التشريع المنظم لعقد العقل الفردي وشرح الاصطلاحات الفنية المستعملة لتعريفه وتسمية اطرافه في القانون المقارن وفي القانون الجزائري. وأتبع ذلك بشرح مفصل للعناصر الأساسية لعقد العمل مع بيان أهم الآثار القانونية لعقد العمل الفردي، وخصص الجزء الأخير من البحث لدراسة علاقات العمل الجماعية: التشغيل والتكوين والتأهيل وتفتيش العمل وتسوية منازعاته وأخيرا علاقات العمل الدولية كمنظمة العمل الدولية ومنظمة العمل العربية.

مناهج البحث في علوم التربية وعلم النفس/ تركي رابح.ــ الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤.ــ ٢٠٥ص، ٢٤ سم.

يقع الكتاب في أربعة أبواب وملاحق. اهتم الباب الأول بالبحوث التربوية والتعريف بها فأجاب الفصل الأول عن سؤالين طرحهما المؤلف نصهما : ماذا يراد بمنهج البحث العلمي؟ والبحث التربوي. وتناول في الفصول الأربعة الأخرى خطوات البحث العلمي وأقسامها ومجالاتها وأنواع البحث العلمي والطريقة العلمية في ذلك. وتعرض في الباب الثاني لقضية التفكير العلمي والتفكير الابداعي وفيه أربعة فصول. أما الباب

الثالث فتناول المناهج الاساسية في البحوث التربوية والنفسية كالمنهج الاستقرائي ومنهج البحث التاريخي ومنهج البحث الوصفي ومنهج البحث التجريبي. واستعرض المؤلف في الباب الأخير طريقة اعداد البحوث والرسائل الجامعية.

مواقف جزائرية / محمد الميلي.ــ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤. ــ ٣٤٩ص، ٢٢ سم.

الكتاب في الأصل مجموعة مقالات نشرت حديثا في مجلة «المستقبل» عن المغرب العربي وأوضاعه في نهاية الخمسينات وبداية الستينات وعن العلاقات الجزائرية الفرنسية ويقع الكتاب في أربعة أبواب هي :

الأول : المغرب العربي ومعركة الجزائر في مطلع الستينات.

الثاني : صراع الاكفاء

الثالث : ملامح تحول وخصائص اسلوب (١٩٧٩ ــ ١٩٨٣)

الرابع : قراءة نقدية في وثائق المؤتمر الخامس.

الأدب

أحاديث في الفكر والأدب / أزراج عمر.ــ قسنطينة: البعث، ١٩٨٤. ــ ١٥٧ ص، ٢١ سم.

الكتاب في الأصل هو مجموعة من أحاديث شتى أجراها المؤلف مع أدباء وأساتذة جامعيين من بينهم: الدكتور شكري فيصل، ادونيس، احمد عبد المعطي حجازي، الدكتور ابو القاسم سعد الله وغيرهم كثير.

الشعر الجزائري الحديث / صالح خرفي.ــ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤.ــ ٣٨٩ ص، ٢٤ سم.

الكتاب في الأصل رسالة جامعية نال بها المؤلف درجة دكتوراه الدولة من جامعة القاهرة سنة ١٩٧٠ وهي تتناول الشعر الجزائري الحديث ابتداء من سنة ١٩٣٠. ويقع الكتاب في أربعة أقسام هي : الشعر الديني، الشعر الوطني، الشعر العاطفي والخصائص الفنية .

ذيَّل المؤلف البحث بملحق للأشعار التي لم تنشر من قبل جمعها من الصحف والمجلات وقسمها إلى ستة أصناف: الشعر الديني ، الشعر القومي، الشعر الثوري، الشعر العاطفي، الشعر الذاتي، شعر ما بعد الاستقلال.

الكتابة لحظة وعي : مقالات نقدية / محمد بوشعيط.ــ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤. ــ ١٤٣ص، ٢٠ سم.

خصص المؤلف القسم الأول للأدب الجزائري فتناول في البداية تطور الشعر الجزائري المعاصر ثم ثنى بالجانب الفني في القصة الجزائرية وتعرض في الأخير للرواية الجزائرية الحديثة. أما القسم الثاني فدرس فيه موضوعات نقدية مختلفة خاصة بنزار قباني وصلاح عبد الصبور وأدونيس وغيرهم. وقد سبق نشر أغلب مواد الكتاب في جريدة الشعب اليومية.

مفدي زكرياء: شاعر النضال والثورة / محمد ناصر.ــ غرداية : المطبعة العربية، ١٩٨٤. ــ ١٧٥ ص، ٢١ سم.

هذه أول محاولة لدراسة الشاعر مفدي زكرياء والتفاتة رائدة من الدكتور محمد ناصر الذي شعر بضرورة وضع المعالم الأولى للمسلك الذي ينبغي أن ينطلق منه الدارس لأدب الشاعر فأخرج أول دراسة جادة ضمها كتاب لشعر مفدي زكرياء. يقع البحث في ثلاثة فصول :

الأول : الحس الثوري في شعر مفدي زكرياء.

الثاني : المغرب العربي الكبير في شعره

الثالث : شعره وعلاقته بالتراث .

عثر المؤلف على مجموعة شعرية كبيرة لمفدي زكرياء مجهولة ولم تنشر من قبل جمعها من الصحف والمجلات وألحقها بالكتاب.

نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون / عبدالله شريط.ــ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤. ــ ١٣٢ ص. ٢٤ سم.

اعتمدت فكرة الكتاب أساساً على تقصي آراء ابن خلدون وجمعها وتصنيفها حسب الخطة التي ارادها المؤلف لكتابه وهي كالتالي:

ــ **قسم الحضارة وفلسفة التاريخ** وفيه طرح للمواضيع التالية:

فلسفة التاريخ ــ العمران البشري أو العلم الجديد ــ الحياة الاجتماعية ضرورية ــ أثر البيئة في الانسان ــ البدو والحضر أو الريف والمدينة.

ــ **قسم السياسة الاقتصادية وفيه** :

عظمة الدولة : هل هي القوة أم المبادىء ؟ــ الترف مرض الدولة ــ السيادة على البحر الأبيض المتوسط بين العرب وأوروبا ــ الظلم مؤذن لخراب العمران.

ــ **قسم الحضارة والاجتماع وفيه** :

عظمة الآثار تدل على عظمة الدولة ــ ضعف المباني عند العرب والبربر ــ الأسواق والأسعار ــ الحضارة في بلاد المغرب العربي ــ تحول الحضارة إلى انحلال ــ ازدهار الصناعة.

ــ **قسم الثقافة والتعليم وفيه** :

رداءة الخط في بلاد المغرب ــ ضعف التعليم في بلاد المغرب ــ نظرة في تاريخ العلوم ــ ضعف مناهج التعليم ــ حول مشكلة اللغة ــ اتقان اللغة بالممارسة لا بحفظ القواعد ــ ضعف العربية في المدن.

التاريخ والجغرافيا والتراجم

أبو اليقظان وجهاد الكلمة / محمد ناصر.ــ الجزائر: وزارة الثقافة والسياحة، ١٩٨٤.ــ ٩٩ ص، ٢٢ سم. (الموسوعة التاريخية للشباب : اعلام الثقافة والعلوم).

أبو اليقظان من المصلحين الأوائل واسمه الكامل أبو اليقظان ابراهيم بن الحاج عيسى ١٣٠٥ ــ ١٣٩٣ هـ /١٨٨٨ ــ ١٩٧٣م. وهو شاعر ومؤرخ وعالم ضليع في الشريعة وصحفي أنشأ صحفاً عديدة في الجزائر وهو إلى ذلك صاحب مؤلفات وكتب كثيرة لا يزال أغلبها مخطوطاً. تناول الدكتور ناصر في كتابه جانبين من حياة أبي اليقظان: الجانب الصحفي والجانب الابداعي، فجاء الكتاب في قسمين :

الأول : أبو اليقظان صحفيا.

الثاني : أبو اليقظان شاعرا.

الأمير عبد القادر الجزائري : مؤسس دولة وقائد جيش/ اسماعيل العربي.ــ الجزائر : وزارة الثقافة والسياحة، ١٩٨٤ــ ١٣٥ ص. ٢٢ سم.ــ (الموسوعة التاريخية للشباب : اعلام السياسة والحرب).

يتكون الكتاب من تسعة أقسام بحثت جوانب عديدة من نشاط الأمير وهي :

- ــ طفولة الأمير
- ــ جيش الأمير
- ــ حكومة الأمير
- ــ نموذج من معارك الأمير
  - ــ معركة المقطع
  - ــ معركة سيدي ابراهيم
- ــ مفاوضات ومعاهدات
  - ــ معاهدة ديمشال
  - ــ معاهدة تافنا

الجزائر في التاريخ. المجلد الأول: الجزائر منذ نشأة الحضارة / محمد الطاهر العدواني.ــ الجزائر: وزارة الثقافة والسياحة: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤.ــ ٣٠٥ ص، ٢٤ سم.

الكتاب هو الحلقة الأولى من موسوعة تاريخية عن الجزائر قررت انجازها وزارة الثقافة والسياحة بمناسبة الاحتفال بالذكرى ٣٠ للفاتح من نوفمبر أصدرت منها المجلدات الأول والثالث والرابع ويوجد تحت الطبع المجلد الثاني وهو خاص بالعصر القديم والخامس وهو خاص بفترة الاحتلال الفرنسي.

يقع المجلد الأول في خمسة فصول هي :

الفصل الأول : قراءة جديدة في علوم الأرض.

الفصل الثاني : البحث عن معرفة الأصول.

الفصل الثالث : الانسان في نشأته وتطوره.

الفصل الرابع : الحضارة البشرية في الأطوار الحجرية.

الفصل الخامس : التمركز الحضاري في النطاق الافروعربي.

الجزائر في التاريخ. المجلد الثالث: العهد الاسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني / رشيد بوروية، موسى لقبال، عبد الحميد حاجيات، عطا الله دهينة،محمد بلفراد.ـ الجزائر: وزارة الثقافة والسياحة : المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤. ـ ٦٠٥ص، ٢٤ سم.

نظراً للفترة الواسعة التي يغطيها الكتاب وتعدد جوانب البحث، فقد اشترك في انجازه عدد من الباحثين الجزائريين تناول كل واحد منهم جانبا أو جوانب معينة من موضوع الكتاب الذي يقع في ثمانية أبواب. يخص الباب الأول الفترة الأولى من العهد الاسلامي التي تمتد إلى تأسيس الدولة الرستمية. وتناول الباب الثاني بفصليه الدولة الرستمية. بحث الأول في الجانب السياسي وتناول الثاني الحضارة في عهد الرستميين. أما الباب الثالث فعنوانه : «الجزائر في عهد الفاطميين والزيريين». وتناولت فصوله الأربعة التاريخ السياسي والنظم الادارية والحياة الاقتصادية والاجتماعية والفنية والأدبية. واتبع المؤلفون نفس المنهج في الباب الرابع الخاص بالجزائر في عهد الحماديين. وفي الباب الخامس الخاص بتاريخ الجزائر في عهد المرابطين والموحدين. وبما أن الدولة الزيانية حكمت منطقة واسعة من الجزائر مدة تزيد على ثلاثة قرون فقد خصص لها المؤلفون الأبواب الثلاثة الأخيرة وهي : الباب السادس :التاريخ السياسي لدولة بني زيان / الدور الأول. وفيه أربعة فصول.

الباب السابع : التاريخ السياسي لدولة بني زيان/ الدور الثاني وفيه خمسة فصول.

الباب الثامن : حضارة الجزائر في عهد بني زيان، وفيه ثلاثة فصول.

الجزائر في التاريخ. المجلد الرابع: العهد العثماني.ـ الجزائر: وزارة الثقافة والسياحة : المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤.ـ ٢٤٦ ص، ٢٤ سم.

المحتويات : الجانبان الاقتصادي والاجتماعي من تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني / ناصر الدين سعيدوني ـ جوانب من تاريخ الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني/ المهدي البوعبدلي.

تناول الكتاب بالبحث موضوعين : الأول خاص بالجانب الاقتصادي للدكتور ناصر الدين سعيدوني ويقع في ثلاثة فصول. في الفصل الأول : العوامل المتحكمة في النشاطين الاقتصادي والاجتماعي. وفي الفصل الثاني : نوعية النشاط الاقتصادي بالمدن والأرياف . وفي الأخير البنية الاجتماعية بالمدن والأرياف.

أما الموضوع الثاني فهو للشيخ المهدي البوعبدلي يبحث في جوانب من تاريخ الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني من أوجه عديدة .

حاضر الدول الاسلامية في الدول الأفريقية / اسماعيل العربي. ـ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤. ـ ٣٩٩ ص، ٢٤ سم.

يبحث الكتاب في جغرافية الدول الاسلامية في أفريقيا مع التركيز على الجوانب التاريخية وقضايا الساعة وخاصة في مجالي التنمية الاجتماعية والاقتصادية . يقع الكتاب في عشرين باباً كل

باب خاص بدولة معينة تمت دراستها من الجوانب الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وأحيانا العسكرية وتوزعت أبواب الكتاب على ثلاثة أقسام، خصص الأول لدول شمال أفريقيا وهي بالترتيب مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب. وفي القسم الثاني درس المناطق الصحراوية وموريتانيا والسنغال وغامبيا وغينيا بيساو وغينيا الشعبية ومالي والنيجر ونيجيريا وسيراليون. أما القسم الثالث فخصصه المؤلف لأفريقيا الغربية درس فيه السودان والصومال وجيبوتي وجزر القمر.

الثورة الجزائرية في عامها الأول / محمد العربي الزبيري.ـــ قسنطينة: البعث، ١٩٨٤.ـــ ٢٦٢ ص، ٢٢ سم.

حاول المؤلف تفسير الأحداث التي سبقت الثورة أو التي واكبتها في عامها الأول ويقع الكتاب في تسعة فصول وعدة ملاحق:

الفصل الأول : السياسة الفرنسية في الجزائر قبل اندلاع ثورة نوفمبر سنة ١٩٥٤.

الفصل الثاني : الوضع الاقتصادي والثقافي والاجتماعي في الجزائر قبل اندلاع ثورة نوفمبر.

الفصل الثالث : السياسة الوطنية في الجزائر قبل اندلاع ثورة نوفمبر.

الفصل الرابع : السياسة الفرنسية تجاه ثورة نوفمبر.

الفصل الخامس : لمحة سريعة عن سير أحداث الثورة في عامها الأول.

الفصل السادس : موقف الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري من ثورة نوفمبر في عامها الأول.

الفصل السابع : موقف الحزب الشيوعي الجزائري من ثورة نوفمبر في عامها الأول.

الفصل الثامن : موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من ثورة نوفمبر في عامها الأول.

الفصل التاسع : موقف الحركة الوطنية الجزائرية من ثورة نوفمبر في عامها الأول.

أورد المؤلف بعض الوثائق التي تتصل بالموضوع في نهاية الكتاب في شكل ملاحق منها الوثائق الثلاث التالية :

١ ـــ القانون الأساسي الذي صادقت عليه الجمعية العامة لنجم شمال افريقيا بتاريخ ٢٨ مايو سنة ١٩٣٣ في باريس.

٢ ـــ البرنامج السياسي لنجم شمال افريقيا الذي صادق عليه المؤتمر يوم ٢٨ مايو ١٩٣٣.

٣ ـــ القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

الرافضون عبر التاريخ / محمد الصالح الصديق.ـــ قسنطينة: البعث، ١٩٨٤. ـــ ج٢، ٥٨٢ ص، ٢١ سم.

اختار الكاتب شخصيات من التاريخ عبر العصور خلدتهم أعمالهم أو مواقف عرفوا بها. ولم يراع المؤلف في العرض منهجية واضحة وفعل ذلك عمداً، يقول في المقدمة : ولم أراع في ترتيب الأشخاص تاريخاً ولا أهمية وإنما ضممتها كما تضم طاقة من الزهور لا يربط بينها إلا جمال العطر. وبذلك جاء الكتاب كالبستان الحافل بما يروع ويروق من الورود والزهور.. فالقارىء بين هذه الشخصيات كالمتنزه في البستان يقف أمام ما شاء ويقطف ما يشاء.

ردود الفعل الأولية على أول نوفمبر داخلاً وخارجاً أو بعض مآثر فاتح نوفمبر / مولود قاسم نايت بلقاسم.ـــ قسنطينة: البعث ، ١٩٨٤.ـــ ٢٥٣ص، ٢٤ سم.

تناول السيد مولود قاسم الثورة الجزائرية من زاوية محدودة جدا تكاد تنحصر في دراسة الصدى الذي تركته في العالم الطلقة الأولى ضد الاستعمار في الجزائر ليلة الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤.

يقع الكتاب في ثلاثة فصول بحث في الأول الوضع في الدول المجاورة في سنتي ١٩٥٣ و١٩٥٤. وخصص الفصل الثاني لردود الفعل الأولى على أول نوفمبر في الجزائر وفي فرنسا.

وحاول المؤلف في الفصل الثالث ايراد أدلة وشهادات جمعها عن ردود الفعل الأولى على أول نوفمبر خارج الجزائر وفرنسا. أي في العالم الغربي والعالم العربي والاسلامي . وختم المؤلف الكتاب بقوله: ولقد استقصيت جرائد الأحزاب والهيئات وحققت في مجلات المنظمات والفئات وحرصت على ايراد نصوصها بحروفها وبيان مناسبتها وظروفها باليوم والشهر والسنة.. لأعرف وأعرض الحقيقة المجردة العارية متوخياً المناهج والطرق العلمية السارية.

سيرة النبي وأسلوب حديثه / أحمد سيد أحمد.ــ قسنطينة: البعث، ١٩٨٤.ــ ٩٠ ص، ٢١ سم.

تناول الدكتور أحمد سيد أحمد سيرة النبي (ص) من زاويتي الشكل والمضمون ويقصد المؤلف بالشكل دراسة هيكل السيرة من حيث الميلاد والنشأة والتطور. وفيما يتصل بالمضمون ركز على اجتهاد النبي (ص) ومغزاه. وتناول في القسم الثاني من كتابه أسلوب الحديث النبوي، وهي دراسة ذات طابع فني القصد من ورائها إظهار البلاغة النبوية.

عمر راسم المصلح الثائر : ١٨٨٤ ــ ١٩٥٩/ محمد ناصر.ــ الجزائر : وزارة الثقافة والسياحة، ١٩٨٤.ــ ٦٩ ص، ٢٢ سم.ــ (الموسوعة التاريخية للشباب : أعلام الثقافة والعلوم).

عمر راسم .. من أعلام الاصلاح في الجزائر اشتهر برسومه وخطه العربي الجميل ومحاولاته الرائدة في مجال الصحافة ومع ذلك ظل مجهولا لدى الكثير من أهل الفكر والثقافة في أيامنا. ويتكون البحث من خمسة عناصر :

الأول : حياته وثقافته.
الثاني : راسم وقضايا الاصلاح الاجتماعي.
الثالث : راسم وقضايا الاستعمار والصهيونية.
الرابع : راسم وقضايا الفن.
الخامس : أسلوبه.

نشر المؤلف على حسابه كتاباً آخر في السنة نفسها صفحاته ١١٤ يحمل نفس العنوان أضاف فيه نصوصاً لعمر راسم غير موجودة في الأول.

في ذكرى الأمير / صالح خرفي.ــ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤. ــ ١٠١ ص، ٢٠ سم.

الكتاب في الأصل مجموعة أبحاث ومقالات عن الأمير عبد القادر جمعها الدكتور خرفي ويقول عنها في المقدمة : «هذه صفحات عن الأمير عبد القادر الجزائري يؤلف بينها في هذا الكتاب اعجاب بهذه الشخصية البطولية التاريخية قبل أن ينتظمها منهج في التأليف، أو تخصص في الدراسة... إنها لفتة وفاء للأمير الذي شرف العالم الاسلامي بطلاً مجاهداً في فترة استكانة واستخذاء ودوخ العالم الغربي، مقاومة ومصابرة في سورة طغيان واستعلاء، فتنازعه الشرق والغرب. يتشبث به الأول أصيلا بين أمجاده ويستميله إليه الثاني ضنينا به على العروبة والاسلام». وتناول الكتاب الموضوعات التالية :

- تاريخ يعيد نفسه.
- الفارس الشاعر
- الأمير عبد القادر . هل تغزل في سيدة فرنسية
- الأمير عبد القادر وأعيان البيان
- الفارس الفارس
- المارشال سولت. ماذا قال عن الأمير عبد القادر؟
- الأمير عبد القادر. هل يجهل أسرار الحرب.

محمد البشير الابراهيمي : ١٨٨٩ ــ ١٩٦٥/ عبد المالك مرتاض.ــ الجزائر : وزارة الثقافة والسياحة، ١٩٨٤. ــ ١٢٩ ص، ٢٢ سم. ــ (الموسوعة التاريخية للشباب : اعلام الثقافة والعلوم).

يعد الشيخ البشير الابراهيمي صاحب مدرسة أدبية في الجزائر تمتاز بخصائص فنية متميزة. حاول المؤلف ابرازها من خلال أعماله ونشاطه وأفكاره ومواقفه ويقع الكتاب في ثلاثة فصول:

الأول: الابراهيمي مربياً. تناول فيه انشاء مدارس التعليم العربي في الجزائر ثم موقف الاستعمار منه.

الثاني : الابراهيمي مصلحا. استعرض المؤلف فيه ثلاثة مواقف للشيخ وهي : موقفه من الطرقية ومن الكتاني الطرقي وموقفه من قضية فصل الدين عن الحكومة.

الثالث : الابراهيمي سياسياً. تناول فيه الكاتب مشاركة الشيخ الابراهيمي في الوفد الاسلامي وموقفه من توحيد الاحزاب الجزائرية ومن أحداث ٨ مايو ١٩٤٥ وأخيرا موقفه من قضية فلسطين.

مدينة قسنطينة : دراسة في التطور التاريخي والبيئة الطبيعية / عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي لحروق.ـــ قسنطينة: البعث، ١٩٨٤.ـــ ١٨٨ ص، ٢٢ سم.

ارتكزت الدراسة التاريخية للمدينة في القسم الأول على ثلاثة محاور. درس الأول قسنطينة في العصور القديمة أي العهد النوميدي والعهد الروماني. وتناول الثاني قسنطينة في العهد الاسلامي من الفتح إلى عصر الموحدين والحفصيين. أما الثالث فهو خاص بالعهد العثماني والاحتلال الفرنسي.

ودرس القسم الثاني من البحث البيئة الطبيعية لمدينة قسنطينة.

مدينة قسنطينة : دراسة في جغرافية العمران / محمد الهادي لحروق.ـــ الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٤. ـــ ٤٤٥ص، ٢٢ سم.

تضمن الكتاب سبعة فصول هي :

الفصل الأول : ويعالج البنية الطبيعية للمدينة ومنطقتها لما لها من تأثيرات بالغة الأهمية في جوانب عديدة من حياة المدينة مثل الخصائص الطبيعية لمنطقة المدينة وأثرها في العمران بالاضافة إلى المناخ بعناصره المختلفة وشبكة المياه وتأثير ذلك في شكل المدينة ونموها وتركيبها الداخلي.

الفصل الثاني : ويتناول النشأة والنمو التي تمت على خمس مراحل هي : مرحلة النشأة ثم تطور المدينة في العهد الروماني والعهد الاسلامي فالعهد التركي ثم العصر الحديث.

الفصل الثالث : ويدرس سكان المدينة ويقيم الجوانب الديموغرافية وعلى ضوئها يمكن تحليل واستقصاء حقيقة الظواهر الحضرية المختلفة عن طريق التعرض لنمو السكان وتطورهم وتحديد الزيادة الطبيعية والهجرة وكذلك توزيعهم وكثافتهم ثم دراسة خصائصهم من حيث التركيب النوعي والاقتصادي والاجتماعي.

الفصل الرابع : ويتناول التركيب الوظيفي واستخدامات الأرض في المدينة أي توضيح الكيفية التي استغل بها السكان أرض المدينة والنشاطات التي أقاموها عليها ومجالات العمل التي تولدت بسببها حيث تم التركيز على دراسة الوظائف كالتجارة والخدمات الصناعية .

الفصل الخامس : ويتعرض لبنية المدينة وتركيبها الداخلي عن طريق دراسة السكن وصفاته وكثافة العمران، ويحث التجهيزات وشبكة المرافق العامة وأهمية النقل والمواصلات الداخلية وعلاقتها بالشوارع وحركة المرور.

الفصل السادس : ويدرس اقليم المدينة عن طريق تحليل الامتداد المساحي الصحيح لعدد من الصلات والارتباطات بين المدينة واقليمها وذلك بواسطة بعض المعايير والمؤشرات الكمية لتحديد مجال هذا الاقليم وابراز مدى التفاعل القائم بينه وبين المدينة.

الفصل السابع : ويهتم بمستقبل المدينة عن طريق دراسة شكل الخطة الحالية للمدينة والمشاكل التي تعاني منها وتحديد مراحل تخطيطها على ضوء مشروع تخطيطها العام الذي يرسم مستقبلها.

الدوريـــــات

مجموعة جريدة البصائر : السنة الأولى / لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.ــ اعادة طباعة . ــ س١ـع١ (شوال ١٣٥٤) ــ س١ـ ع ٥٠ (شوال ١٣٥٥).ــ قسنطينة : البعث ، ١٩٨٤. ــ ٣١ سم.ــ ٤٠٤ص.

مجلة البصائر هي أشهر صحيفة عربية كانت تصدرها جمعية العلماء المسلمين في الجزائر قبل الاستقلال وكان صدورها في فترتين انتهت الأولى بقيام الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ وامتدت الفترة الثانية ما بين ١٩٤٧ و١٩٥٦. ويضم المجلد المطبوع ٥٠ عددا من جملة ١٨٠ عددا صدرت في الفترة الأولى من حياة الجريدة.

اعداد خاصة صدرت في شهري محرم وصفر ١٤٠٥ أكتوبر/ نوفمبر ١٩٨٤ بمناسبة مرور ثلاثين عاما على أول نوفمبر وهي لو جمعت كلها وصدرت في كتاب لكونت موسوعة فريدة ثرية بالمعلومات عن حرب التحرير الجزائرية وما اكتنفها من أحداث سابقة ولاحقة. وفيما يلي بعض منها :

١ ــ الثقافة : مجلة تصدرها وزارة الثقافة والسياحة صدر عددها الخاص رقم ٨٣ بهذه المناسبة في ٤٥١ص. ضم أبحاثاً تناولت حرب التحرير من زوايا عديدة وشارك في انجاز العدد سياسيون وعلماء وباحثون في التاريخ.

٢ ــ الجيش: وهي مجلة الجيش الوطني الشعبي صدر العدد الخاص رقم ٢٤٨ بهذه المناسبة في صفر ١٤٠٥ عدد صفحاته ١٠٤.

٣ ــ المجاهد : مجلة أسبوعية يصدرها حزب جبهة التحرير الوطني صدر العدد رقم ١٢٦٥ الخاص بالذكرى الثلاثين يوم ٨ صفر ١٤٠٥ ــ ٢ نوفمبر ١٩٨٤ عدد صفحاته ١٣٠.

٤ ــ مجلة أول نوفمبر: تصدرها وزارة المجاهدين صدر العدد الخاص رقم ٦٨ يضم وثائق هامة عن حرب التحرير جمعت لهذه المناسبة وتراجم للعديد من الشهداء عدد صفحاته ١١٤.

٥ ــ مجلة الشرطة : تصدرها المديرية العامة للأمن الوطني صدر العدد الخاص رقم ٢٥ عدد صفحاته ٥٢.

٦ ــ مجلة ألوان: تصدرها وزارة الثقافة والسياحة صدر العدد الخاص رقم ٥٨ عدد صفحاته ٦٦.

المعـــارض

معرض مخطوطات اقتنتها المكتبة الوطنية حديثاً

أضافت المكتبة الوطنية إلى رصيدها من المخطوطات العربية، مجموعة اشترتها من أوروبا كانت ملكا لأسرة جزائرية تقطن في مدينة ندرومة قرب تلمسان وعرضت المخطوطات في مدينة بهو المكتبة الوطنية. وفيما يلي قائمة مرتبة بالعناوين المعروضة بعضها مطبوع طبعا حجريا في القرن التاسع عشر أشير إليها بعلامة نجمية * أمام العنوان .

١ ــ الاتقان والأحكام في شرح تحفة الحكام لابن عاصم/ محمد بن أحمد بن ميادة.

٢ ــ أنس المنقطعين / معافى بن اسماعيل بن أبي سنان.

* ٣ ــ بهجة البصر في شرح فرائض المختصر/ محمد بن أحمد بنيس.

٤ ــ التاج والأكليل على مختصر خليل/ محمد بن يوسف المواق.

٥ ــ تبصرة الحكام / ابراهيم بن علي بن فرحون

٦ ــ الترغيب والترهيب / عبد العظيم المنذري

٧ ــ تقاليد الطرنباتي على ألفية مالك

* ٨ ــ تقاليد على الرسالة أو شرح فقه الرسالة / محمد بن قاسم جشوش

٩ ــ تقييد على شرح السلم / سعيد الجزيري.

١٠ ــ تيسير الملك الجليل بجمع شروح وحواشي خليل/ سالم ابن محمد السنهوري.

* ١١ ــ الجواهر المنظومة في شرح المنظومة ويليه الزجر

والاقناع لمحمد بن المدني جنون/ قاسم بن أحمد بن يامون.
١٢ ــ حاشية على شرح الزقاقية لمحمد التاودي بن سودة / محمد المهدي الوزاني العمراني.
١٣ ــ حاشية على شرح المكودي / احمد بن محمد بن الحاج.
١٤ ــ حاشية على الغرناطي/ الشيخ الحطاب
١٥ ــ حصول الرفق بأصول الرزق .. / عبد الرحمن بن علي جلال الدين السيوطي.
* ١٦ ــ حواشي على مقدمة العربي بن يوسف الفاسي/ محمد بن محمد جنون.
١٧ ــ الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب/ ابراهيم بن علي بن فرحون.
١٨ ــ ديوان ابن سهل وقصائد أخرى.
١٩ ــ رد التشريد في مسألة التقليد / أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي.
٢٠ ــ رقم الحلل في نظم الدول.
٢١ ــ شرح ... على الألفية / حمدون بن محمد بناني.
٢٢ ــ شرح ابن غازي على الألفية.
٢٣ ــ شرح على خليل / الخرشي
٢٤ ــ شرح على خليل / علي الأجهوري
* ٢٥ ــ شرح على رسالة ابن علي زيد القيرواني/ محمد بن قاسم جشوش.
٢٦ ــ شرح على رسالة منسوبة لابن رشد.
٢٧ ــ شرح على العقيدة الصغرى ومعه شرحه على مقدماته/ محمد بن يوسف السنوسي.
٢٨ ــ شرح على مختصر خليل/ علي بن محمد الأجهوري.
٢٩ ــ شرح على مختصر خليل/ محمد بن محمد الحطاب
٣٠ ــ شرح مختصر خليل/ محمد بن أحمد بن ميارة
٣١ ــ شرح المكودي على الألفية.
٣٢ ــ صحيح البخاري.
* ٣٣ ــ العقد الجوهري على مقدمة ابن أجروم/ أحمد بن محمد بن أجروم.
٣٤ ــ عمدة أهل التوفيق والتسديد / محمد بن يوسف السنوسي.
٣٥ ــ الفتح الرباني فيما ذهل عنه الزرقاني/ محمد بن الحسن البناني.
٣٦ ــ قائمة بالكتب التي احتوتها خزانة ابن رحال.
٣٧ ــ قطع من كتب شتى منها : شرح محمد بن يوسف السنوسي على مقدماته وعلى العقيدة الصغرى.
٣٨ ــ مختصر توضيح لمقاصد ألفية ابن مالك/ حسين بن عبدالله المرادي.
٣٩ ــ المعيار/ أحمد بن يحيى الونشريسي. ــ ج ٤.
٤٠ ــ المقنع في علم ابن مقرع / محمد بن سعيد السنوسي.
٤١ ــ مواهب الجليل في شرح خليل/ محمد بن محمد الحطاب.
٤٢ ــ موطأ الامام مالك.
٤٣ ــ نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي/ محمد بن محمد الافراني. نسختان : الأولى ورقاتها ٢٤٠ والثانية ١٥٤.

مُناقشَات وتعقيبَات

تعقيب على دراسة الحكمي لكتاب السلوك

حمد الجاسر

كان مما قرأت في الجزء الأول من المجلد السادس (رجب ١٤٠٥هـ) البحث الممتع الذي كتبه الاستاذ أحمد بن حافظ الحكمي (ص ٩٣/٩٩) عن كتاب «السلوك في طبقات العلماء والملوك» للجندي.

ويظهر أن الكاتب الكريم لم يعرف أن مؤرخ اليمن في هذا العصر القاضي محمد بن علي الأكوع كان منذ زمن وهو يُعِدُّ العدة لنشره.

وقد صدر من ذلك الكتاب بتحقيق القاضي المذكور الجزء الأول في مجلد صفحاته (٥٥٨) مطبوعاً سنة ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣م) مصدرا بحديث مفصل عن ذلك الكتاب، ثم بترجمة للمؤلف في (٦١ صفحة).

ويظهر أن المحقق الفاضل لم يصحح تجارب الطبع ولهذا وقع في الكتاب تطبيع كثير (أخطاء مطبعية).

ويظهر أنه طبع في بيروت، إذ لم يذكر اسم المطبعة.

تصحيح لما كتبه الطاشكندي

صلاح الدين المنجد

اطلعت مؤخرا، بعد غياب طويل عن بيروت، على العدد الخاص الذي أصدرته هذه المجلة عن «الاستشراق»، في أبريل عام ١٩٨٤. وقرأت ما كتبه الدكتور عباس صالح طاشكندي عن «الاستشراق ودوره في توثيق وتحقيق التراث». فوجدته ينسب إليّ قولا لم يكن أمينا في نقله، فشوّهه وصرفه إلى غير ما قصدتُ إليه.

فقد قال : «تركت مناهج المستشرقين في التحقيق أثرا كبيرا على (كذا) الشرق. إذ جاءت بعض المحاولات (كذا) العربية في ميدان أصول نقد النصوص ونشرها امتداداً (كذا) لمناهج المستشرقين. فيقدم صلاح الدين المنجد لقواعده :

«إن هذه القواعد التي نقدمها غايتها توحيد طرق النشر والتعريف به. وقد استقيناها من نهج المستشرقين الألمان ، ومن خطّة غيُوم بوده». بينا يصر عبد السلام هارون في دراسته المتميزة بعنوان «تحقيق النصوص ونشرها» على التخلص من إسار (كذا) سيادة الاستشراق بوضع منهج يستمد أصوله من معايير التدوين والتوثيق عند العرب الحق بالمواصفات التقنية لنشر الكتاب العربي المخطوط، واضعا بذلك مناهج التحقيق عند المستشرقين في مكانها المناسب من التقويم». انتهى كلامه.

والصحيح أن الذي كتبته في مقدمة رسالتي، التي لم يذكر الطاشكندي اسمها، وهو (قواعد تحقيق المخطوطات) هو ما يلي: «إن هذه القواعد التي نقدمها غايتها توحيد طرق النشر والتعريف به. وقد استقيناها من نهج المستشرقين الألمان، ومن خطة غيوم بوده، **ومن قواعد المحدثين في ضبط الروايات، ومما نشر في هذا الموضوع من قبل، ومن العقبات التي مرت بنا أثناء نشرنا عدداً من المخطوطات القديمة**». انتهى ما كتبناه (قواعد تحقيق المخطوطات ص٨، ط٤).

فيرى القارىء أن الدكتور الطاشكندي قد حذف من قولنا ثلاث جمل ذات شأن، تنقض ما زعمه، فجاء قوله، كما أتبعه، يوهم أننا لم نعتمد فيما وضعنا من قواعد إلا على مناهج المستشرقين. في حين أن من مزايا قواعدنا أنها نظرت إلى قواعد القدامى من المسلمين، ومن قواعد المعاصرين من المستشرقين وغيرهم، فضلا عن تجاربنا الخاصة.

وإننا نرجو من الدكتور الطاشكندي، حفظا على سمعته العلمية، أن يكون أمينا فيما ينقل، ولا يشوه أقوال الذين ينقل عنهم.

المفجع في القول بأنه هدى كامل المبرد وليس اختيار الممتع

محمد مصطفى هدارة

رئيس قسم اللغة العربية ـــ كلية الآداب
جامعة الاسكندرية

قالة أطلقها الدكتور عبده قلقيله في كتاب (النقد الأدبي في المغرب العربي) مضمونها أن كتاب (اختيار الممتع) إنما هو (هَدْى كامل المبرد)، وهو العنوان الخاطىء المعدول عنه في الصفحة الأولى من المخطوطة، وأغلب الظن أن كلمة (هدى) مقصود بها (هذا)، والدليل على ذلك أن الناسخ كررها في متن الكتاب بهذا الخطأ الإملائي، وقال في آخر الكتاب (إلى هنا انتهى كامل المبرد). ويماري الدكتور قلقيله في ذلك، ويدعي أن الكاتب نسي في النهاية كلمة (هدى)، وهذا الناسخ الداهم الناسي الذي تزخر كتابته بالأخطاء التي لا يقع فيها مبتدىء، قد صادف هوى في نفس الدكتور قلقيله فوقع في أسره، حتى بدا كلاهما وكأنهما لم يعرفا كتاب الكامل من بعيد ولا من قريب، لأن الكتاب المفترى عليه ليس الكامل، ولا يتصل بمنهج الكامل أدنى اتصال، فكيف يكون هَدْيا لغير موجود.

إن الدكتور قلقيله يبدو في كتابه (المقنع) كمن أطلق كذبة وصدقها، فصعب عليه أن يرتد إلى الحقيقة، ومن هنا كان اسم كتابه المتداول (الاسم لا الكتاب) بين الثقات من أهل العلم (المفجع) وليس (المقنع). وقد اعتاد أهل العلم في كتابات الدكتور قلقيله ـــ حين يضطرون إلى قراءتها ـــ أن يجدوه مكثرا من إلقاء الكلام على عواهنه، مبتعدا عن الموضوعية، سابحا على السطح خوف الغرق (ولا أقول كابن الرومي بخفة الوزن)، مسودا الصفحات الكثيرة فيما لا طائل تحته. وقد كنت أظن أنه سوف يداري سوءته. أقصد كتابه المفجع. إلا أنه أبى واستكبر، وسعى إلى (عالم الكتب) التي أعرف رصانتها وموضوعيتها، بتلك المقالة التي تخلو من الرصانة والموضوعية، وتنبىء بأن صاحبها يتعالم بما يجهل، وسوف اقتصر في ردي على بعض الأفكار العامة، وما يتصل بي، وأدع لتلميذي الدكتور محمود شاكر القطان مهمة الرد على افتراءات الدكتور قلقيله :

١ ـــ إن تعاقب ثلاثة على مخطوط واحد، ونشر كل منهم عمله لا يدفع إلى حكم الدكتور قلقيله (بأن الثاني قلد الأول، وأن الثالث قلد الأول والثاني) فهذا حكم خاطىء بعيد عن المنهج العلمي، ولا ينبغي إصدار حكم دون مقارنة علمية صحيحة، بعيدة عن الافتراض والهوى والتحامل، وهذه المقارنة ـــ بعد ذلك ـــ لا يقدر عليها كل من أمسك بالقلم، وسوّد الصفحات، وحمل لقب (دكتور)، وعمل في جامعة.

وليس غريبا أن يصدر مخطوط محققاً في أكثر من جامعة ، وفي أكثر من مكان، ويبدو أن الدكتور قلقيله يتجاهل أو يجهل العديد من الحالات المماثلة، وأضرب مثالا واحدا يغني عن غيره وهو كتاب (المنصف للسارق والمسروق منه في إظهار سرقات المتنبي) لابن وكيع التنيسي الذي كان أستاذنا خليل عساكر قد شرع

في تحقيقه منذ أكثر من نصف قرن، كما شرعت في تحقيقه منذ نحو ثلاثين عاما، ثم حققه طالب ليبي هو عمر خليفة بن إدريس تحت إشراف الزميل الأستاذ الدكتور عبد المحسن عاطف سلام، ونال به درجة الماجستير في قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية عام ١٩٧٧م، ثم حققه حمودي زين الدين عبد المشهداني ونال به درجة الدبلوم العالي في المخطوطات وتحقيق النصوص بالجامعة المستنصرية في بغداد عام ١٩٨٠م ثم نشره الدكتور محمد رضوان الداية في دار قتيبة بدمشق عام ١٩٨٣م، وأخيرا حققه الدكتور محمد يوسف نجم وصدر عن قسم التراث العربي في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت عام ١٩٨٤م.

وهناك عشرات الحالات المماثلة التي يجهلها أو يتجاهلها الدكتور قلقيله، فلماذا نصب نفسه للتباكي على العلم في نشر اختيار الممتع وحده؟.

٢ ـــ أما (مشرف هذا الزمان الذي لم يعد يحقق ويدقق ويتابع ويراجع، بل لم يعد يقرأ) فهجاء لا يليق صدوره ممن ينتسب إلى العلم (ولو ادعاء) ، وممن لم تتح له فرصة الاشراف العلمي مرة واحدة في حياته، أو ممن لا يملك المقومات العلمية للمشرف على البحوث العلمية، بل الأدهى من ذلك لمن يعلم من العلم ـــ عن معاينة ـــ دقة هذا المشرف ومتابعته ومراجعته وقراءته الواعية لكل كلمة وحرف، ولا أريد أن أزيد على ذلك شيئا.

٣ ـــ لا يوجد أي خطأ في العنوان الذي وضعه الدكتور القطان، فالنسبة إلى النهشلي مصروفة إلى الممتع نفسه، وليس إلى الاختيار، وهذا أمر لا يحتاج إلى فطنة من نوع خاص يصعب وجوده عند الناقد صاحب المفجع.

٤ ـــ من سذاجة النقد وسطحيته التوقف عند الإهداء، وإضاعة نصف صفحة من (عالم الكتب) في لغو بعيد عن أية غاية علمية.

٥ ـــ في نقد الدكتور قلقيله لمقدمتي التي صدرت بها تحقيق الدكتور القطان مغالطات كثيرة أوجزها فيما يلي :

أولا : في قولي (لا تزال كنوز من تراثنا مستورة في مكانها تحتاج إلى ذوي المنّة وأولي العزم لاستخراجها) عموم لم يخص كتاب (اختيار الممتع) فتساؤل الدكتور قلقيله مغالطة في غير موضع.

ثانيا : تجاهل الدكتور قلقيله كل ما جاء في مقدمتي لبيان موقف الدكتور القطان من تحقيق المنجى الكعبي وتحقيق الدكتور محمد زغلول سلام، أو ربما لم يفهم ما قرأه في تلك المقدمة، فقد قلت فيها بالحرف الواحد: «وقضى الباحث سنوات في عكوفه على هذا العمل العلمي الاصيل، يقوّم النص ويقابله على ما بين يديه من مصادر، ويخرج شواهده ويوثق رواياته، ثم فاجأه ـــ وهو يوشك أن يتم عمله ، ظهور الكتاب بتحقيق المنجى الكعبي ونشر الدار العربية للكتاب ليبيا ـــ تونس في عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م . ومن المؤسف أن جهود طلاب الدراسات العليا في الجامعات المصرية تكاد لا تعرف حتى في الجامعة نفسها التي تتم فيها هذه البحوث، وكم عانينا من تكرارها، بدلا من توجيه الجهد إلى ساحات أخرى من البحث لا تزال بحاجة إلى من يردها . وقد كان تحقيق هذا المخطوط موضوع بحث المنجى الكعبي للماجستير، قدمه لكلية الآداب بجامعة القاهرة في عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م تحت إشراف المرحوم الأستاذ الدكتور عبد العزيز الأهواني ، بل إن مثل هذه المفاجأة كثيرا ما

تواجه المشتغلين بتحقيق المخطوطات في خارج نطاق البحوث الجامعية، نظرا لافتقاد التنسيق العلمي الواجب الأخذ به في عالمنا العربي.

وكاد العمل أن يتوقف تماما، مع قرب انتهائه كما سبق أن بينت، ولم يكن أمامي — بوصفي مشرفا على البحث — إلا أن أسقط من حساب الزمن جهد الباحث الذي بذله بسخاء في سنوات تقدمت، ليعاود البحث من جديد في موضوع لم يسبقه إليه غيره. ولكني حرصت — قبل إصدار قراري — على مراجعة عمل المنجى الكعبي، ويشهد الله أنني قد وجدت فيه كثيرا من الأخطاء في تحرير النص وقراءته، وفي ضبط الشعر وتخريجه، حتى أيقنت أن إعادة تحقيق هذا المخطوط أمر واجب، وأن الجهد الذي بذله محمود شاكر القطان جدير بأن يستوفى غايته وأن ينشر، ولم أشأ أن يتأثر بعمل المنجى الكعبي، فلم أضع بين يديه النسخة الوحيدة التي أمدني بها من تونس الصديق الكريم الأستاذ الحبيب اللمسي.

ثم كانت مفاجأة ثانية أشد غرابة من سابقتها، ذلك أنني تقدمت إلى قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية، وكان يرأسه في ذلك الوقت الزميل العزيز الأستاذ الدكتور محمد زغلول سلام، باقتراح تشكيل لجنة للحكم على بحث محمود شاكر القطان، وفيها أستاذي العلامة المحقق الدكتور طه الحاجري، والزميل العالم الأستاذ الدكتور عبد الحكيم حسان، فأبدى الدكتور زغلول دهشته لوجود هذا البحث مسجلا منذ سنوات عديدة، ولم تكن هذه هي المفاجأة، بل قوله إنه انتهى من تحقيق الكتاب وطبعه وإنه على وشك الصدور».

فكيف يفتري الناقد صاحب المفجع بعد كل هذا الكلام الواضح البين الذي يفهمه كل من تعلم القراءة، فيلبس رداء العالم، ويسمح لنفسه بإلقاء الأسئلة: كيف وكيف، بل إني لأتساءل: كيف فهم الدكتور قلقيله أن تحقيق الدكتور زغلول سلام صدر قبل مناقشة تحقيق الطالب، وفي مقدمتي جلاء كامل لهذه النقطة لا يدع أدنى شك لمن لديه قدر ضئيل من الفهم.

ثالثا : إن من السخف الفاضح تسمية عمل الدكتور القطان تصحيحا لعمل المنجى الكعبي، وقد كان القطان بمنأى عن عمل المنجى، وهذا أمر أستطيع الحكم عليه، ولا يستطيعه الدكتور قلقيله، لأسباب كثيرة، فلا يبقى إلا أن يكون حكمه محض افتراء.

رابعا : إن تنبيه الدكتور قلقيلة، على أمور علمية كانت تنبغي أو لا تنبغي بوصفي مشرفا، لا يليق أن يصدر من مثله — برغم كبر سنه — فكبر السن ليس مبررا لادعاء مكانة علمية وتناسي أقدار الآخرين. ومثل هذه الأمور التي يتشدق بها صاحب المفجع دون فهم كنت — ولا أزال — أعلمها له ولأمثاله في أكثر من موقف، ويا ليتها وجدت أرضا خصبة تمرع، بل صادفت جدبا وقحطا!.

خامسا : إن تأكيد الناقد صاحب المفجع بأن الدكتور القطان قد وضع نسخة الكعبي في كمه الأيمن، ووضع نسخة سلام في كمه الأيسر، يدل على بعده عن المنهج العلمي، وقفزه إلى

الأحكام دون تحقيق أو بينة، وافتقاره إلى أمانة الكلمة، فقد ثبت من الوقائع التي عرضتها في مقدمتي أن تحقيق القطان نوقش في شكله النهائي الذي نشر به بعد ذلك، قبل صدور تحقيق الدكتور سلام بأشهر طويلة. أما تحقيق الكعبي فلم يتصل به علم القطان إلا بعد أن أنهى تحقيقه، ولم أطلعه عليه إلا بعد أن أطمأننت تماما إلى أن عمل القطان أتم وأوفى من عمل الكعبي.

أما المقارنة بين العملين أو الأعمال الثلاثة فإني أدعها للدكتور القطان نفسه ليرد على افتراءات صاحب المفجع الذي يقول بكل ما في غير الصدق من معان (إن الأخطاء بجميع أنواعها في تحقيق القطان أكثر من مثيلاتها في تحقيق الكعبي).

وبعد فقد آن للدكتور قلقيله أن يهدأ وأن يحسن فهم ما يقرأ، وآن له أن يغير ما بنفسه ويطهرها من الأغراض والأمراض — وقانا الله شرها —، ويخفف وقعه على دور النشر والمجلات التي تجأر بما يسود من صفحات تحتاج إلى سيول أرض نجد، وأن يمثل لقول النواسي :

مت بداء الصمت خير ... لك من داء الكلام

وعلى الله قصد السبيل.
